

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٠٧ - المحرم ١٤٢٣ هـ - مارس/ أبريل ٢٠٠٢م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 307 -MAR. / APR. 2002
لمكتبات العربية
في الألفية الثالثة
شروع المعجم التاريخي
لمصطلحات
جهود العرب
في نشر العلوم في بلاد
لسند والبنجاب
لتعليمية : معرفة
علمية خصبة
أثير نوبل نجيب محفوظ
في الترجمة من العربية
لى الإسبانية
لمنصورية :
لفن في متناول الجميع
كاو :
جزيرة الأعياد
أدوية من صنع الله
هرم
الحاجات الإنسانية

إرساء معايير جديدة للاهتمام بك

سيارات مستعملة مضمونة — خدمة سريعة

فنيي سمكرة ودهان محترفين — مهندسي صيانة متخصصين — قطع غيار أصلية

الآن أمامكم أرحب الخيارات لانتقاء ما شاء لكم من بين أكثر من ١٠٠٠ سيارة مضمونة وحديثة بعمر ما بين ثلاثة شهور وثلاث سنوات ومن أشهر الموديلات والماركات الأمريكية واليابانية والأوروبية والكورية. وقد خضعت جميع هذه السيارات لفحوصات وإعادة تأهيل وتجهيز كاملة على أيدي فنيي ومهندسي الصيانة المتخصصين مما جعلها تكون وكأنها جديدة.
مع إمكانية استبدال السيارة خلال ٥ أيام أو قبل قطع مسافة ٣٠٠كم

كذلك نقدم لكم مراكز أوتوستار خدمات الصيانة الراقية بما فيها أعمال الميكانيك والكهرباء والسمكرة والدهان إلى جانب توفيرها مختلف قطع الغيار الأصلية لكافة موديلات وأنواع السيارات.

أوتوستار... الجودة بسعر منافس



مجموعة عبداللطيف العيسى

الرياض : ٢٣٢٨٨٠٠ (٠١) جدة : ٦٧٦٠٦٧٦ (٠٢) الخبر : ٨٥٨٧٩١٩ (٠٣) بريدة : ٣٨١٩٤٩٤ (٠٦)



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- تأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - . يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - . يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - . التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - . تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - . ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع - هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢... سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١، ٩٦٣... تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣ نهج المغرب - فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦... قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٩٧٤... الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦، ٩٦٢... البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٩٧٣... الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٩٧١... الجزائر - مؤسسة E.B.D.PRESSE لتوزيع الصحافة. ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ - ٢١٣... الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٩٦٥... السودان شركة التحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32 - MOROCCO، باكستان PAKISTAN PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨





مطابع هلا
٤٨٢١٣١٣



هرم الحاجيات الإنسانية

لا يعيش الإنسان من دون ماء إلا أياماً معدودة، ويتحمل الجوع من دون طعام أسابيع، وعاش الإنسان عرياناً وبلا سكن فترة طويلة، ولكن اللباس والسكن أصبحا اليوم من ضرورات الحياة.
والإنسان بانضباطه الاجتماعي أخذ بعدين: الأول بيولوجي، والثاني اجتماعي، فما هرم الحاجيات الإنسانية؟ وما ترتيبها؟ وما أهمية كل واحدة منها؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

صديق جديد

لقد قرأت مجلات كثيرة وعرفت ما عرفت، لكن عين الحقيقة أنني لم أر مجلة تناسب الصغير والكبير وكلّ أفراد المجتمع، كمجلتكم الفيصل، ذلك النبع الرقراق العذب الذي يهدر بالحكمة والعظة، والذي ينبع من أطهر أرض، تلك الشجرة التي «تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربها»، وأصارحكم بالحقيقة وأقول لكم: إنّ «الفيصل» عصفورة الحلم التي أمسكتها بعد ترصد، لأنها ذلك الشيء الذي يتمشى مع الوقائع والأحداث والذي يحتاج إليه كلّ فرد في المجتمع حاجته إلى الغذاء والهواء والماء - لأنها غذاء للعقل والفكر.

ومهما تعددت الكلمات فإنها لا تستطيع أداء الشكر على ما يجب، وإنّ في النفس أشياء لا ترضى بالألفاظ حللاً ولباساً، فالفيصل جاء لاستثمار العقول وتنمية المواهب وإحياء التراث، ورعاية لنتاج الفكر العربي ولعمارة القلوب وجلاء الصدأ عنها - ولرصد الأحداث ومسح غبارها، فمجلتكم جاءت واسعة العلوم، روضة غنّاء من رياض الفكر أو قل لبنة في بنيان علميّ ضخم ولها الدور الأول والأرحب.

شكراً لكم من شاب في السادسة عشرة من عمره - من طالب مدرسي، يرجو رجاءً صادقاً أن يكون أول شاب يعترف بفضل الفيصل.

أنس محمد مرعي جراد
إدلب - سورية

التحرير:

يسعدنا أن تصف نفسك بصديق «الفيصل»، ونأمل أن تستمر في الاستزادة من العلم والثقافة من منابعهما المختلفة، ونتمنى أن نجد لك مشاركات تجد طريقها إلى النشر، وهذا سيكون أفضل تعبير عن ذاتك.

دعاء

لقد ضاعفت مجلتكم ثقافتي، وهذا فضل منكم أعترف به، وتقديراً لكم، أبعث إليكم بهذا الدعاء:

اللهم ارزقني بالألف ألفة، وبالباء بركة، وبالتاء توبة، وبالثاء ثواباً، وبالجيم جمالاً، وبالحاء حكمة، وبالخاء خيراً، وبالدال دليلاً، وبالذال ذكاء، وبالراء رحمة، وبالزاي زكاة، وبالسين سعادة، وبالشين شفاء، وبالصاد صدقاً، وبالطاء طاعة، وبالظاء ظرفاً، وبالعين علماً، وبالغين غنى، وبالفاء فلاحاً، وبالقاف قوة، وبالكاف كفاءة، وباللام لباقة، وبالميم موعظة، وبالنون نوراً، وبالهاء هداية، وبالواو وداً، وبالياء يقيناً.

غربي البشير
ولاية الجلفة - الجزائر

التحرير:

نشكر لك هذا الإهداء، وتعبيرك العفوي عن مشاعرك تجاه مجلتك.

مع «الفيصل»

نطالع مجلة الفيصل الثقافية منذ شهر رجب ١٣٩٧هـ عند وصولها إلى المكتبات -، نأمل لكم استمرار النجاح والازدهار. واسمحوا لنا أن نكتب لكم هذه الرسالة الشخصية خاصة ببعض الاقتراحات والملاحظات الثقافية، والرأي الأتم لكم:

- المجلة تحتاج إلى إعادة برمجة وتحديث من ناحية الموضوعات المفيدة لعصرنا الحالي: مرض هشاشة العظام، الدراسة جيدة ولكن ما معنى هذا المرض باللغة الإنجليزية، وأن يكون الاسم العلمي ضمن عنوان المقال، (الفيصل، ع٣٠٦).

وحبذا لو كتبتم عن بقية أمراض العصر الحديث وبشكل متتابع في أعداد المجلة القادمة: الإرهاق، والإجهاد، والشيخوخة، والتدخين، والأدوية....

- نأمل أن نطالع المزيد عن مدينة القدس العربية وعن مسجدي الأقصى والصخرة وارتباط المسلمين بهذه الأماكن المقدسة، فالمسلم قوي، والإسلام أقوى مما يتصور الآخرون. فالإسلام في أيام الدولة الأموية وصل إلى تور وبواتييه في فرنسا، وكان على بعد خطوات من بحر المانش. والعرب الكنعانيون الفينيقيون وصلوا إلى مكان قريب من ذلك، وبريطانيا هي «برُ التّنك» بالكنعانية الفينيقية، والعرب قديماً وصلوا إلى أمريكا؛ ويقال: إن البرازيل تعني بني برزل، وفنزويلا تعني: بني زويلا العربية. وللمؤرخين المغاربة آراء صائبة في هذا المجال.

- كيف وصل أجدادنا الكنعانيون الفينيقيون إلى تونس وليبيا والجزائر والمغرب؟

- كيف وصل أجدادنا الكنعانيون الفينيقيون إلى إسبانيا

وبريطانيا، بسفنهم السريعة والقوية، وأخذوا معهم الزجاج، وأحضروا من بريطانيا القصدير من «بلاد القصدير»؟ هذا يحتاج إلى دراسة معمقة من مجلة الفيصل.

- وكمثل مجلة العربي في الكويت، نأمل كتابة: رأس تحرير مجلة الفيصل في الصفحة الثالثة إن كان ذلك مناسباً مع كتابة ترجمة باللغة الإنجليزية كوصف للمجلة: Alfaisal Magazine... etc.

- الفيصل العدد ٣٠٦، ص١٣٤؛ كتاب «الدينار عبر العصور الإسلامية»، هذا الكتاب جيد بموضوعه، أين عنوان دار النشر ومكان الإصدار، حبذا لو قدمتم هذا الكتاب المهم في زاوية «رحلة في كتاب».

- انتقل إلى رحمة الله تعالى منذ أسابيع في الأردن الدكتور الأستاذ حسني محمود حسين (١٩٣٦ - ٢٠٠٢م) الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي حبذا لو طالعنا بعض الموضوعات الخاصة بهذا الأديب الإنسان المبدع.

خليل عبدالكريم قرعيش
عمّان - الأردن

التحرير:

نشكر لك ملاحظاتك القيمة، ونرد على بعضها في الآتي:

- بخصوص الموضوعات العصرية،فإنك متابع للمجلة، وستجد أن كل عدد منها يضم مقالات تتناول قضايا العصر في شتى المجالات، وبعض الأمراض التي أشرت إليها سبق للمجلة أن تناولتها أكثر من مرة.

وفيما يتعلق بالمصطلحات الواردة في المقالة فالمقابل الإنجليزي يكتب إلى جانبها.

- فيما يتعلق بالمقالات عن القدس، فإنه لا يكاد عدد يخلو من موضوع يتصل بالقدس من قريب أو بعيد، إلى جانب الموضوعات المتخصصة التي سبق أن نشرتها المجلة، كما أن «الفيصل» مهتمة بالتاريخ العربي والإسلامي، وفي كل عدد من أعدادها ما يتعلق بهذا التاريخ.

أما بخصوص الجانب الفني في كتابة رئاسة التحرير أو اسم المجلة باللغة الإنجليزية فإن لكل مجلة رؤيتها الفنية.

- الكتاب الذي أشرت إليه قام بطباعته المؤلفان، ونأمل أن نستطيع المجلة عرضه.

- الأستاذ الدكتور - حسني محمود - رحمه الله - ستجد سيرة ذاتية منشورة عنه في العدد رقم (٣٠٤) من المجلة، ونرحب بنشر أي موضوع عنه وعن عطائه الفكري.

ردود سريعة

الأخ درويش مصطفى الشافعي - إربد - الأردن:

نقدر لك مشاركتك في إغناء المجلة بكتاباتك، ونأمل أن تعد استطلاعاً مصوراً عن الحياة البرية والطبيعية في الأردن حتى نستفيد مما لديك من صور خاصة بهذا الموضوع، والتي نرى أنه يمكنك إهداؤها إلى المجلة.

أما الموضوع الذي أرسلته فسوف نعلمك بموعد نشره لاحقاً.

الأخوان بوبكر محمد، ولاية البويرة، عبد القادر بن محمد، ولاية الشلف، الجزائر:

نشكر لكما كلماتكما الرقيقة، ونعتذر لكما من عدم وجود ركن للتعارف في المجلة، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الإنتاج الفكري خير معبر عن هوية صاحبه، ونفضل أن يكون التعارف بين قراء الفيصل وكتابها من خلال هذا الحوار الثقافي الذي يتم عن طريق المقالات والإبداعات الشعرية والقصصية وغيرها.

ونعتذر للأخ عبدالقادر لعدم توافر العناوين التي طلبها، أما الكتب والأشرطة التي يطلبها فإن هناك مؤسسات تعنى بمثل هذا الأمر، ونرحب بأي مشاركة وفق المعايير المتبعة في المجلة.

المهندس مصطفى عثمان شاذلي.. تلفزيون الجنينة - ولاية غرب دارفور - السودان:

نشكر لك إرسال القصيدة التي تعبر فيها عن مشاعرك تجاه بلدك الثاني «المملكة العربية المسعودية»، وحديثك عن العلاقات التاريخية بين البلدين الشقيقين. ونأمل أن تواصل صقل موهبتك الأدبية،× وأن ترسل بإنتاجك لعله يجد طريقه إلى النشر، وإنه لمن الجميل أن يكون لديك هذا الحس الأدبي، وأنت المتخصص في الهندسة الإلكترونية.

الإخوة القراء:

نفيد الإخوة القراء الذين يودون نشر رسائلهم وآرائهم في باب «رسائلكم» أن المجلة لا يمكنها أن تنشر أي رسالة خالية من اسم صاحبها، كما نشير إلى ضرورة كتابة الاسم والعنوان في ذيل الرسالة وعدم الاكتفاء بكتابتهما على المغلف.

المكتبات العربية في الألفية الثالثة

عباس صالح طاشكندي
جدة - السعودية

إن موضوع التطلع نحو استشراف المستقبل غالبًا ما يكون أكثر إثارة وتشويقًا وتحديًا من وصف ما هو قائم بالفعل، أو إجراء دراسة تاريخية تعود بنا إلى الماضي، ومن هنا فقد جاء عنوان المحاضرة «المكتبات العربية في الألفية الثالثة» في إطارها المثير، ماذا عسانا أن نتوقع من المكتبات العربية في ألفيتها الثالثة؟ وكيف يمكن أن نستشرف رؤيتها في المستقبل؟

على أن من الصعب على المرء أن يتناول التوقعات مباشرة دون أن يعرج قليلاً على بعض التجارب الماضية، والاتجاهات الحالية في ضوء اعتباراتها التاريخية، حتى يمكن تأطير ما يمكن أن يحدث في المستقبل.



نموذج للكتاتيب يقدمه مهرجان الجنادرية سنويًا إيمانًا بدورها في الحياة الثقافية العربية

إننا نتحدث عن منطقة أخذت مكانة بارزة في التاريخ، وعن ظاهرة كان لها أثر بالغ الأهمية، وخاصة في الدور الذي أدّته في نشوء المكتبات من ناحية، ونشوء صناعة الكتاب من ناحية أخرى. ولم تكن تلك المكانة مكتسبة نتيجة نشوء المكتبات الاطّرادي كمؤسسات مادية، أو الكتاب كوعاء للتسجيل فحسب، بل كانت مؤصلة بالإبداع والتحضر والإضافة. ولسنا في موقف التدليل أو تقديم الحجج والبراهين على ذلك؛ فالتاريخ والوقائع هما



مكتبة الملك فهد الوطنية إضافة كبيرة إلى الحركة الثقافية في عالمنا العربي

أصحاب الفصل، وقد قال التاريخ كلمته في وصف الحضارة العربية الإسلامية بناء على البراهين المادية وإجماع العلماء.

معروف أن المكتبات مهما اختلفت أنواعها فإنها تقوم بثلاث مهام رئيسة: أولاها: تجميع أوعية المعرفة، وثانيتها: تنظيم أوعية المعرفة، وثالثتها: استثمار أوعية المعرفة.

فأسلافنا القدماء في حضارة ما بين النهرين في العراق وضعوا الوظيفة الأولى للمكتبة، حين اخترعوا أوعية التسجيل من ألواح الصلصال وجمعوها في دور السجلات القديمة، وكذلك صنع الفراعنة والفينيقيون وغيرهم من صناع الحضارات القديمة في المنطقة.

ثم إن تجربة مكتبة الإسكندرية القديمة احتلت مكانتها الأكاديمية كهيئة تُولّد - عبر نشاطها المعرفي - كل صنوف المعارف القديمة. ولم يكن الأمر مقصوراً على البعث المعرفي فحسب، بل تعداه إلى التنظيم، واستثمار الرصيد المتراكم، حتى غدت المكتبة أكاديمية تحدد هوية البطالسة الفكرية والثقافية في عصر ازدهارهم، مما دفع يوليوس قيصر إلى إحراق القسم الأكبر منها عام ٤٨ قبل الميلاد، بهدف نقل الحضارة إلى روما. ثم أجهز تيوفيلوس على القسم المتبقي في أواخر القرن الرابع الميلادي. وصارت المكتبة في ذمة التاريخ، حتى قامت مكتبة الإسكندرية الحالية على الرغم من تغيُّر الظروف والزمان، واختلاف الغايات الحضارية، وتباين تحديات النشوء بين المكتبتين. فالمكتبة الحالية لا يمكن أن تبني مجدها على غايات المكتبة القديمة،

وإنما عليها أن تبني مجداً ينسجم مع متغيرات استغرقت ما يزيد على ألفي عام، وذلك بحثاً عن المساحة المطلوبة والمستهدفة للتميز والعالمية في ظل المتغيرات بين الصراعات الحضارية في العالم القديم، والصراعات الحضارية في عالم اليوم. وهي مهمة حضارية عظيمة وحساسة، نتطلع أن يبذل القائمون على غايات مكتبة الإسكندرية الحالية جهداً فكرياً وفلسفياً مميزاً لتحقيقها، وبلورة غاياتها، حتى تصبح بحق إضافة إلى المكتبات العربية في ألفيتها الثالثة.

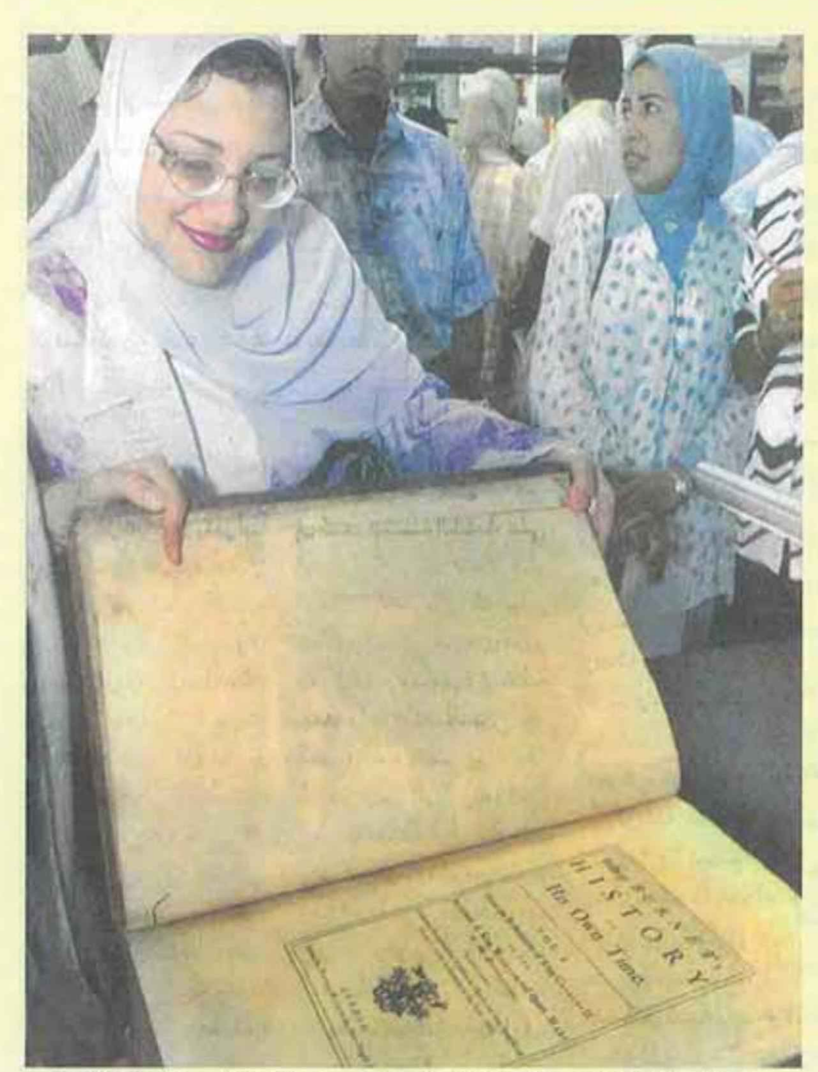
فذلكة تاريخية

أما أسلافنا من صناع الحضارة العربية الإسلامية في عصورها الوسطى المزدهرة، فقد اقترنت إنجازاتهم بمظاهر متعددة تبرزها عدة اعتبارات، منها:

- تحويل المكتبات العربية إلى هيئات كبرى لها غايات عالمية، وهي بوادر أشبه بما نطلق عليه اليوم بالعولمة المعلوماتية.
- إطلاق الأوعية المعلوماتية من مراحلها التجريبية إلى جعلها صناعة عالمية، وهي صناعة الكتاب العربي الإسلامي.
- توفير بيئة صالحة ومناخ ثقافي وفكري متميز، أتاح لسائر الآراء والمدارس الفكرية فرصة التلاقح وردود الفعل، مما أوجد الآداب المكتوبة، وما نسميه الآن بالتراث العربي الإسلامي للعصور الوسطى، وهو التراث الذي بلغ أوجه خلال القرون الستة الأولى من التاريخ الهجري.
- الالتزامات الحضارية للفرد العربي المسلم تجاه المجتمع.

فخزانة بيت الحكمة التي أنشأها الرشيد في بغداد، والتي طورها المأمون من بعده، تحملت غايات عالمية نحو المحافظة على الإرث الثقافي العالمي. ففي مجموعاتها ومقتنياتها لم تميز بين النصوص العربية واليونانية والفارسية والسريانية وغيرها في جهود التعريب والإضافة، كما لم تميز في موضوعات الترجمة، ملتزمة مسؤولية عالمية تجاه الإرث الحضاري للإنسانية دون تحيز لفكر أو لغة أو ثقافة. وقامت كهيئة عالمية تحقق أهدافاً ثقافية مثلى. يعزز هذا الاستنتاج ما أشار إليه المؤرخون في مختلف تناولاتهم لدَوْر بيت الحكمة. فحين ترجم ابن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ) ليوحنا بن ماسويه (ت:٢٤٣هـ)، أشار إلى أن الرشيد كلفه جمع كتب أنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم، ووضعه أميناً على ترجمتها إلى العربية [عيون الأنباء١: ١٧٥] وحين ترجم ابن نباتة المصري (ت:٧٦٨هـ) لسهل بن هارون (ت: ٢١٥هـ)، أشار إلى كتب اليونان التي حملت إلى المأمون من جزيرة قبرص، ليتم حفظها وترجمتها إلى العربية في بيت الحكمة [سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون: ١٣٠] فالإشارات التاريخية الموثقة كثيرة ومتعددة، بيد أننا نعرض إلى بعضها على أنها أمثلة تجسد وتترجم الاتجاهات للغايات والأهداف العالمية لبيت الحكمة بوصفه مؤسسة ثقافية كبرى، استطاعت أن تجعل من نفسها رمزاً للثقافة العالمية السائدة آنذاك. ومثلما فعل يوليوس قيصر في إحراق رمز هوية البطالسة المتمثل في مكتبة الإسكندرية، فعل المغول الفعلة نفسها، حين دمرت جحافلهم بيت الحكمة، وألقوا بالكتب في مياه دجلة في فعل بربري، أثر بشكل واضح في التراكم المعرفي للتراث الإنساني.

المكتبات العربية مازالت في موقع يمكّنها من ممارسة دور فاعل في التنمية الثقافية والعلمية عن طريق استثمار ما آل إليها من تراث، وما يصب فيها من إنتاج فكري معاصر


عرض لأحد المقتنيات النادرة في مكتبة الإسكندرية التي عليها أن تواجه تحديات الألفية الثالثة

وتلك صورة من صور صراع الحضارات.

أما صناعة الكتاب، فهناك إجماع على أنها صناعة عربية إسلامية بالتأصيل، فعلى الرغم من أننا أخذنا صناعة الورق من تقنيات تعود إلى الحضارة الصينية القديمة، فقد عاد أحد الغزاة الفاتحين في القرن الهجري الأول إلى مكة المكرمة من سمرقند وهو يوسف بن عمرو وأنشأ أول مصنع للورق في مكة المكرمة قبل بغداد؛ وذلك سنة ٨٨هـ حين استبدل الحرير بالقطن وأنتج الورق الحجازي.

وجعل العرب من عناصر إنتاج الكتاب صناعة راقية ومتميزة، شملت فنون الخط، والأقلام، والمداد، والكاغد، والجلود، والرقوق، والألوان، والتذهيب، والزخارف، والتجليد، والرسوم، والتوضيحات، والتوثيق، والفهارس، وإبداع العناوين، وإخراج الكتب، مما لم يكن معروفًا في أي حضارة، ومن ضمن ما برع فيه العرب، اختيار عناوين مؤلفاتهم حتى طغت شهرة العناوين على أسماء المؤلفين، وجعلوها تتميز بعناصر ثلاثة:

- الوصف Descriptive
- الجرس Rythmic
- سهولة التذكير Memorable

أما البيئة الثقافية والمناخ المتميز الذي ساد الأرجاء العربية والإسلامية كافة في العصور الوسطى، فقد أديا إلى إنتاج أدبي راق، وأتاحا تميزًا لسمات الآداب المكتوبة مجسدًا ومترجمًا للاتجاهات الفكرية والثقافية والعلمية كافة، وبلغت تلك الحقيقة أوجها المتألق في عصر العباسيين، منعكسًا على جميع القضايا التي سادت القرون الأولى الستة من الحضارة العربية.

يكفي أن نشير - تمثيلاً - إلى قضية واحدة من مئات القضايا الفكرية، وهي المتمثلة في قضية الحوار بين الفلسفة والدين، أو بين الإيمان والعقل. فمؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) بخطابها الديني الذي آثر الدين على الفلسفة، والإيمان على العقل، أفسحت المجال لمؤلفات ابن

رشد (ت: ٥٩٥هـ) في الأندلس، وهي على نقيض مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي، وأثرت - فيما بعد - في عدد كبير من المفكرين المنتمين إلى ثقافات أخرى، وعلى نحو ما حدث من تأثير في فكر القديس توما الأكويني خلال القرن الثالث عشر الميلادي في أوربا.

أما التزامات الفرد المسلم نحو المجتمع، فتمثلت في سلوكيات كثيرة، أبرزها ما جاء ضمن مفاهيم الوقف. فالبداية جاءت على عهد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، حين تصدق وأوقف أموالاً أوصى بها مخيريق لرسول الله، فأضاف إليها شيئًا من أمواله. ثم تبعه الصحابة والخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم جميعًا في وقف أموالهم وحبسها على ما يحقق للمجتمع وسائل عبادته، وثقافته، وتعليمه، وتطبيبه، ورعايته اجتماعيًا، وهو ما استمر في العالمين العربي والإسلامي حتى الوقت الحاضر، على الرغم مما يتصف به الوقف الآن من تراجع وتَرَدٍّ.

فصارت الكتاتيب والمدارس والمكتبات والأربطة والبيمارستانات والمساجد وغيرها من مسؤوليات الفرد، يسهم في إنشائها وحبس الأموال لتشغيلها، في تجسيد دوره الاجتماعي والثقافي لبناء المجتمع.

على أن الغاية من هذه الفذلكة التاريخية الموجزة للمكتبات العربية هي التأكيد على أننا حين نتناول المكتبات العربية في الألفية الثالثة، لا يمكن لنا أن نعزلها عن ماضيها، ولا يمكن تجاهل الدور الذي أدته في الحضارة الإنسانية، أو السمات التي اختصت بها دون غيرها.

فالمكتبات العربية ليست وليدة اليوم، بل هي مخاض حضارة، ومستودع ثقافة مؤثرة، ولم تكن في ماضيها أسيرة للثقافة التي ولدت فيها، بل كانت أمينة على ثقافات العالم القديم كله، تجسد في مجموعاتها التي بقيت حتى اليوم تراثًا إنسانيًا لا يمكن لنا إغفاله حين نتطلع إلى دور المكتبات العربية في الألفية الثالثة.

فخامة المكتبة المعاصرة كما تبدو في مكتبة الكونجرس

ونسأل - بإلحاح - عن المتغيرات الكبرى في عالم اليوم، وأقصد بها المتغيرات المعلوماتية مما يمكن أن يكون له أثر وانعكاس على دور المكتبات من ناحية، وعلى صناعة أوعية المعلومات من ناحية أخرى.

وأثر ذلك كله في تعامل المستفيد مع المكتبة والكتاب. وهل تنعكس تلك المتغيرات على المفاهيم التقليدية للمكتبات العربية؟

تكتسح العالم حاليًا ثلاث قضايا رئيسة، تتمثل فيما يأتي: العولمة، والتدفق المعلوماتي، ووسائل الاتصال وتقنياته.

فأدبيات العولمة تطرح كمًا هائلاً من الدراسات والأبحاث، تراوح بين الآراء المؤيدة والمعارضة، ويذهب بعض الناس إلى التحذير من مخاطر العولمة على النظم الاجتماعية والثقافية والدينية، وخصوصًا في المجتمعات غير الغربية، ويذهبون بعيدًا في تحذيراتهم بأن السعي إلى جعل العالم «قرية كونية» يؤدي - لا محالة - إلى طمس الملامح الاجتماعية والثقافية، وأن محور الدعوة إلى الأخذ بمعايير العولمة، ما هو إلا عملية تاريخية تؤدي إلى سيطرة الحضارة الغربية بتقنياتها الرقمية. وهي تترك الذين لا يمتلكون وسائل التعامل والتواصل معها، إما إلى محاولة تحقيق ذلك التواصل، أو الانزواء في العزلة

المكتبات العربية ليست وليدة اليوم، بل هي مخاض حضارة، ومستودع ثقافة مؤثرة، ولم تكن في ماضيها أسيرة للثقافة التي ولدت فيها، بل كانت أمينة على ثقافات العالم القديم كله

المعلوماتية. على أن أصحاب هذا الرأي - وخاصة في الغرب - يميلون إلى إزالة خط التمايز بين الثقافات المختلفة بهدف إيجاد واقع ثقافي واجتماعي جديد، يسود العالم في ألفيته الثالثة.

معايير التنافس المعلوماتي

هناك خمسة معايير وضعها مارتن Martin (عام ١٩٨٨م ص٥١) للتنافس المعلوماتي بين الدول المطبقة لنظم العولمة المعلوماتية وهي:



مكتبة الخالدية بفلسطين بعد ترميمها في انتظار مقومات التحدي لمتطلبات الألفية الثالثة

- المعيار التقني، بحيث تكون تقنية المعلومات مصدر قوة أساسية وطنية في الدولة.
- المعيار الاجتماعي، بحيث تستهدف المعلومات تنمية المجتمعات علميًا وثقافيًا من خلال الإتاحة الفاعلة.
- المعيار الاقتصادي، بحيث تُسوَّق المعلومات،

وتعامَل كسلعة اقتصادية، تخضع لتوازنات القيمة والمنافسة.

- المعيار السياسي، بحيث تعمل حرية تدفق المعلومات إلى بلورة واقع سياسي يستند إلى المشاركة والقبول بتعدد الآراء.

- المعيار الثقافي، بحيث يتم الاعتراف بالقيم المعلوماتية الأساسية، كاحترام الملكية الفكرية، والأمانة العلمية، والتوثيق وأمن المعلومات الشخصية، والصدق.

يلاحظ على تطبيق تلك المعايير في الدول المتنافسة، ضرورة توفير:

- بنية معلوماتية.

- قواعد إنتاجية للمعلومات.

فالرغبة في تحقيق قدر إيجابي من العولمة المعلوماتية، تفرض على الدول تبنّي سياسات معلوماتية وطنية، تستهدف تحقيق قدر من النمو يجعل من بنيتها مصدر قوة حقيقية تتكامل مع كل مظاهر التنمية الوطنية في شتى المجالات، وهو ما

العمليات التي تقوم بها المكتبات العربية تجاه المخطوطات، تدور جميعها حول النص التراثي المخطوط من داخله، وتغرق في التفاصيل الدقيقة لتجليات الذات، دون أن تدخل في علاقة جدلية مع الآخر

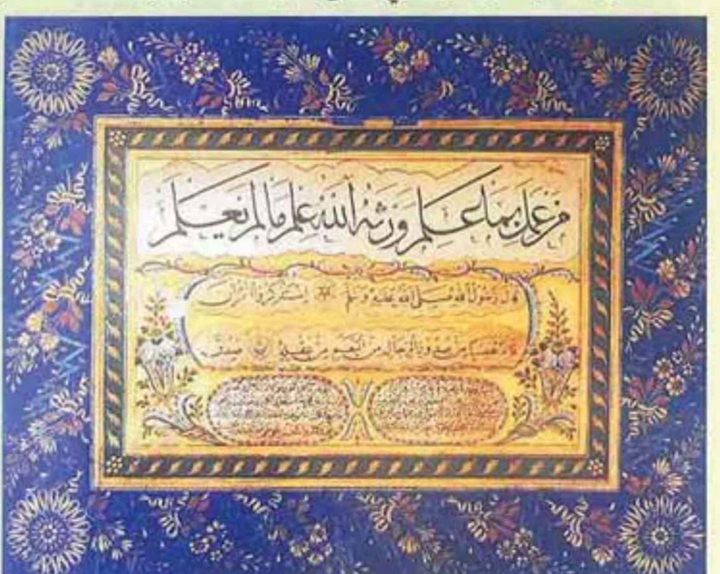
يحقق لها بناء قواعدها الإنتاجية الوطنية، بدلاً من الدخل الريعي في أسهم شركات الإنتاج المعلوماتي الأجنبية.

أما التدفق المعلوماتي الذي يسود العالم اليوم، فقد تضخَّم إلى درجة لم يعد بمقدور المكتبات معها متابعته بالطرائق التقليدية، وهو ما دفع إلى التعاون عبر شبكات محلية LAN، وشبكات موسعة WAN، يتاح عبرها توفير المصادر عن بعد للمشاركين في الشبكة.

لقد تطورت وسائل الاتصال وتقنياته بدرجة كبيرة ومتسارعة. وقد أتاحت تلك الوسائل التقنية ربط المكتبات بعضها ببعض داخل منظومات محلية ووطنية ودولية. وشبكة الإنترنت التي انطلقت عام ١٩٧٩م كشبكة محدودة تصل بين عدد من الجامعات، توسعت لاحقًا باستخدام وسائل اتصالات الهايبرتكست، لتنتشر وتتسارع في ربط منظومة من مئات الملايين من الحاسبات الشخصية التي توفر للأفراد والهيئات خدمات معلوماتية كانت تؤديها المكتبات ومراكز المعلومات بصورة جزئية. إن هذه الشبكة العالمية توفر كمًا معلوماتيًا كبيرًا، لكنها في الوقت نفسه توفر مواقع إباحية كثيرة، تستهدف المساس بالقيم الاجتماعية والثقافية للمجتمعات.

إن الواقع الذي فرضته العولمة المعلوماتية، والتضخم المعلوماتي، ونظم الاتصال التقنية، يدفع بالهيئات المعلوماتية وأهمها المكتبات، إلى مراجعة أهدافها وأدوارها وبرامجها، متلمسة حاجات المستفيدين في ضوء تلك المعطيات الجديدة.

وقد أخذت المكتبات العالمية بالفعل إحداث



التراث العربي المخطوط أساس لبلورة الخطاب الثقافي العربي

تغييرات هيكلية على نمطية أهدافها ووظائفها، واتخذت كل الترتيبات لتوجيه مصروفاتها لاستكمال بنياتها الاتصالية، بهدف الربط الآلي بين المنظومات، وتوسعت في ذلك الأمر حتى لا يقتصر الربط بين منظومات داخل الوطن الواحد، بل يتعداه إلى منظومات عالمية.

لعل أهم ما استحدث على غايات المكتبات الأساسية هي تغيير كلمة «جمع» إلى كلمة «إتاحة» فأصبح هدفها الأول «إتاحة أوعية المعرفة».

ذلك أن جمع الأوعية أمام التضخم المعلوماتي أصبح ضرباً من المستحيل، ولم يعد بمقدور مكتبة ما أن تفاخر بحجمها ومجموعاتها، بل تفاخر بإمكاناتها الاتصالية عبر خطوط فائقة السرعة، واتفاقيات (بروتوكولات) في التعاون، ونظم لأمن المعلومات وحمايتها.

على أن الإيجابية في الأخذ بتلك المتغيرات تتم في ضوء التكافؤ بين المكتبات ومراكز المعلومات في إمكاناتها الاتصالية، وفي تأهيل المعلومات المحلية، وإتاحتها للبث والتواصل مع سائر المكتبات الأخرى. وهي طريق معلوماتي مزدوج، يحقق الكفاية والإيجابية إن سار في اتجاهين بالكفاءة والقدرة والفاعلية نفسها.

إن المكتبات ومراكز المعلومات العالمية أخذت تتهيأ للمتغيرات قبل دخول الألفية الثالثة، وأخذت في مراجعة أدوارها، وتلمّس حاجات المستفيدين. نشير بهذا الصدد إلى اتجاه المكتبات العامة في دول السوق الأوروبية المشتركة، والتي تكوّن منظومة يقارب عددها الإجمالي أربعين ألف مكتبة عامة، حين عقدت «اتفاقية لوفين» عام ١٩٩٨م التي تنص على إعادة النظر في دور المكتبات العامة الأوربية، بحيث تم الاتفاق على التكامل فيما بينها بما يحقق للمستفيد في الدول الأوربية كافة الاستفادة من مصادر الشبكة الأوربية، مع الأخذ في الحسبان الاحتياطات التي تراعي القيم المحلية الخاصة بكل دولة.



تسعى المكتبة الحديثة إلى العناية بكل فئات المجتمع

المكتبات العربية والمستقبل

نعود إلى العالم العربي ونتساءل، أين تقف المكتبات العربية من كل تلك المتغيرات؟ وما الذي يجب أن تكون عليه تطلعاتها في الألفية الثالثة؟

لا شك أن معظم الدول العربية تتمتع ببنيتها من المكتبات، والتي تتكون عادة من المكتبة الوطنية، والمكتبات الجامعية والمتخصصة، والمكتبات العامة، والمكتبات المدرسية، ومراكز المعلومات. غير أن الدراسات النوعية تشير إلى تباين في المستوى النوعي لتلك البنى، إذ إن بنية المكتبات العربية ما زالت في مراحل النمو التقليدي الذي يعتمد على بناء المجموعات وفق المتطلبات المحلية. وتعاني المكتبات العربية بأنواعها كافة العزلة: العزلة

المحلية، والعزلة الوطنية، والعزلة الإقليمية والدولية.
كما تعاني كثيراً عدم القدرة على التعاون والتنسيق فيما بينها.
إن الأسباب لتلك العزلة كثيرة، لعل أهمها:
- عدم توافر سياسات وطنية للمعلومات ومراكزها ومنها المكتبات.
- ضعف بنية الاتصالات التقنية.
- ضعف بنية الكوادر المعلوماتية الوطنية.
- ضعف الإنفاق على المعلوماتية ومراكزها.
فمنذ عام ١٩٧٤م دعت اليونسكو عبر برنامج نظم المعلومات الوطنية NATIS الدول النامية كافة إلى وضع خططها الوطنية للمعلومات بهدف تقليل الهوة المعلوماتية بين دول الشمال ودول الجنوب. إلا أن نصيب العالم العربي في تبني مثل تلك الخطط لم يكن ملموساً.

دفعت المتغيرات المعلوماتية المكتبات العالمية كافة منذ التسعينيات إلى الدخول في طفرة كبيرة انعكست على أهدافها وبرامجها وخدماتها ومجموعاتها وكوادرها

لقد استفادت دول شرق آسيا مبكراً من تلك البرامج، فأنشأت كوريا الجنوبية هيئة تنمية التقنية المعلوماتية تحت إشراف مباشر من رئيس الدولة، وحققت نجاحاً باهراً في إقامة صناعة إنتاجية للمعلومات على وسائط ميكرو إلكترونية. وحققت الصين الوطنية وادي السليكون الآسيوي دعماً لبرامج إنتاج أدوات صناعة المعلومات، وتبنت سنغافورة برنامج تطوير البرمجيات المعلوماتية، ثم انتقلت الصناعة المعلوماتية إلى باقي دول جنوب آسيا كالهند وإندونيسيا وماليزيا وغيرها.
والمكتبات العربية - وقد أشرنا بإيجاز إلى مكانتها التاريخية - جديرة بأن تتبوأ مكانتها ضمن منظومة المكتبات العالمية، وتنتقل من مرحلة التبعية إلى مرحلة المشاركة. وتستطيع - تمثيلاً - أن تؤدي مقتنياتها التاريخية الموروثة من آلاف المخطوطات دوراً في بلورة الخطاب الثقافي العربي؛ فالنصوص التراثية العربية المخطوطة والمختزنة في مئات من المكتبات العربية تحتاج إلى جهد كبير للتعبير عن خطابها وتصديره إلى خارج حدودنا عبر مؤسسات المعلومات العربية، وعبر مفاهيم الإتاحة التي أصبحت من أهم وظائف المكتبات في الألفية الثالثة.
يرى يوسف زيدان (وهو


الاهتمام بالطفل من مهام المكتبة المعاصرة

أحد المثقفين العرب) أن العمليات التي تقوم بها المكتبات العربية تجاه المخطوطات من فهرسة ودراسة ونشر، تدور جميعها حول النص التراثي المخطوط من داخله، وتغرق في التفاصيل الدقيقة لتجليات الذات، دون أن تدخل في علاقة جدلية مع الآخر، ويستطرد بأن تثاقفاً يتم في الوقت الحاضر بين الأمم والجماعات عبر وسائل وتقنيات الاتصال الحديثة، يحدث من خلاله تبادل الخطاب الثقافي، مما يؤدي إلى تفاعل بين الثقافات. وأن الإخفاق في المشاركة في مثل هذه العمليات الثقافية المتبادلة يؤدي إلى تراجع بعض الثقافات وإخفاقها في التعريف بما تملك [التراث العلمي العربي ٢٠٠٠، ١٦٧].

لقد دفعت المتغيرات المعلوماتية المكتبات العالمية كافة منذ التسعينيات إلى الدخول في طفرة كبيرة انعكست على أهدافها وبرامجها وخدماتها ومجموعاتها وكوادرها حتى غدونا نطرح من الأسئلة ما لم يكن بالإمكان طرحه قبل عقد من الزمان.

- هل تغير تقنيات المعلومات جميع المفاهيم التقليدية للمكتبات؟
- ما مدى تأثيرها في تصميم مباني المكتبات وأحجامها؟
- ما مدى تأثير الإتاحة المعلوماتية في برامج التزويد؟
- ما متطلبات الألفية الثالثة في تأهيل الكوادر العاملة في المكتبات؟
- ما الالتزامات القانونية في التعامل مع بينات الشبكات الإلكترونية العالمية التي لا تعرف حدوداً في بثها؟
- ما الضمانات المساندة للمحافظة على الفكر البشري حالة تعرض النظم الإلكترونية للتدمير الجزئي أو الكلي؟
- ما مستويات المشاركة المعلوماتية بين الدول، ولاسيما الدول الغنية والدول الفقيرة؟
- كيف تعالج الهوة اللغوية في التعامل مع المعطيات الآلية؟

على المكتبات العربية وهي تدخل الألفية الثالثة، أن تبادر إلى إعادة النظر في أهدافها، وغاياتها، وفق المفاهيم الجديدة، وأن تعيد تنظيم مقتنياتها، بما يتيح لها بث محتوياتها عن بعد



على المكتبات العربية إعادة تنظيم مقتنياتها وفقاً للمفاهيم الجديدة باستخدام الوسائل التقنية الحديثة

المكتبات العربية في الألفية الثالثة لابد أن تكون جزءاً فاعلاً في تلك الطروحات، وأن تسهم بالمشاركة الجادة في طرح الحلول، وأن ينعكس استيعابها لتلك المشكلات في إحداث نقلة نوعية في المكتبات ومراكز المعلومات العربية.

أما بالنسبة إلى دورها في تفعيل الدور الثقافي للإنتاج الفكري العربي المعاصر، فإن ثمة حقائق



تطوير تقنيات التعامل مع المعلومات معيار للتنافس المعلوماتي بين الدول

لابد من الاعتراف بها دون مواربة، ومنها:

ـ أن الإنتاج الفكري هو حصيلة عصره ومناخه الاجتماعي والثقافي العام، وهو انعكاس للحالات الاجتماعية والثقافية، ويستند في مده وجزره إلى تلك الحالات سلباً أو إيجاباً.

ـ أن التحديات الثقافية التي تواجه الوطن العربي كبيرة يتسرب بعضها من داخله، والأكثر شراسة من خارجه، وليس هناك من وسيلة إلا امتلاك الأدوات، ودعم البحث العلمي، وتوفير المناخ المناسب، وفتح أبواب التواصل، وتأصيل القيم الثقافية.

ـ أن الأوضاع الاقتصادية في الوطن العربي تؤثر سلباً في مناح كثيرة، بيد أن المكتبات وأوعية الثقافة هي الأكثر تأثراً نتيجة تقليص الإنفاق عليها بشكل ملموس.

ومهما كانت خطورة تلك الحقائق وانعكاساتها، فإن المكتبات العربية مازالت في موقع يمكّنها من ممارسة دور فاعل في التنمية الثقافية والعلمية عن طريق استثمار ما آل إليها من تراث، وما يصب فيها من إنتاج فكري معاصر. وقد يسأل سائل: وكيف؟

إن على المكتبات العربية وهي تدخل الألفية الثالثة، أن تبادر إلى إعادة النظر في أهدافها، وغاياتها، وفق المفاهيم الجديدة، وأن تعيد تنظيم **مقتنياتها، بما يتيح لها بث محتوياتها عن بعد، وأن تأخذ بوسائل التقنية والاتصالات، وأن تتيح فرص استخدامها عبر مواقعها في الشبكة العالمية، وأن توسع من قاعدة المستفيدين منها، وأن تعيد النظر في خدماتها. وأن تعقد الاتفاقيات فيما بينها ومع الآخرين للتزويد التعاوني، وأن تحول المفاهيم البائدة في الخزن إلى مفاهيم الاستثمار.**

وتلك تطلعاتنا ـ في حدها الأدنى ـ للمكتبات العربية في الألفية الثالثة.

المراجع

١. ابن نباتة المصري، جمال الدين. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. دار الفكر العربي. القاهرة. ١٩٦٤م.
٢. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. المطبعة الوهبية. القاهرة. ١٩٨٢م.
٣. كوركيس عواد. خزائن الكتب القديمة في العراق ـ مطبعة المعارف. بغداد. ١٩٤٨م.
٤. عبدالفضيل، محمود. مصر ورياح العولمة. القاهرة. دار الهلال. ١٩٩٩م.
٥. علي ونبيل. العرب وعصر المعلومات. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ١٩٩٤م.
٦. معهد المخطوطات العربية. التراث العلمي العربي (بحوث ومناقشات ندوة قضايا المخطوطات). وتحرير فيصل الحفيان. القاهرة. معهد المخطوطات العربية. ٢٠٠٠م. ص ١٦٠ ـ ١٦٨.
٧. يحيى محمود ساعاتي. الوقف وبنية المكتبة العربية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض ١٤٠٨هـ.
8 - Grawford, walt. Future Libraries. Ala, chicago. 1995
9 - Ilion, A. the Globalisation of Information IN the International Conference On Public Libraries & the Information Society. Cairo, 7-8 Dec 1998
10 - Martin, W. the Information Society. London. Aslib. 1988.
11 - Weeb, T.D. Building Libraries for the 21st Century, Mc Farland, London, 2000.
12 - Woodward, J. Count down to a New Library, Ala, Chicago 2000.

مصادر الصور: الإنترنت وأرشيف الفيصل.

مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية

الشاهد البوشيخي
فاس ـ المغرب

العنوان مركب من عنصرين كبيرين هما: «المعجم التاريخي» و«المصطلحات العلمية» ولابد لبيان المراد من المركب منهما من بيانهما، فما المقصود بهما؟

مفهوم المعجم التاريخي:

يقصد بـ «المعجم التاريخي» ذلك المعجم الذي يؤرخ لحياة الألفاظ التي يتضمنها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها أو موتها؛ متتبعًا التطور الذي طرأ عليها، ولا سيما الدلالي (اتساعًا وضيقًا، واستقرارًا واضطرابًا)، والاستعمالي (كثرة وقلة، ومكانًا وزمانًا وميدانًا).

وغني عن البيان أنه معجم أولاً؛ فيه ما في المعاجم من مقومات المعجمية شكلاً ومضمونًا، ثم تاريخي ثانيًا.

مفهوم المصطلحات العلمية:

ويقصد بـ «المصطلحات العلمية» تلك الألفاظ التي تسمى مفاهيم معينة، في أي علم من العلوم، بأصنافها الثلاثة: العلوم الشرعية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المادية؛ في أي عصر من الأعصار، وفي أي مصر من الأمصار، ولدى أي اتجاه من الاتجاهات، وفي أي تخصص من التخصصات.

وغني عن البيان أن المصطلحية هنا تصدق على اللفظ في أي مرحلة من مراحل حياته المصطلحية، منذ الاقتراح حتى الاستقرار(١).

وغني عن البيان أيضًا أن العلمية هنا لا تعني النسبة إلى العلم الذي خصصت له ـ تمييزًا له ـ «كليات العلوم» في العصر الحديث(٢).

مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية:

وعليه، فالمقصود بالمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية في لغتنا وحضارتنا: هو ذلك العمل العلمي الجامع لكل الألفاظ التي تسمى مفاهيم، في أي علم، مرتبة المباني ترتيبًا معجميًا، لتيسير الوصول إليها، معروضة المعاني عرضًا تاريخيًا، لرصد التطور الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها.

فخرج بقيد «العلمية»، كل الأعمال غير العلمية التي قد يكون ضررها أكثر من نفعها. وما أملأ الأسواق بالأعمال التجارية التي تحرص على السبق بغير حق!

وخرج بقيد «الجامع لكل الألفاظ التي تسمى مفاهيم»، غير الجامع: الذي يذكر بعضًا ويترك بعضًا؛ فيجعل التصور للواقع مبتورًا، والدلالة ناقصة؛ إذ «ليست المصطلحات مفاتيح العلوم فحسب، بل هي خلاصة البحث فيها كل عصر ومصر؛ ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها يتلخص تطور العلم»(٣).

كما خرج به كل الألفاظ التي ليست بمصطلحات.

وخرج بقيد «أي علم عرفه تاريخنا»، المقتصر على مصطلحات علم أو علوم، غير الشامل لمصطلحات كل العلوم في تاريخنا. وفيه - على أهميته - من القصور ما لا يخفى.

وخرج بقيد «مرتبة ترتيباً معجمياً»، كل ما ليس بمرتب، أو هو مرتب ترتيباً ليس بمعجمي. وفي ذلك ما فيه من العنت والعسر.

وخرج بقيد «معروضة المعاني عرضاً تاريخياً»، كل ما ليس كذلك. وهذا أهم قيد وأخص قيد، وهو في الموجود المتداول أفقد قيد. وبانعدامه ينعدم الوجود لهذا المعجم ويفوت منه المقصود.

وبما أن مثل هذا العمل العلمي الشامل هو عادة فوق طاقة الأفراد، ويحتاج في تخطيطه المنهجي، وتنفيذه العلمي، إلى جهود وجهود من ذوي التفكير السديد، والتدبير الرشيد، والصبر المديد، فقد صار عبارة عن مشروع من المشاريع. ولكل مشروع موجبات للبحث فيه، وأهداف، ووسائل، ومراحل يتطلبها السير - على بصيرة - فيه.

موجبات البحث في «المشروع»

لا جرم أن موجبات البحث في مثل هذا المشروع كثيرة ومتنوعة، ولكن أهمها ثلاثة:

الموجب اللغوي:

وأساسه الحاجة الماسة إلى معرفة تاريخ الألفاظ في اللغة العربية، إذ اللغة بنت الاستعمال، وكل مستعمل لابد أن يضمّن ألفاظه رؤيته. ولكل قوم ألفاظ(٤)، ولكل صناعة ألفاظ(٥)، والأقوام يتطورون، والصناعات تتطور؛ ولا يكاد يختلف المعجم الخاص في ذلك - عند النظر إليه متحركاً في التاريخ - عن المعجم العام، فوجب، رصداً لذلك التطور، التتبع التاريخي للألفاظ دلالة واستعمالاً، في كل الأعصار والأمصار، ولدى كل الاتجاهات والبيئات، لتؤدي اللغة وظيفتها الطبيعية في التواصل، وليفقه اللاحق مقالة السابق، دون ظلم ولا هضم.

صحيح أن ذلك لا يقوم على وجهه الصحيح، شمولاً وكمالاً، إلا بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية جملة، لكن من يدّعي أن إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ليس أهم خطوة في الاتجاه الصحيح؟

الموجب العلمي:

وهو أظهر من أن ينبه عليه؛ لحاجة العلوم كلها في تاريخنا الطويل العريض إلى تاريخ أمين دقيق؛ تاريخ ينطلق واصفاً الجزئيات، ثم يتدرج راصداً التطورات، ثم يقف مستخلصاً الكليات؛ تاريخ يقوم على النصوص الموثقة، والمصطلحات المدققة، والفهوم المحصة المحققة؛ تاريخ يقام فيه لكل علم عموده، وتضبط فيه لكل علم حدوده، ويتبلور فيه لنسق كل علم وجوده؛ تاريخ يتحدد به الرصيد، ويعرف به القديم من الجديد، ويكون حجر الأساس لكل بناء جديد. إنه التاريخ المنتظر للعلوم في تاريخنا الطويل العريض، ولا سبيل إليه قبل المعجم المفتاح، وبغير المعجم المفتاح: المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. فهل يستجيب العلماء في هذه الأمة لهذا التحدي؟.

يقصد بـ «المصطلحات العلمية» تلك الألفاظ التي تسمى مفاهيم معينة، في أي علم من العلوم، بأصنافها الثلاثة: العلوم الشرعية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المادية

الموجب الحضاري:

إن الأمة اليوم في مرحلة اختبار واختمار: اختبار لقدرتها على البقاء مع شدة البلاء، واختمار لقدرتها على تحمل البلاء من أجل البقاء. ولن يعينها في الاختبار وعلى الاختمار مثل العلم؛ تستوعب ما كان منه، وما هو كائن، لتؤسس ما ينبغي أن يكون.

إن التحدي الحضاري الحالي للأمة يهددها تهديداً حقيقياً بالفناء، وإن التصدي الحضاري المكافئ له لن يكون، أو يمكن، بغير إعادة بناء الذات، ولا سبيل إلى إعادة بناء الذات بغير الانطلاق من التراث، ولا سبيل إلى التراث بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات.

وبما أن التراث ممتد في الزمان والمكان والإنسان، فإن ضرورة فهمه - على سعته - من أجل الاستيعاب فالتقويم، فالتوظيف، تقتضي إيجاد معجم تاريخي شامل كامل لمفاتيحه التي هي المصطلحات.

فإذا أضيف إلى ذلك أن هذا التراث - وإن قرئ مرات - لما يقرأ بعين الذات، مما دعا إلى المناداة بضرورة القراءة الثالثة للتراث، تخليصاً له من آثار النظارات الزرقاء لغرب الغرب، وآثار النظارات الحمراء لشرق الغرب(٦).

إذا أضيف ذلك، تأكدت ضرورة هذا المعجم الحضارية، وتأكد وجوب إنجازه السريع للبناء، والشروع في مشروعه، تقوية للقدرة على البقاء وتحمل البلاء.

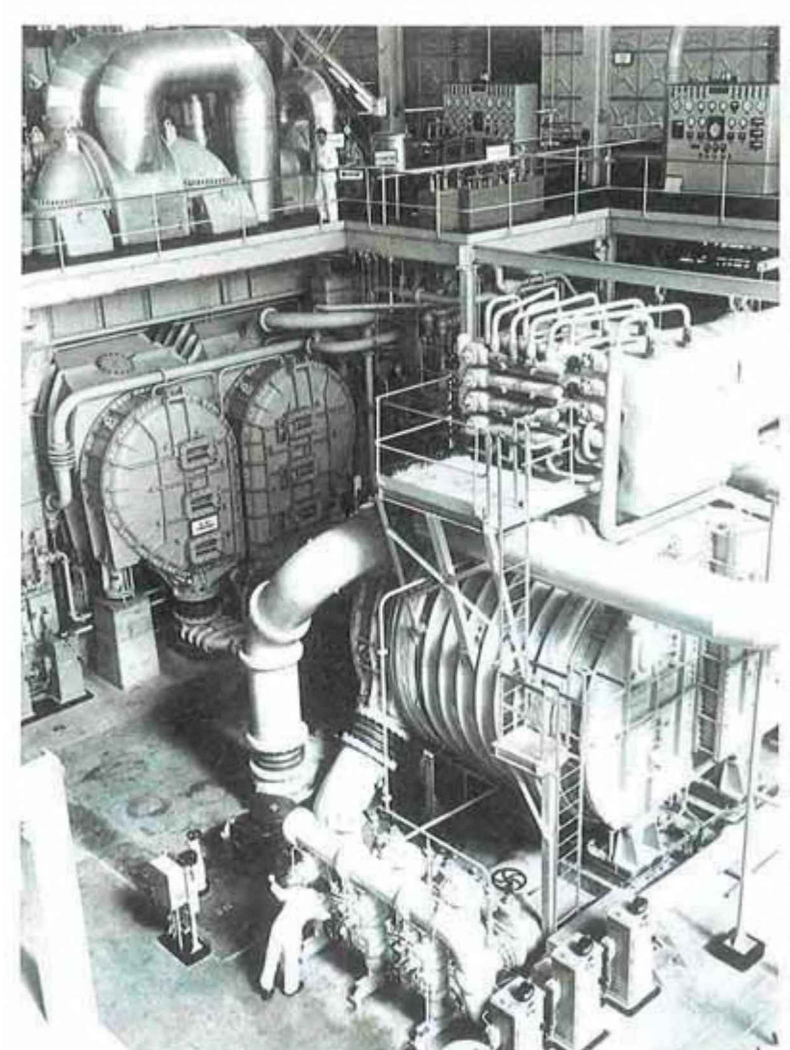
أهداف المشروع

للمشروع ضربان من الأهداف: قريبة حسية ظاهرة الأثر، وبعيدة معنوية عميقة الأثر.

الأهداف القريبة: فأما القريبة فثلاثة على التوالي:

إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية المعرفة:

ونقصد بالمصطلحات العلمية المعرفة: كل الألفاظ العربية الاصطلاحية التي تم شرحها ضرباً من الشرح، في أي تخصص من التخصصات العلمية، وفي أي قرن من قرون ثقافتنا.



لكل قوم ألفاظ، ولكل صناعة ألفاظ، والأقوام يتطورون والصناعات تتطور!!

ونقصد بالمعجم التاريخي لها: نسقها - بعد جمعها مع شروحها - نسقاً تاريخياً يقدم فيه السابق على اللاحق.. [نسقاً يتضمن] جميع شروح.. المصطلح مذ ظهر أول شرح له... حتى آخر شرح، موثقة محققة قدر الإمكان»(٧).

والهدف من هذا الهدف هو «جمع جهود العلماء السابقين في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية في مختلف العلوم، ووضعها رهن إشارة الدارسين المصطلحيين للاستفادة منها بكل ضروب الاستفادة، ولدراستها أيضاً بكل أنواع الدراسة، وللبناء عليها فيما هو آت»(٨) من أمر إنجاز المعجم العام الشامل موضوع العرض.

وهذا الهدف، على قربه وصغره، بعيد المقاصد، كبير الفوائد.

إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات كل علم:

مثل المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، أو اللغوية، أو النقدية، أو غير ذلك. ويشتمل على جميع مصطلحات ذلك العلم: المعرف منها وغير المعرف، مصنفة معجمياً، ومدروسة الدراسة المصطلحية التاريخية(٩)، بعد الدراسة الوصفية(٩).

وبظهور مثل هذه المعاجم الخاصة بكل علم، يظهر المفتاح التاريخي الخاص لكل علم، فينفتح باب القراءة الصحيحة لأي مؤلف (بفتح اللام) أو مؤلف (بكسر اللام) أو مدرسة أو



مفتاح التراث هو المصطلحات

اتجاه.. في أي علم، فيتخلص من كثير من الأخطاء القديمة والجديدة في الفهم، وما ينبني عليها من اختلافات أو اضطرابات في الحكم.

إيجاد معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم:

وهو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية موضوع العرض. ويمثل البحر الذي تصب فيه جميع الأنهار السابقة ممزوجة في كل مادة من مواده؛ ففي مادة (ن. ق. د) مثلاً: النقد لدى المحدثين، والنقد لدى الأدباء، والنقد لدى الفقهاء.. وهكذا في كل مصطلح. ولا حاجة - بعدما تقدم - إلى التفصيل في هذا المعجم.

الأهداف البعيدة: وأما الأهداف البعيدة فهدفان:

فهم التراث:

والذي يعنينا منه ها هنا، هو التراث العلمي - بالمفهوم العام للعلم - وهو مجموع ما ورثناه من العلم عن الآباء. وأنفس ما فيه هو الوحي: كتاباً وسنة، ثم عطاء العلوم المستنبطة منه، أو الخادمة له، أو المتأثرة به، عبر القرون؛ من علوم شرعية، أو إنسانية، أو مادية. ثم يأتي من بعد ذلك ما بعد ذلك وما دون ذلك، مما تتبرأ منه روح التراث، وقيم التراث، ولغة التراث؛ من دخيل قديم، وغاز جديد، لا صلة له بالتراث إلا أنه من الميراث.

والتراث، بسبب الجمود القديم أو الجحود الجديد، قد حيل بينه وبين نابتة الأمة. ولم تزده القراءات المتكررة له من الخارج إلا بعداً عنها، فوجب اتخاذ سبيل للقراءة من الداخل، وهذه السبيل هي الدراسة المصطلحية الوصفية فالتاريخية للمصطلحات العلمية في تراثنا، والتي يجلي ثمرتها وخلاصتها «المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية».

«إن تراثنا هو ذاتنا؛ إذ المستقبل غيب، والحاضر - علمياً - لا وجود له، فلم يبق إلا الماضي الذي هو مستودع الذات وخزان الممتلكات، بما لها وما عليها من ملحوظات وملاحظات، فكيف نعرف إذن الذات إذا لم نفقه التراث؟

وإن مفتاح التراث هو المصطلحات، وإنما تُؤتى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته..

وإن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات؛ ذلك بأنها تعرِّف غير المعرَّف، وهو الأغلب، وتدقق تعريف ما عرِّف فلم يعرَّف، وهو الأقل، وتصحح أخطاء أصحاب النظارات الملونة، أو الذين يدرسون التراث بالطائرة، أو الذين لا يقوم منهجهم على الإحصاء، فتندّ عنهم أشياء وأشياء»(١٠).

تجديد بناء الذات:

وأول التجديد قتل القديم فهما كما قيل، وذلك ما تقدم في «فهم التراث»، وإنما يدرس التراث للبناء به وعليه فيما هو آت؛ ذلك بأن الأمة وهي تجتاز مرحلة الاختبار والاختمار، محاولة استئناف السير في اتجاه الشهود الحضاري الواجب عليها للشهادة على الناس، تحتاج أول ما تحتاج إلى تحديد عناصر القوة في ذاتها لتفعيلها، ومعرفة مقدار ذخيرتها ونوعها لتوظيفها والاستفادة منها في بابها وإبانها، وتعرّف وجوه النقص والقصور فيها لتكميلها، وكل ذلك يتيسر بعد فهم التراث وتقويمه، والمفتاح الفاتح لكل ذلك هو «المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية».

يقصد بـ «المعجم التاريخي» ذلك المعجم الذي يؤرخ لحياة الألفاظ التي يتضمنها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها أو موتها؛ متتبعاً التطور الذي طرأ عليها

إن هذا المعجم ليس هو النهاية وإنما هو البداية؛ به تبدأ المراجعة لمصطلح الماضي، وبنتائجه تبدأ المواجهة لمصطلح الحاضر، وعلى أساسه يتم ما هو أهم من ذلك، وهو بناء مصطلح الغد؛ ذلك المصطلح الذي تتلخص علاقته بمستقبل الذات في ثلاث:

- «ضرورة الإبداع المصطلحي لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات، ولا إبداع مصطلحياً بغير الإبداع العلمي، وإنما يسمى من ولد، ولا ولادة طبيعية بغير أبوين: اللغة الأم، والتراث الأب، ومن شذّ شذ في الضياع، وإنما يأكل ذئب التاريخ من اجتهادات الأمم القاصية.

- ضرورة الاستقلال المصطلحي لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه.

- ضرورة التفوق المصطلحي كيفاً وكماً، لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق للمصطلح بغير تفوق أهله، وإن السماء لا تمطر تفوقاً ولا إمامة حضارية، بل لابد من السبق في عالم الأسباب، وإتيان البيوت من الأبواب»(١١).

مراحل المشروع

المراحل الكبرى لإنجاز المشروع ثلاث:

- مرحلة المصطلح المعرَّف:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يركز فيها على تحقيق الهدف القريب الأول، وهو: إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية المعرفة. وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

- مرحلة الجمع والتوثيق: «وفيها يتم التقصي لجميع المصطلحات المعرفة ضرباً من التعريف، في جميع المظان، بدءاً بالأقدم فالأقدم، والأغزر مادة فالأغزر، والأوثق نصاً فالأوثق»(١٢)؛ تجمع، وتوثق في جذاذات خاصة مصممة لهذا الغرض، لتسهيل التصنيف بعد.

- مرحلة المراجعة والتدقيق: وفيها يتم التأكد من صحة المعلومات وتمامها وصحة تصنيفها.. يدوياً وحاسوبياً ما أمكن.

- مرحلة التصنيف والتأليف: وفيها يتم تصنيف جميع ما جمع تصنيفاً تاريخياً، لإبراز الاهتمام به عبر التاريخ. ثم حسب كل علم، لإيجاد المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة لذلك العلم. ثم تؤلف المعجمات كلها في معجم جامع هو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة.

وبتأليفه تكون المرحلة الأولى من مراحل المشروع قد انتهت لينتقل إلى المرحلة الثانية.

مرحلة المصطلح غير المعرَّف:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يركز فيها على تحقيق الهدف القريب الثاني، وهو إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات كل علم على حدة. وبما أن المصطلح غير المعرَّف أكثر بكثير من المعرَّف، فقد سميت المرحلة باسمه.

وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

ـ مرحلة الدراسة الوصفية لمصطلحات كل علم، بأركانها وشروطها المفصلة في منهج الدراسة المصطلحية(١٣). وهذه المرحلة طويلة شاقة إلا على من يسرها الله تعالى عليه؛ لاقتضائها دراسة مصطلحات كل مؤلف على حدة، أو بعضها، وأحياناً دراسة مصطلحات الكتاب الواحد، أو بعضها. وما أكثر المؤلفات والمؤلفين في كل تخصص! وما أقل الباحثين والباحثات في المصطلح!

ـ مرحلة الدراسة التاريخية لمصطلحات كل علم بشروطها المشار إليها في منهج الدراسة المصطلحية(١٤). وهذه المرحلة لا تكاد تقل مشقة عن سابقتها؛ لاقتضائها رصد التطور في كل مصطلح، منذ تطوره المحتمل لدى المؤلف الواحد في تراثه، حتى مجموع تراث التخصص على امتداده، وكل إخلال في المرحلة الوصفية ينتج منه خلل في المرحلة التاريخية، والأصل استدراك المؤرخ على الواصف، ولكن أنى ذلك إلا لمن آتاه الله تعالى علماً وفهماً. وقليل ما هم!

ـ مرحلة تأليف المعجم التاريخي لمصطلحات كل علم. وهو الثمرة الطبيعية للدراستين السابقتين: الوصفية والتاريخية؛ يجتمع فيه ما افترق فيهما، وقد يوجد فيه ما لا يوجد فيهما، أو العكس.

وبتأليفه تنتهي المرحلة الثانية من مراحل المشروع، لينتقل إلى المرحلة الثالثة.

مرحلة المعجم الشامل:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يتركز فيها العمل في تحقيق الهدف القريب الثالث، وهو إيجاد معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم. وهو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية موضوع العرض. وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

ـ مرحلة تصنيف مادة المعاجم الخاصة بكل علم كلها، حسب الألفاظ الاصطلاحية، وإدماجها بنظام معجمي تاريخي معين، ييسر الوصول إلى المراد بيسر، داخل كل مدخل معجمي.

ـ مرحلة تأليف ما صنف في صورة معجم تاريخي جامع لكل مصطلحات العلوم، من الألف إلى الياء.

ـ تكشيف المعجم كله تكشيفاً تاماً، يجعل الانتفاع بما فيه في غاية اليسر.

وبهذا التكشيف تنتهي المرحلة الأخيرة من مراحل المشروع، وبانتهائها ينتهي إنجاز المشروع كله، ولا يبقى بعد ذلك إلا النشر الجيد له والتوزيع الجيد.

وسائل المشروع

لإنجاز المشروع وسائل متعددة أبرزها ثلاث:

الوسيلة العلمية: والمقصود بها جمهرة الباحثين الذين ينجز بهم المشروع. ولا شك أنهم سيتدرجون من الكثرة إلى القلة انطلاقاً من المرحلة الأولى التي تتطلب الكثير منهم.

> المقصود بالمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية في لغتنا وحضارتنا: هو ذلك العمل العلمي الجامع لكل الألفاظ التي تسمى مفاهيم، في أي علم، مرتبة المباني ترتيباً معجمياً

ومن شروط الباحث في المرحلة الأولى:

ـ الاختصاص في العلم الذي يسهم في جمع مصطلحاته المعرفة، وإلا أخرج ما حقه الإدخال، وأدخل ما حقه الإخراج.

ـ الأمانة في الجمع والنقل، وإلا فات المعجم بسببه ما لا ينبغي أن يفوت، ونقل إليه ما لا ينبغي أن ينقل.

ـ الضبط في التوثيق والمراجعة والتدقيق، وإلا اهتزت القيمة العلمية للمعجم كله.

ـ القدرة على تصنيف المؤتلف والمختلف، ولا سيما في من يكلف بآخر المرحلة. ومن شروط الباحث في المرحلة الثانية، زيادة على ما تقدم:

ـ الكفاءة المنهجية في الدراسة المصطلحية، سواء أكان ذلك بسبب خبرة في البحث سابقة أم بدربة كافية عليه لاحقة، وإلا بقي المعجم أملاً لا سبيل إلى تحقيقه.

ـ الكفاءة في الصناعة المعجمية، ولا سيما في من يكلف بآخر المرحلة.

ومن شروط الباحث في المرحلة الثالثة، زيادة على ما تقدم:

ـ المشاركة في عدد من العلوم، لأن المعجم، بطبيعته في صورته الأخيرة، ملتقى للعلوم.

هذه أهم صفات الباحث في المشروع، وبقوتها تقوى «علمية» المشروع، وبضعفها تضعف «علمية» المشروع.

ولأهمية هذا النوع من الباحثين وقلته يلزم:

- الاصطفاء للأقوياء الأمناء منهم.
- التكوين العلمي والمنهجي اللازم لهم.
- التدريب على نوع العمل في المشروع قبل الشروع فيه.

الوسيلة المنهجية: والمقصود بها الأداة المنهجية اللازمة لإنجاز المشروع، وهي أساساً منهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم الخاص، الذي تقدم شرط الكفاءة فيه في كل باحث في المشروع، ابتداء من المرحلة الثانية، ويمكن تلخيص معالمه الكبرى في خمسة أركان:

- الإحصاء: ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس(١٥).
- الدراسة المعجمية: ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.
- **الدراسة النصية**: ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات، وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك. وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه.
- الدراسة المفهومية: ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت، واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفاً مفهومياً يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس.
- العرض المصطلحي: ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره.

وجماع القول فيه - حسب ما انتهت إليه التجربة - أن يكون متضمناً العناصر الكبرى الآتية على الترتيب: التعريف، والصفات، والعلاقات، والضمائم، والمشتقات، والقضايا.

وفي الملحق بهذا العرض، يوجد تفصيل هذا الإجمال، فلينظر آخره.

الوسيلة الإدارية: والمقصود بها جهاز التسيير والإشراف على المشروع جملة، وحسب التجربة المتواضعة لمعهد الدراسات المصطلحية يمكن تصور الجهاز بإجمال هكذا:

- هيئة الإشراف: وهي الحاملة لهم المشروع، المستوعبة أكثر من غيرها لتصوره، الموجهة للعاملين فيه، الباحثة عما يلزم لتمويله، المتابعة له من أوله إلى آخره.
- **لجن التنسيق**: وهي التي تتولى التنسيق بين جهود مجموعات البحث في المعاجم التاريخية لمصطلحات مختلف العلوم - كل لجنة بمعجم - تحت إشراف هيئة الإشراف.

> التراث ممتد في الزمان والمكان والإنسان، فإن ضرورة فهمه - على سعته - من أجل الاستيعاب فالتقويم، فالتوظيف، تقتضي إيجاد معجم تاريخي شامل كامل لمفاتيحه التي هي المصطلحات

- مجموعات البحث: وهي التي تتولى مباشرة البحث في معجم من المعاجم؛ باختيار الباحثين فيه، وتكوينهم، وتدريبهم، ومتابعتهم، بتنسيق مع لجن التنسيق، وإشراف من هيأة الإشراف.

هذا وفي الطريق عوائق على رأسها معضلة النص(١٦).

وفي الطريق عقبات، على رأسها عقبة التمويل، وعقبة التنسيق.

وفي الطريق مشاق وصعوبات، على رأسها ندرة الخبير، وقلة النصير، وطول المسير.

لكن لابد من السير مع وجود العائق، لتجاوز العائق.

ولابد من السير مع وجود العقبات، باقتحام العقبات.

ولابد من السير مع تحدي المشاق والصعوبات، بتحمل المشاق والصعوبات. وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، ومن سار على الدرب وصل.

ملحق
معالم «منهج الدراسة المصطلحية»

للمنهج في الدراسة المصطلحية مفهومان: عام وخاص.

فالمنهج، بالمفهوم العام: هو طريقة البحث المهيمنة المؤطرة للمجهود البحثي المصطلحي كله، القائمة على رؤية معينة في التحليل والتعليل والهدف. وهذا الذي يوصف بالوصفي أو التاريخي أو ما أشبه ذلك تمييزًا له عن غيره.

والمنهج بالمفهوم الخاص، هو طريقة البحث المفصلة المطبقة على كل مصطلح من المصطلحات المدروسة، في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم العام. وهذا الذي يمكن تلخيص معالمه الكبرى بإنجاز شديد منذ الشروع فيه حتى الفراغ منه في خمسة أركان:

- الإحصاء: ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به لفظاً ومفهوماً وقضية، في المتن المدروس، وذلك يعني:

- إحصاء لفظ المصطلح إحصاءً تاماً، حيثما ورد، وكيفما ورد، وبأي معنى ورد، في المتن المدروس، مادام قَدْرٌ من الاصطلاحية داخل مجاله العلمي الخاص - ملحوظًا فيه؛ فالمصطلح مفرداً أو مجموعاً، معرَّفًا أو منكَّرًا، اسماً أو فعلاً، مضموماً إلى غيره أو مضموماً إليه غيره، كل ذلك ضروري المراعاة عند الإحصاء.

- إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي والمفهومي إحصاء تامًا كذلك، على التفصيل نفسه.

- إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه، إحصاء تاماً كذلك.

- إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه، وإن لم يرد بها لفظه.

فإذا استخلصت النصوص، وصنفت حسب حاجة الدراسة، التصنيف الأولي، أمكن الانتقال إلى الركن الثاني.

- **الدراسة المعجمية**: ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم مافيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح، وبأي الشروح شرح المصطلح؛ وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء.

- **الدراسة النصية**: ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه، من صفات وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك.

وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه؛ إذا أحسن فيه بوركت النتائج وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه لم تفض الدراسة إلى شيء يذكر. ومدار الإحسان فيه على الفهم السليم العميق للمصطلح في كل نص، والاستنباط الصحيح الدقيق لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل نص.

إن مفتاح التراث هو المصطلحات، وإنما تُؤتَى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته.. وإن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات

فالنصوص ها هنا هي المادة الخام التي يجب أن تعالج داخل مختبر التحليلات بكل الأدوات والإمكانات، لتقطر منها المعلومات المصطلحية تقطيراً، وتستخرج استخراجاً؛ فمعطيات الإحصاء، ومعطيات المعاجم، ومعطيات تحليل الخطاب المقالية والمقامية معًا، ومعطيات المعارف داخل التخصص وخارجه، ومعطيات المنهج الخاص والعام، النظري والعملي... كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم، وكل ذلك مما به يُتَمَكَّن من المفهوم وما يجلي المفهوم.

- **الدراسة المفهومية**: ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها مفهومياً يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس، من تعريف له يحدده بتضمنه كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، وصفات له تخصه كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضيق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب.

وعلاقات له تربطه بغيره كالمرادفات والأضداد وما إليها، والأصول والفروع وما إليها.

وضمائم إليه تكثر نسله وتحدد توجهات نموه الداخلي، كضمائم الإضافات والأوصاف..

ومشتقات حوله من مادته تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي.

وقضايا ترتبط به أو يرتبط بها «مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها كالأسباب والنتائج والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع، والوظائف، والتأثر والتأثير.. وغير ذلك مما قد يستلزمه تفهم مفهوم، ولا يستلزمه تفهم آخر»(١٧).

هذا المعجم ليس هو النهاية وإنما هو البداية؛ به تبدأ المراجعة لمصطلح الماضي، وبنتائجه تبدأ المواجهة لمصطلح الحاضر، وعلى أساسه يتم ما هو أهم من ذلك، وهو بناء مصطلح الغد

وهذه الشجرة المفهومية الوارفة الظلال، الزكية الغلال في أغلب الأحوال.. هي التي يجب أن تُجلّى بعرضها في الركن الخامس على أحسن حال.

العرض المصطلحي: ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه ـ حسب ما انتهت إليه التجربة ـ أن يكون متضمناً للعناصر الكبرى الآتية على الترتيب:

التعريف، ويتضمن:

ـ المعنى اللغوي، ولا سيما الذي يترجح أن منه أخذ المعنى الاصطلاحي.

ـ المعنى الاصطلاحي العام في الاختصاص، ولا سيما الأقرب إلى مفهوم المصطلح المدروس.

ـ مفهوم المصطلح المدروس معبراً عنه بأدق لفظ، وأوضح لفظ، وأجمع لفظ، ما أمكن.

وشرطه المطابقة للمصطلح. وضابطه أنه لو وضعت عبارة التعريف مكان المصطلح المعرَّف في الكلام لانسجم الكلام. وإنما ينضبط ذلك إذا راعى الدارس في تعريف المفهوم كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، المستفادة من جميع نصوص المصطلح وما يتعلق به في المتن المدروس؛ فلا تبقى خاصة دون إظهار، ولا ميزة دون اعتبار.

وللتأكد من صحة التعريف وزيادة بيانه، يحلل بالتفصيل المناسب إلى كل عناصره. ومع كل مقال مثال، وإنما يتضح المقال بالمثال.

فإذا تم التعريف، وهو اللب والنواة بدأ الحديث عن الصفات، وهي اللحمة والكسوة.

ـ الصفات وتتضمن:

ـ الصفات المصنِّفة: وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة، كالوظيفة التي يؤديها، والموقع الذي يحتله، وغير ذلك.

ـ الصفات المبينة: وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح، ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح، وغير ذلك.

ـ الصفات الحاكمة: وهي الصفات التي تفيد حكماً على المصطلح، كالنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب، وغير ذلك.

فإذا تمت الصفات الخاصة بالذات، بدأ الحديث عن العلاقات بغير الذات، مما يأتلف مع المصطلح ضرباً من الائتلاف، أو يختلف معه ضرباً من الاختلاف.

ـ العلاقات: وتتضمن كل علاقة للمصطلح المدروس بغيره من المصطلحات، ولا سيما العلاقات الثلاث:

ـ علاقات الائتلاف، كالترادف والتعاطف وغيرها.

ـ علاقات الاختلاف؛ كالتضاد والتخالف وغيرها.

ـ علاقات التداخل والتكامل، كالعموم والخصوص، والأصل والفرع وغيرها.

فإذا ضبطت العلاقات الواصلة للمصطلح بسواه، والفاصلة له عن سواه، أمكن الانتقال إلى ما ضم إلى المصطلح، أو ضم إليه المصطلح، مما يكثر نسله المصطلحي، ويحدد توجهات نموه الداخلي.

ـ الضمائم: وتتضمن كل مركب مصطلحي (ضميمة)

مكوّن من لفظ المصطلح المدروس، مضموماً إلى غيره، أو مضموماً إليه غيره؛ لتفيد الضميمة المركب في النهاية مفهوماً جديداً خاصاً مقيداً ضمن المفهوم العام المطلق، للمصطلح المدروس. فكأن المصطلح بضمائمه ينمو ويتشعب مفهومياً من داخله. وأبرز أشكال الضمائم:

- ضمائم الإضافة: سواء أضيف المصطلح إلى غيره، أو أضيف غيره إليه.

- ضمائم الوصف؛ وقد يكون فيها المصطلح واصفاً أو موصوفاً.

فإذا انتهت الضمائم أمكن الانتقال إلى المشتقات.

- **المشتقات**: وتتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغوياً ومفهومياً إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس، كالمجتهد مع الاجتهاد، والبليغ مع البلاغة، ولا يدخل فيها المنتمي لغوياً فقط؛ كالإنفاق مع النفاق، ولا المنتمي مفهومياً فقط كالقصيدة مع الشعر. إذ محل هذا العلاقات.

والمصطلح بمشتقاته من حوله، كأنما ينمو ويمتد مفهومياً من خارجه، وأشكال المشتقات وصورها مشهورة في باب الصرف.

فإذا فرغ من المشتقات بدئ وختم بالقضايا.

- **القضايا**: وتتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن إلا بعد التمكن منها حق التمكن. وهي متعذرة الحصر لكثرة صورها وتنوعها من مصطلح إلى مصطلح. وأهميتها لا تكاد تقدر في التصور العام للأبعاد الموضوعية للمفهوم، ولا سيما في بعض العلوم.

ومن أصنافها - كما تقدم - «الأسباب والنتائج، والمصادر والظواهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف والتأثر والتأثير»(١٨).

وبالحديث عنها ينتهي الحديث عن الفرض في «العرض»، آخر ركن من الأركان الخمسة التي بني عليها منهج الدراسة المصطلحية.

الهوامش والمراجع

١. ن: مصطلحات النقد العريبب لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٥٧.
٢. ن: ورقات في المسألة العلمية، ص٣٤.
٣. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ، ص١٣.
٤. الحيوان:٣/٣٦٦.
٥. الحيوان:٣/٣٦٨.
٦. ن: نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص٥ - ٦.
٧. المدارسة الأولى للمعهد، ص٤ - ٥.
٨. المدارسة الأولى ص٤.
٩. ن: مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم ضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، ص: ٢٤ - ٢٧.
١٠، ١١. نظرات في المسألة المصطلحية ضمن أعمال مؤتمر «قضايا المصطلح» ص١٠٦، ١٠٧ - ١٠٨.
١٢. المدارسة الأولى للمعهد، ص٥.
١٣. ن: الوسيلة المنهجية، فيما يلي من البحث.

١٤. ن: مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم ضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، ص٢٥.
١٥. ن: نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين الجويني به في كتابه الكافية، ص٧.
١٦. ن: البحث العلمي في التراث ومعضلة النص، ص ٥ - ١٢.
١٧. نحو منهج لدراسة مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم للشاهد البوشيخي (مرقون) ص٦. عرض ألقي في ندوة القرآن المجيد وخطابه العالمي التي نظمتها كلية الآداب بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن أيام ١٤ - ١٩/١/١٤١٨هـ الموافق ٢١ - ٢٦/٥/١٩٩٧م.
١٨. المصدر السابق، ص٦.

- البحث العلمي في التراث ومعضلة النص، الشاهد البوشيخي، بحث نشر ضمن أعمال ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق، كلية الآداب وجدة، ط١، ١٩٩٨م.
- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط١، ١٩٣٨، ١٩٥٨م.
- المدارسة الأولى للمعهد، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العربية المعرفة، قدمها الشاهد البوشيخي بمعهد الدراسات المصطلحية بفاس ١٩٩٥م.
- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم، الشاهد البوشيخي، بحث نشر ضمن ندوة المصطلح النقدي، وعلاقته بمختلف العلوم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد خاص ١٩٨٨م.
- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج، الشاهد البوشيخي، نشريات القلم، باريس، ط١، ١٩٩٣م.
- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، ط٢، ١٩٩٥م، دار القلم، الكويت.
- نحو منهج لدراسة مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم للشاهد البوشيخي عرض ألقي في ندوة القرآن المجيد وخطابه العالمي التي نظمتها كلية الآداب بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن أيام ١٤ - ١٩/١/١٤١٨هـ الموافق ٢١ - ٢٦/٥/١٩٩٧م.
- نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، نشريات القلم، باريس، ط١، ١٩٩٣م.
- نظرات في المسألة المصطلحية، الشاهد البوشيخي، بحث نشر ضمن أعمال مؤتمر قضايا المصطلح، جامعة تشرين، أبريل ١٩٩٨م، سورية.
- ورقات في المسألة العلمية: مقال للشاهد البوشيخي بمجلة الهدى، ع٣٣، ١٩٩٦م.



عبدالله مبشر الطرازي
جدة - السعودية

عني الإسلام منذ فجر تاريخه بالعلم والدعوة إلى تحصيله ونشره، وحرص الرسول عليه الصلاة والسلام على تعليم الصحابة، وحث المسلمين على طلب العلم في كل زمان ومكان، بقوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وفي صدر الإسلام استفاد كثير من الصحابة من صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فنبغ بعضهم في العلوم الإسلامية، كعلم التجويد والتفسير والحديث والفقه والقضاء واللغة، وانتشروا في البلاد الإسلامية، وقاموا بحركة علمية واسعة، فالتف حولهم طلاب العلم من كل قطر، ولم يكن جميع التلاميذ من العرب، بل كان بينهم كثيرون من الموالي والأعاجم المسلمين، الذين تلقوا العلم عن هؤلاء العلماء العرب الأوائل، ثم قاموا بدورهم في نشر العلم بين الناس، وتخرج على أيديهم الآلاف من طلاب المعرفة، وهكذا كان يزيد عدد العلماء في العلوم الإسلامية بمرور السنين حتى أناروا بنور العلم مشارق الأرض ومغاربها.

وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم اهتم الخلفاء الراشدون ومن بعدهم خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس بالعلم ونشره وتقدمه في كل مكان، ولذلك نرى العرب الفاتحين أينما ذهبوا، قد اهتموا بالعلم، وأكرموا العلماء، وأفادوا أهل البلاد المفتوحة بالعلوم الإسلامية.

جهود العرب في نشر العلوم الإسلامية

ومن البلاد المفتوحة التي اهتم العرب بها في نشر العلوم الإسلامية، بلاد السند والبنجاب وهي (باكستان

الإسلامية) فقامت بها حضارة إسلامية عظيمة بعد فتحها وانتشار الإسلام فيها، وقد استمرت الدولة العربية الإسلامية التي أسسها الفاتح محمد بن القاسم الثقفي من سنة ٩٣هـ إلى سنة ٤١٦هـ أكثر من ثلاثة قرون من الزمن.

وكانت غاية المسلمين في صدر الإسلام والعصر الأموي مقصورة على نشر العلوم الإسلامية، وهي حفظ القرآن الكريم ودراسة تفسيره، والحديث النبوي وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية من الفتاوى الشرعية في المسائل المتعلقة بشؤون حياة الأفراد والجماعات، ولذلك نلاحظ أن هذه العلوم الإسلامية قد انتشرت انتشاراً واسعاً في العصر الأموي، ثم اتسعت دائرة العلم في العصر العباسي فشملت العلوم الأخرى لاتصال العرب بأمم البلاد المفتوحة وغيرها في العالم.

ونلاحظ أن المدة التي حكم الولاة الأمويون فيها بلاد السند والبنجاب كانت مدة قصيرة لا تزيد على أربعين سنة (٩٢ - ١٣٢هـ)، وكان العرب خلالها مشغولين بتنظيم أمور حكومتهم في هذه البلاد الواسعة، وكانوا يعانون الكثير من المتاعب من الناحية السياسية والدينية والاقتصادية بسبب قلة عددهم وكثرة السكان الأصليين الهائلة، وعلى الرغم من ذلك، فإن العرب لم ينسوا واجبهم الأول، ولم يهملوا الغرض الأساسي من الفتح، وهو نشر تعاليم الإسلام في هذه البقعة من بقاع العالم، ولذلك نرى الفاتح الأول لهذه البلاد وهو القائد العربي الشاب محمد بن القاسم الثقفي، كان يبني المساجد في كل مدينة يفتحها، ويعين فيها بعض العلماء والقضاة للإشراف على الشؤون الدينية، والقيام بتدريس العلوم الإسلامية ونشرها، والدعوة إلى الإسلام بين أهل البلاد بالحكمة والموعظة الحسنة، في الوقت الذي فيه لم يكن محمد بن القاسم قد انتهى من فتوحاته للعاصمة وبقية المدن التي استمر فتحها ثلاث سنوات أخرى، ولم يكن قد بدأ في تنظيم حكومته العربية الإسلامية.

ولا شك في أن المساجد في العصر الأموي كانت تُعد من أكبر معاهد الدرس والتعليم، لا في البلاد المفتوحة فقط، بل في البلاد العربية نفسها. وكان الأئمة والعلماء يشرفون على أداء الفرائض الدينية في تلك المساجد بجانب قيامهم بتدريس أولاد المسلمين، ونشر العلوم الإسلامية بين أهالي بلاد السند، وكان هناك بعض العلماء العرب الذين تولوا مناصب القضاء في المدن السندية، وبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل تبليغ الدعوة الإسلامية، نذكر منهم على سبيل المثال القاضي موسى بن يعقوب الثقفي الذي عينه محمد بن القاسم سنة ٩٣هـ قاضياً على (مدينة الوُر) عاصمة بلاد السند قبل الفتح العربي، وكذلك العالم المعروف بالشيباني الذي تولى مهمة القضاء والخطابة ونشر الدعوة الإسلامية في (مدينة سيْوسْتان) ببلاد السند سنة ٩٩هـ.

كانت علوم الرياضيات معروفة في بلاد السند قبل الإسلام، وقد استفاد منها العرب في القرن الثاني الهجري، ثم أفادوا أهل السند والهند في القرون التالية بالإضافات العلمية والأبحاث القيمة في هذا العلم

وهكذا كان العلماء العرب الأوائل يؤدون واجباتهم الدينية، ويقومون بنشر العلوم الإسلامية في أنحاء بلاد السند والبنجاب، في المساجد والمجالس العلمية وغيرها، وبذلك يكون القائد العربي محمد بن القاسم وهؤلاء العلماء قد وضعوا الأسس الأولى لمناهج التعليم الإسلامي ومراكز العلم والثقافة في تلك البلاد في العصر الأموي أي قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمن.

وفي العصر العباسي، أخذت العلوم الإسلامية والعربية عند العرب تتشعب، وتتفرع منها علوم جديدة، وكذلك بدأ العرب يهتمون بدراسة العلوم العقلية، كالرياضة، والطب، والكيمياء، والفلك، لاتصال العرب اتصالاً فكرياً بالأمم الأخرى، كاليونان والروم والفرس والسند والهنود وغيرهم.

ويمكن لنا تقسيم العصر العباسي من ناحية التقدم العلمي مرحلتين: العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ) الذي بدأت فيه حركة الترجمة من اللغات الأخرى كاليونانية والفارسية والسندية والهندية، وأخذت العلوم

العقلية التطبيقية تدخل ميدان الثقافة عند العرب بجانب تشعب العلوم الإسلامية والعربية، ثم العصر العباسي الثاني الذي يبدأ من سنة ٣٣٢هـ إلى نهايته، وهذا الدور الثاني كان أظهر أدوار العلوم وانتشارها في العالم الإسلامي.

ونلاحظ أن العلوم الإسلامية نفسها، كعلوم القرآن والتفسير والفقه والحديث واللغة العربية التي كانت تدرس في مساجد المدن السندية في العصر الأموي، أخذت في العصر العباسي الأول تزداد انتشاراً مع ازدياد العلماء والمثقفين والمعلمين من العرب والسند، حتى إذا ما جاء العصر العباسي الثاني نرى ثمرة تلك الجهود العلمية التي بذلها القائد العربي محمد بن القاسم والولاة الأمويون ثم الولاة العباسيون، وقد سجل المؤرخون العرب في مؤلفاتهم بيانات كثيرة عن اهتمام الحكام العرب بالنهضة العلمية في بلاد السند، ومدى انتشار العلوم الإسلامية، وازدياد العلماء ونشاطهم العلمي والثقافي في ميادين التدريس والتأليف والتبليغ، وإقامة مدن جديدة لجعلها مراكز للثقافة الإسلامية في تلك البلاد.



صورة من مخطوطة «كليلة ودمنة»

وكان من الطبيعي أن يكثر العلماء الأفاضل، ويزداد عددهم في العصر العباسي بمرور السنين في بلاد السند والبنجاب، تمشياً مع النهضة العلمية التي أخذت تعم أرجاء البلاد الإسلامية والولايات التابعة للخلافة العباسية، وكان هؤلاء العلماء يقومون بواجباتهم الدينية والثقافية، سواء أكان ذلك في المساجد أم في جلسات علمية بمنازل العلماء وكبار الشخصيات والأعيان، على شكل مجالس العلم في قصور الحكام والأمراء، كعادة العرب في ذلك العصر.

جهود العرب في نشر اللغة العربية

إن انتشار اللغة العربية في مختلف الأقطار ولدى مختلف الأمم، وتغلبها على عدة لغات، وتأثيرها في لغات كثيرة، إنما هي حدث من الأحداث العظيمة في تاريخ اللغات في العالم.

إن سر القوة في اللغة العربية يرجع إلى أنها لغة القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين، فهذه القوة في التغلب والتأثير والانتشار هي في الحقيقة قوة إلهية وضعها الله في اللغة العربية المباركة.

ويرجع الفضل أيضاً في انتشارها بين الشعوب المختلفة إلى أخلاق العرب الحميدة، ومعاملتهم الحسنة لشعوب البلاد المفتوحة، فقد كانت أعمالهم مطابقة لتعاليم الإسلام.

وهناك عوامل أخرى تعود إلى خصائص اللغة العربية التي ما دخلت بيئة من البيئات إلا اجتذبت إليها اهتمام الناس ولاسيما الموهوبين منهم، فكانوا يقبلون على تعلمها، فلا تكاد تلامس شغاف قلوبهم حتى يعلنوا إيمانهم بعظمة هذه اللغة.

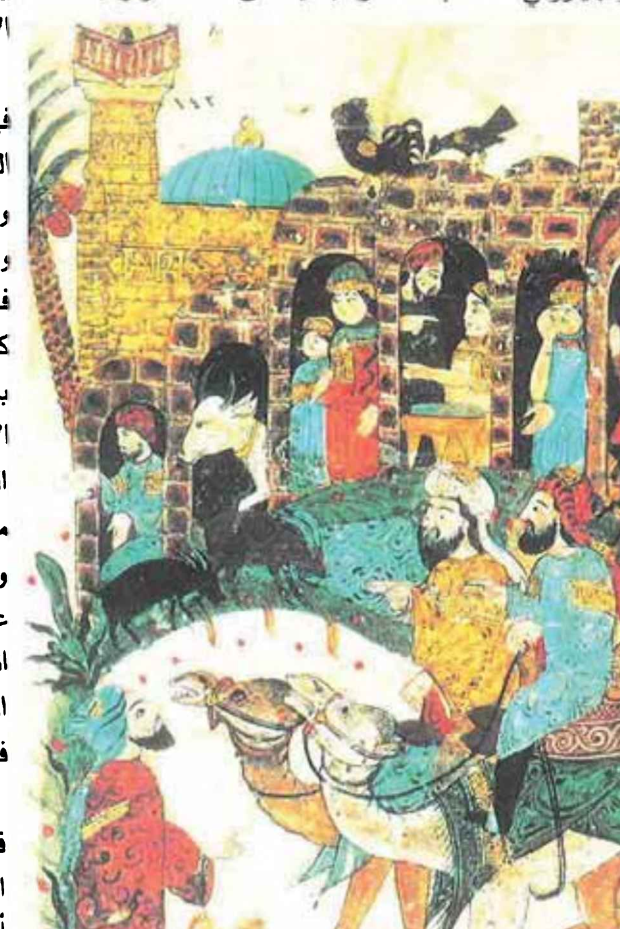
إن اللغة العربية بحلاوتها ومرونتها، وبكثرة اتساعها في شرح العلوم وتفسيرها، وبجمالها المتمثل في إعرابها وتعبيرها وإعجازها، ومترادفاتها، وأمثالها، وكثرة معانيها، قد اجتذبت إليها جماعة من العلماء الذين عكفوا على

أسرارها يدرسونها بشوق وصبر ونهم، ومازالوا حتى ملكوا عنانها كأبرّ أبناء بها، واتخذوها أداة طيّعة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم، وقد تجاوز عدد الذين صنفوا باللغة العربية في العصر العباسي من غير العرب المئات، وكلهم ذوو باع طويل في التدوين والتأليف، فمن هؤلاء عبدالله بن المقفع مترجم كتاب «كليلة ودمنة»، وبديع الزمان الهمذاني مبتكر فن المقامات، وقابوس بن وشمكير صاحب «رسائل البلاغة»، وابن مسكويه صاحب «تجارب الأمم»، وابن سينا صاحب «القانون» في الطب، والثعالبي صاحب «يتيمة الدهر»، والبيروني صاحب «الآثار الباقية عن القرون الخالية»، وعشرات من الكتب العلمية، والخوارزمي صاحب «مفاتيح العلوم»، والزمخشري صاحب «أساس البلاغة»، والشهرستاني صاحب «الملل والنحل» وغيرهم كثيرون.

ومن أهل السند مثلاً أبو معشر نجيح السندي (ت: ١٧٠هـ) صاحب كتاب «علم المغازي»، وأبو عطاء أفلح بن يسار السندي (ت: ١٨٠هـ) صاحب قصائد رائعة بالعربية مذكورة في ديوان الحماسة لأبي تمام الشاعر العباسي المعروف، ومئات غيرهم من العلماء الكبار الذين دونوا باللغة العربية مؤلفاتهم في العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى، وقدموا للإسلام خدمات جليلة.

وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في دوائر الحكومة العربية في كثير من البلاد المفتوحة في العصرين الأموي والعباسي، مما شجع ذلك سكان تلك البلاد ولاسيما الطبقة العالية المتعاونة مع العرب في الحكم والإدارة على تعلم اللغة العربية، كما رغب في تعلمها الكثيرون من سكان بلاد السند والبنجاب بعد دخولهم في الإسلام لحاجتهم إلى فهم تعاليم الدين الحنيف، بالإضافة إلى مشاركة أهل السند مع العرب في العمل والجيش والمصنع والمزرعة، فتلك المشاركة الميدانية حتمت عليهم تعلم اللغة أيضاً، وبهذه العوامل انتشرت اللغة العربية بين الشعب السندي البنجابي مع بقاء اللغات المحلية مستعملة في البلاد.

ففي العصر الأموي، كانت اللغة العربية في بلاد السند والبنجاب محصورة في الطبقة العالية من الزعماء والأعيان من أهل البلاد المتعاونين مع الطبقة الحاكمة من العرب في إدارة شؤون البلاد، وفي طبقة المثقفين والموظفين وغيرهم، ولم يكن جميع أفراد الشعب على معرفة باللغة العربية في ذلك العصر.



من صور «مقامات الحريري»

أما في العصر العباسي، بعد أن انتظمت الأمور الإدارية للدولة العربية في بلاد السند والبنجاب، وبعد أن أقام العرب مدناً جديدة ومساجد كثيرة، وزاد عدد العلماء العرب ومعهم علماء السند العارفون باللغة العربية، فإن اللغة العربية أخذت في الانتشار بسبب اهتمام أهل السند والبنجاب بها، ولاسيما بعد دخول الكثيرين منهم في الإسلام، ودراستهم للعلوم الإسلامية، بالإضافة إلى الاهتمامات الخاصة من جانب بعض المفكرين العرب بنشر اللغة العربية التي تعتمد عليها العلوم الإسلامية في انتشارها في تلك البلاد لخير أهل السند والبنجاب، فقد اهتم بهذا العمل الجليل علماء الدين واللغة، ورجال القضاء العارفون باللغتين العربية والسندية، فقد كانت لهم مجالس علمية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

انتشرت العلوم الإسلامية انتشاراً واسعاً في العصر الأموي، ثم اتسعت دائرة العلم في العصر العباسي فشملت العلوم الأخرى لاتصال العرب بأمم البلاد المفتوحة وغيرها في العالم

ومنذ القرن الثالث الهجري، أي بعد قرن ونصف القرن من فتح العرب لبلاد السند، حين نشطت حركة التدوين والتأليف عند العرب في عهد العباسيين، بدأ المؤرخون العرب وسيّاحهم يهتمون بأمور بلاد السند والبنجاب، وجمع المعلومات عنها، ويذكرونها في كتبهم ومذكراتهم.

وفي القرن الرابع الهجري بدأ كثير من المؤرخين والجغرافيين والسيّاح العرب يحضرون بأنفسهم إلى بلاد السند والبنجاب لجمع أخبارها عن طريق الاتصال الشخصي بالحكام والعلماء، وقد سجلوا في مؤلفاتهم الأخبار والمعلومات المختلفة وما يتعلق بانتشار اللغة العربية في تلك البلاد.

فهذا هو المسعودي المؤرخ الكبير الذي زار بلاد السند (سنة ٣٠٣ هـ) يشير إلى وجود كثير من العلماء العرب والقضاة والخطباء الذين يبذلون الجهود لخدمة اللغة العربية ونشرها، وأن الناس في هذه البلاد يقدسون اللغة العربية، وكثيرين منهم يتحدثون بها، ولا سيما الطبقة الحاكمة والخواص من أهل السند والبنجاب.

وفي القرن الخامس الهجري انتقل حكم بلاد السند والبنجاب من العرب إلى الغزنويين الذين روجوا اللغة الفارسية في تلك البلاد مكان اللغة العربية؛ لأن الفارسية كانت لغة الدولة الغزنوية، وبذلك صارت الفارسية منذ ذلك العهد لغة الثقافة والتعليم عدة قرون في تلك البلاد.

ولكن اللغة العربية لم تفقد أهميتها العلمية والروحية التي لاتزال باقية في تلك البلاد بين المسلمين إلى يومنا هذا، على الرغم من سيطرة لغات أخرى على شعوب تلك المناطق، وقد استمرت اللغة العربية مع العلماء والمثقفين الكبار الذين ألفوا مئات الكتب القيمة في العلوم الإسلامية باللغة العربية، إيماناً منهم بقدر هذه اللغة وقدسيتها عند المسلمين، لكونها لغة القرآن الكريم والدين الحنيف، وعلى أنه يجب أن تكون هي لغة العلوم الإسلامية التي لا يمكن لها أن تتقدم وتنتشر إلا باللغة العربية.

وهكذا فتح العرب بلاد السند والبنجاب وأقاموا بها دولتهم العربية الإسلامية، التي استمرت أكثر من ثلاثة قرون من الزمن (٩٢ - ٤١٦ هـ)، وقد شيدوا فيها المدن الكثيرة، وبنوا المساجد الكبيرة، وأسسوا المعاهد العلمية، وقاموا بنشر العلوم الإسلامية واللغة العربية، واهتموا بالعلوم الأخرى حتى صارت تلك المدن السندية مراكز إسلامية أضاءت بنور الإيمان والعلم كل ركن من أركان تلك البلاد الواسعة، التي أصبحت في الوقت الحاضر من أكبر بلدان العالم الإسلامي، وهي باكستان الإسلامية.

ويبدو أن ميدان النشاط في مجال العلوم كان ضيقاً أمام العرب في العصر الأموي ببلاد السند، لانشغالهم بتنظيم شؤون حكومتهم، واهتمامهم بالشؤون الدينية، ونشر العلوم الإسلامية، واتخاذ المساجد التي بنوها معاهد للدرس والعلم، وجعل المدن الكبيرة التي تكثر فيها المساجد ويكثر فيها العلماء مراكز للثقافة الإسلامية وتبليغ الإسلام.

ولكن هذا الميدان العلمي للعرب قد اتسع في العصر العباسي، وأهم الأسباب التي دفعت العرب إلى العناية

بالناحية الثقافية في بلاد السند والبنجاب، هو إيمان العرب بتأدية الواجب والعمل على تقدم العلوم، تمشياً مع سياسة النهضة العلمية التي ظهرت في دار الخلافة العباسية منذ منتصف القرن الثاني الهجري، حين اهتم الخلفاء، كالمنصور والرشيد والمأمون بالعلوم العقلية، ونشرها بين المسلمين، ولاسيما علم الرياضيات وعلم الطب وعلم الفلك، وبما أن مثل هذه العلوم كانت معروفة في بلاد السند، فقد زاد ذلك من تشجيع الحكام العرب على مضاعفة الجهود لتوسيع دائرة انتشار تلك العلوم، وذلك بإرسال الوفود العلمية، والكتب القيمة، والعلماء والأطباء السند والهنود إلى دار الخلافة بصفة خاصة، والولايات الإسلامية بصفة عامة، مساهمة في نشر العلوم العقلية التطبيقية التي كانت في المرحلة الأولى من مراحل نهضتها عند العرب في ذلك العصر.

ومن هنا بدأت العلاقات الثقافية والعلمية بين العرب وأهل السند والبنجاب، وازدادت قوة يوما بعد يوم لخير الجانبين، ولخدمة العلم والإنسانية، ولبناء صرح الحضارة الإسلامية.

ولم يمض زمن قصير حتى انتشرت هذه العلوم بين العرب، وتقدمت بشكل ملحوظ مدهش، بعد تفوق العرب في هذه العلوم، وإضافاتهم إليها مواد علمية ونظريات مكملة لها، بحيث أصبح العرب أيضاً بدورهم كأصحاب تلك العلوم التطبيقية، وأخذوا يساهمون في تقدمها ونشرها في البلاد العربية وبلاد السند وفي العالم كله.

وهكذا كان للعرب في عهدهم في تلك البلاد دور إيجابي كبير في تقدم العلوم المختلفة، فضلاً عن قيامهم بنشر العلوم الإسلامية، وأدائهم للواجب المقدس، وهو نشر الإسلام بين أهلها.

تطور علم الرياضيات في عهد العرب

لقد كان لأفكار أهل السند والهند اتصال خاص بعلم الرياضيات، ولذلك نلاحظ أن معظم العلماء الذين ظهروا في العلوم العقلية التطبيقية في بلاد السند في عهد العرب كانوا علماء الرياضيات والهندسة، أو كانوا يجمعون بين العلوم الرياضية والعلوم الأخرى، كعلم الفلك، وأحياناً علم الطب، وخصوصاً هؤلاء العلماء الذين استفادوا من الأبحاث العلمية العربية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين، أي في نهاية عهد العرب ببلاد السند والبنجاب، ويفيدنا التاريخ أن الأبحاث العلمية للعرب قد أثرت كثيراً في تلك العلوم، وامتزجت بها إلى حد بعيد، وقد أشار المستشرق جوستاف لوبون إلى أن المقصود بالعلوم العقلية التطبيقية في بلاد السند والهند منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) هو العلوم العربية، أي العلوم التي طورها العرب، ووصلوا بها إلى درجة الكمال، وقدموها إلى أهل السند والهند في ذلك القرن.

> كان العلماء العرب الأوائل يؤدون واجباتهم الدينية، ويقومون بنشر العلوم الإسلامية في أنحاء بلاد السند والبنجاب، في المساجد والمجالس العلمية وغيرها

وقد أخذ العرب في البداية كثيراً من أسس الرياضيات من أهل الهند والسند، من بينها أرقام الحساب من الرقم ١ - ٩، ولذلك يسمي العرب هذا العلم بالحساب الهندي أو الأرقام الهندية، فقد قدم عالم سندي هو رئيس الوفد العلمي سنة ١٥٤هـ إلى الخليفة المنصور كتاب «سدهانت» الذي كان يحتوي على الحساب والأرقام في البابين الثالث عشر والرابع عشر منه، واشترك بنفسه في ترجمته مع العالم العربي إبراهيم الفزاري، وأكد بعض الباحثين أنه عن طريق ذلك الكتاب المهم انتشرت طريقة الحساب هذه بين العرب في القرن الثاني الهجري، ولكن العرب هم الذين أضافوا الصفر إلى تلك الأرقام، وأحدثوا بذلك انقلاباً بتلك القفزة الواسعة في عالم الحساب.

وبعد مضي نصف قرن من الزمن على ترجمة ذلك الكتاب، وانتشار تلك الطريقة الحسابية بين العرب، قام العالم الرياضي الفلكي محمد بن موسى الخوارزمي الذي كان يعمل في بلاط الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ - ٢١٨هـ) بوضع علم الحساب الهندي في القالب العربي مع بعض الإضافات المهمة، مثل إضافة الصفر إلى الأرقام، وبذلك تم تركيب أشكال الأرقام الحسابية العربية، ومن ثم

أخذ علم الحساب يتقدم عند العرب، ثم انتقلت هذه الأرقام العربية ومسائل مختلفة من علم الرياضيات بواسطة العلماء العرب بالأندلس إلى بلاد أوربا، مما يدل على فضل العرب على أوربا في نهضتها العلمية.

وفي القرن الثالث الهجري كان للعالم الرياضي علي بن محمد النسوي (٩٨٠ ـ ١٠٤٠م) دور كبير في نشر علم الحساب بالطريقة الهندية بين العرب، فقد ألف كتاب أسماه «المقنع في الحساب الهندي» الذي اعتمد عليه كثير من العلماء الرياضيين، وألفوا كتباً مفيدة في علم الرياضيات في القرون التالية.

ثم بعد مضي قرن آخر، أي في القرن الرابع الهجري تفوق العرب في علم الرياضيات، وكانت النتائج العلمية فيها عندهم مدهشة جدا، وحين حضر العالم الكبير أبو الريحان البيروني إلى بلاد السند والهند في بداية القرن الخامس الهجري، قام بترجمة بعض الكتب والأبحاث العلمية العربية في علم الرياضيات إلى السنسكريتية، وربما إلى السندية أيضاً، لإقامته ببلاد السند، واختلاطه بعلمائها الكبار، كما كتب هو نفسه رسائل كثيرة في هذا العلم، منها رسالة في الأعداد والحساب الهندي، ولاسيما رسالة في بيان أن الطريقة العربية في كتابة الأعداد الحسابية وبعض النظريات الرياضية أصحُ من الطريقة الهندية الأصلية.

ومن الجدير بالذكر هنا على الرغم من أن الطريقة اليونانية في الحساب كانت قد انتقلت إلى العرب في زمن الخوارزمي أنّ الحساب الهندي كان مقبولاً عند العرب أكثر من الحساب اليوناني حتى عند كبار العلماء العرب والمسلمين الذين اهتموا به، كالعالم الكبير ابن سينا (٤٢٨هـ/١٠١٥م) الذي تعلم الحساب الهندي أيضاً وكان يشتغل به.

وهكذا نرى أن علوم الرياضيات كانت معروفة في بلاد السند قبل الإسلام، وقد استفاد منها العرب في القرن الثاني الهجري، ثم أفادوا أهل السند والهند في القرون التالية بالإضافات العلمية والأبحاث القيمة في هذا العلم، وبذلك زاد تقدم علوم الرياضيات ببلاد السند والهند في عهد العرب بفضل العلاقات العلمية الطيبة بين الطرفين بعد ذلك.

تطور علم الطب في عهد العرب

كان العرب في الجاهلية لا يعرفون الطب المتقدم، وكانوا يعتمدون على بعض الوصفات الشعبية في علاج الأمراض، ولما جاء الإسلام حث القرآن الكريم المسلمين في آيات كثيرة على العلم والبحث والتحقيق، وأشار إلى الطب بالاهتمام بالصحة والنظافة، كما بيّن الرسول عليه الصلاة والسلام بعض أصول الطب في أحاديثه، ورغّب الناس في التداوي وترك الخرافات، وقد جاء في الأثر «تداووا عباد الله، فإن الله لم يخلق داء إلا وجعل له دواء». وقد اهتم العرب بعلم الطب، إلى جانب اهتمامهم بكثير من العلوم الأخرى، فترجموا بعض الكتب في الطب من اليونانية إلى العربية، واستفادوا منها استفادة أولية في العصر الأموي.

اشتهر علم الطب العربي في بلاد السند والهند لأسباب كثيرة، أهمها أن العرب قاموا بترجمة كتبهم الطبية العربية التي كانت على منهج جديد إلى اللغة السنسكريتية والسندية

ثم في العصر العباسي زاد اهتمام العرب بالعلوم التطبيقية، ومنها علم الطب الذي أخذه العرب عن اليونان والفرس، وعن أهل السند والهند، فأصبح علم الطب عندهم خلاصة ممزوجة لتجارب الأمم المختلفة، حتى ظهر الطب العربي في القرن الرابع الهجري بشكل جديد.

ولكننا نلاحظ أن اهتمام العرب بعلم الطب الهندي السندي كان أكثر من اهتمامهم بهذا العلم عند الأقوام الأخرى في العصر العباسي، وذلك لأسباب كثيرة، منها اهتمام البرامكة بالعلوم السندية الهندية، ونقلها إلى البلاد العربية، ومنها أن بعض الخلفاء أصيبوا بأمراض خطيرة، ولم يتمكن بعض الأطباء العرب واليونان من التشخيص الصحيح لأمراضهم ومعالجتهم، مما أدى إلى الاهتمام بأطباء الهند والسند، عملاً برأي البرامكة، وطلبهم إلى دار الخلافة، فقد حدث أن أصيب الخليفة المنصور العباسي

(١٣٦ ـ ١٥٨هـ) بمرض المعدة وسوء الهضم مدة طويلة، وفشل الأطباء العرب وغيرهم في معالجته، بل تنبؤوا بقرب موته بسبب إكثاره من الطعام وإسرافه في تعاطي الأدوية الحارة التي تساعد على الهضم، ولكنها تضر المعدة والأمعاء.

ثم أصيب الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) بمرض خطير وعجز كبار الأطباء عن علاجه، فأشار البرامكة عليه بطلب طبيب معروف من بلاد السند والهند يسمى منكه الهندي، وقد استطاع هذا الطبيب أن يعالجه، وأثبت بذلك مهارة أطباء السند في علم الطب، ومنذ ذلك الوقت بدأ الخليفة وكبار رجال الدولة يهتمون بطب بلاد السند والهند، وبإرسال الوفود العلمية إلى تلك البلاد، فقد أرسل يحيى بن خالد البرمكي الوزير العباسي وفداً علمياً للبحث عن الأدوية والعقاقير الطبية وإحضارها إلى دار الخلافة، وكذلك اهتموا بإحضار الكتب الطبية، واستقدام كبار الأطباء للعمل فيها، وقد كان الطبيب ابن دهن الهندي رئيساً لدار الشفاء للبرامكة، كما كان الطبيب منكه الهندي مشرفاً على دار الحكمة للترجمة من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية؛ ليستفيد الأطباء العرب من تلك الكتب القديمة ومن هؤلاء الأطباء السند والهنود الذين يعملون معهم، وأن يفيدوا علم الطب بأبحاث وتحقيقات وإضافات عربية حتى يتقدم هذا العلم على أيديهم، وبذلك يكونون قد قدموا بدورهم خدمة عظيمة للعلم والإنسانية، وفعلا لم يمض وقت طويل حتى تحققت هذه الأمنية، وتقدم علم الطب عند العرب، وظهر منهم أطباء عظماء رفعوا رؤوس العرب والمسلمين عالية، وصاروا في زمرة أساتذة علم الطب في العالم، ونشروه في البلاد العربية والإسلامية، بل نقلوه إلى البلاد الأوربية أيضاً لخير البشرية جمعاء.

كان علم الطب في العصر العباسي، كما سبق أن أشرنا إليه، مزيجاً من علوم اليونان والفرس والسند والهنود العرب، وقد نبغ في هذا العلم من الأطباء العرب (ابن بختيشوع، وابن ماسويه، وحنين بن إسحاق) وغيرهم، وقد حذق هؤلاء في معالجة أمراض القلب، وتمرنوا عليها، واعتمدوا في علاج مرضاهم على ما كسبوه من تجارب علمية ذاتية، كما استفاد العرب من كتب اليونان ونظرياتهم في تشخيص الأمراض الصعبة، وقد نبغ حنين ابن اسحاق مثلاً في علم المواد السامة، وكذلك وصف الأطباء أمراض الفم واللثة والأسنان وصلتها بأمراض المعدة، حتى لقد أعجب الخليفة الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٣هـ) بوصف حنين بن إسحاق، وطلب منه أن يصنف له كتاباً خاصاً يذكر فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته، فصنف له كتاباً جعله ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء، ووظائف أعضاء الجسم.

> فتح العرب بلاد السند والبنجاب وأقاموا بها دولتهم العربية الإسلامية، التي استمرت أكثر من ثلاثة قرون من الزمن، وقد شيدوا فيها المدن الكثيرة، وبنوا المساجد الكبيرة، وأسسوا المعاهد العلمية، وقاموا بنشر العلوم الإسلامية واللغة العربية، واهتموا بالعلوم الأخرى

واهتم العباسيون بنشر العلوم الطبية وتقدمها في البلاد العربية، فشجعوا الأطباء، وأكرموهم، وأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات، ودعوا لعقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الأطباء من البلاد كافة في المواسم المختلفة، كموسم الحج، حيث يعرض الأطباء نتائج أبحاثهم العلمية، ويعرضون نباتات البلاد الإسلامية، ويصفون خصائصها الطبية، حتى أصبحت دار الخلافة في الشرق وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية، وقد أمر الخليفة أبو جعفر المنصور الذي يعد المؤسس الثاني للدولة العباسية ببناء مستشفى للعميان، ومأوى للمجانيب، وملجأ للعجائز، كما بنى الخليفة هارون الرشيد مستشفى لتعليم الطب، وزوده بأجهزة طبية، ومكتبة عظيمة.

ثم في أواسط العصر العباسي تقدم العرب في علم الطب، واشتهروا فيه، وأضافوا إليه كثيراً من الأبحاث العربية الجديدة، حتى صار لعلم الطب عند العرب امتياز



طبيب يقوم بالكشف على مريض من مخطوط يوضح تطور الطب عند العرب

على الطب القديم المعروف عند أهل السند والهند، واشتهر علم الطب العربي في بلاد السند والهند لأسباب كثيرة، أهمها أن العرب قاموا بترجمة كتبهم الطبية العربية التي كانت على منهج جديد إلى اللغة السنسكريتية والسندية ليسهل على أهل تلك البلاد الاستفادة منها، وطوروا الأدوية المتداولة عند أهل السند والهند، وكانت مستخرجة من الأعشاب المعروفة في بلادهم، فقدم العرب إليهم الأدوية الجديدة التي حصلوا عليها في المناطق الأخرى من العالم، بالإضافة إلى الأبحاث الطبية الخاصة بالعرب، ليستفيد أهل السند والهند من تطور علم الطب وفروعه على أيدي العرب في ذلك العصر.

كما أن مرض الجدري وغيره من الأمراض الخطيرة التي كان أهل السند والهند يعتقدون أنها غضب من الآلهة وأثر من آثار الأرواح الشريرة، لم يكونوا يعالجون منها طبيا، وكان الكثيرون منهم يفقدون أرواحهم نتيجة لذلك، فقد بين العرب لهم أن تلك الأمراض قابلة للعلاج، وبذلك قضوا على الخرافات المنتشرة في تلك البلاد، ومما هو جدير بالذكر أن أول كتاب ظهر في علاج الجدري كتبه العرب قبل الآخرين في القرن الرابع الهجري.

وخلاصة القول: أن العرب قد أخذوا علم الطب، واستفادوا فيه الكثير من علماء السند والهند، ومن كتبهم الطبية في القرن الثاني الهجري في بداية العصر العباسي، ثم تقدم هذا العلم عند العرب بشكل مدهش، فقدمه العرب في صورة جديدة متطورة إلى أهل السند والهند في القرن الرابع الهجري ليستفيدوا منه، وبذلك يكون العرب قد قاموا بتقديم خدمات عظيمة لتقدم هذا العلم لخير الإنسانية.

تطور علم الفلك في عهد العرب

علم الفلك والنجوم من العلوم القديمة عند أهل السند والهند، وقد أخذ العرب هذا العلم عن طريق علماء السند والهند وكتبهم في العصر العباسي منذ القرن الثاني الهجري، وأقدم الكتب في هذا العلم ثلاثة كتب:

أولها كتاب «سدهانت» الذي يعدّ أقدم وأشهر كتاب في علم الفلك والرياضة للعالم الهندي برهم كبت وقد ألفه في

القرن الخامس الميلادي، وهو أول كتاب هندي في هذا المجال العلمي وصل إلى العرب، وقاموا بترجمته، وبه عرفوا مكانة الهنود والسند في العلوم العقلية، فقد قدمه عالم سندي إلى الخليفة المنصور العباسي سنة ١٥٤هـ حين أتى إلى دار الخلافة مع الوفد العلمي، وقام بترجمته العالم الرياضي إبراهيم الفزازي بمساعدة ذلك العالم السندي من السنسكريتية إلى اللغة العربية بأمر الخليفة.

ثم بعد مضي عدة سنوات قام العالم الفلكي الرياضي يعقوب بن طارق بترجمة الكتاب نفسه مرة أخرى، وقد اشتهر هذا الكتاب عند العرب باسم السند هند والاسم الكامل للكتاب بالسنسكريتية هو «برهم كُبْت سدْ هانْت» أي كتاب سد هانت لبرهم كبت. وكان «سد هانت» أكثر أهمية عند العرب من بين تلك الكتب الثلاثة. وعلى الرغم من أن كتاب مجسطي لبطليموس اليوناني كان قد ترجم في عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ)، كما أقيم في دار الخلافة مركز الأرصاد، وأضيفت معلومات جديدة إلى تلك الأبحاث العلمية السابقة، فإن العرب ظلوا يعتمدون على كتاب سد هانت في علم الفلك مدة طويلة في البلاد العربية، وقاموا بتلخيصه، وكتبوا عليه شروحا كثيرة، وصححوا الأخطاء الموجودة فيه، كما أدخلوا فيه إضافات علمية بحيث أكملوا النقص فيه، واستمرت حركة البحث والدراسة والتحقيق والشرح والإضافة لهذا الكتاب من سنة ١٥٤هـ حتى القرن الخامس الهجري، وعلى ذلك فقد استفاد العرب منه في البداية، وأضافوا إليه في النهاية خدمة لهذا العلم.

وفي عهد الخليفة المأمون قام العالم الفلكي (محمد بن موسى الخوارزمي) بوضع «زيج» في علم الفلك، وقد ضم إليه الأصول اليونانية والفارسية والهندية، ولكنه جعل الأصول الهندية أساسا فيه، ولذلك سمي كتابه «السند هند الصغير» أي سد هانت الصغير، وعلى النهج نفسه قام كثير من العلماء في البلاد العربية مثل (حسن ابن خصيب، وفضل بن حاتم التبريزي، وأحمد بن عبدالله المروزي، وأبي الريحان البيروني) بشرح كتاب سد هانت وتكميله بالإضافات العلمية، وكذلك بضم الأصول اليونانية والأبحاث العربية إليه، وقد وصلت أصول سد هانت إلى بلاد الأندلس في القرن الرابع الهجري، وقام العالم مسلمة بن أحمد الجرطي (ت: ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) بتلخيص «زيج» الخوارزمي أي كتاب «السند هند الصغير» ثم من بعده وضع العالم الفلكي (أبو القاسم أصبع) المعروف بابن السفح الأندلسي (ت: ٤٢٦هـ/١٠٣٥م) زيجا كبيرا على أصول سد هانت، ثم بعد ذلك أخذ ميدان البحث يتسع، وبدأ كثير من العلماء العرب يكتبون أبحاثا جديدة على نتائج أصول سد هانت، كما فعل العالم (إبراهيم الزرقاني الأندلسي) في كتابه المسمى «صفحة زرقانية» ثم عن طريق العلماء العرب بالأندلس انتقل كتاب سد هانت إلى أيدي العلماء الأوربيين الذين بدؤوا يستفيدون بدورهم منه، فقد قام بعضهم بوضع زيج على أصول «سد هانت» الذي كان باللغة العربية، كما كتب عليه الآخرون كتبا وأبحاثا فيما بعد.

العالم الرياضي والفلكي البيروني أعظم الشخصيات العلمية التي أدت دورا مهما في العلاقات العلمية بين العرب وأهل السند

والكتاب الثاني في علم الفلك هو كتاب «أركَنْد» أو «أهرقن» واسمه باللغة السنسكريتية «جهنْد اكْهديك» وهو أيضا للعالم الهندي برهم كُبْت الذي ألفه في القرن الخامس الميلادي بعد تأليفه لكتاب «سد هانت»، إلا أن أصول «أركند» تختلف عن أصول «سد هانت»، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية في القرن الثاني للهجرة، واستفاد منه العلماء العرب، وقد تعلم طريقة كتاب أركند (العالم الفلكي الرياضي يعقوب بن طارق) في سنة ١٦١هـ من العالم السندي الذي أتى إلى دار الخلافة سنة ١٥١هـ.

والكتاب الثالث في علم الفلك الذي وصل إلى العرب هو كتاب «أرجبهد» واسمه السنسكريتي «أريه بهت» على اسم مؤلفه العالم الهندي آريه بهت الذي ألفه في القرن السابع الميلادي، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وقام بترجمته العالم (أبو الحسن الأهوازي) في نهاية القرن الثاني الهجري، واستفاد منه العلماء العرب.

ولم يكن العلماء العرب في العصر العباسي يكتفون

بالاستفادة من الكتب المترجمة، أو من صحبة علماء السند والهند العاملين في حقول العلم ببلاد العرب وخاصة دار الخلافة، وإنما كانوا يبذلون أقصى جهدهم لنشر تلك العلوم في بلادهم والعمل على تقدمها بسعيهم العلمي المتواصل حتى يشتركوا في ركب الحضارة العلمية بأبحاث قيمة يقومون بها، وبإضافات علمية يضيفونها إليها. وكان الخلفاء العباسيون يهتمون بتقدم تلك العلوم العقلية ليظهر بين العرب عباقرة فيها، فقد أرسل الخلفاء الوفود في رحلات علمية ميدانية إلى بلاد السند والهند للبحث والتحقيق في كثير من المسائل العلمية، كما كان بعض كبار علماء العرب يحضرون إلى هذه البلاد، ويتبادلون الآراء مع علمائها في النقط الحساسة والغامضة لتلك العلوم، وبذلك كان كل من الجانبين يستفيد استفادة علمية، وكان ذلك يساعد على تقدم العلوم عند العرب وعند أهل السند والهند باستمرار.

فمن العلماء العرب الذين زاروا بلاد السند في عهد العرب محمد بن إسماعيل (في القرن الثالث الهجري)، وكان عالمًا مشهورًا في علم الفلك والنجوم والرياضة في عصره، وقد اختلط بعلماء السند الكبار، يجمع معلومات قيمة عن علم الفلك والنجوم، ثم عاد إلى موطنه، وقد أفاد علماء السند أيضًا من المعلومات العلمية العربية.

وأعظم الشخصيات العلمية التي أدّت دورًا مهمًا في العلاقات العلمية بين العرب وأهل السند، وقدمت للطرفين خدمات علمية، العالم الرياضي والفلكي العبقري أبو الريحان البيروني الذي حضر إلى بلاد السند في بداية القرن الخامس الهجري، وقام بترجمة بعض الكتب والأبحاث العلمية من اللغة العربية إلى اللغة السنسكريتية وربما اللغة السندية أيضًا، حتى يستفيد منها علماء السند والهند، كما كتب عدة رسائل في علم الفلك والنجوم، منها رسالة كتبها في الإجابة عن أسئلة الفلكيين ببلاد السند، ورسالة في الإجابة عن أسئلة علمية لكبار علماء كشمير والبنجاب، وكذلك رسالة على كتاب اسطرلاب، كما ترجم من العربية كتاب المجسطي لبطليموس، وكذلك قام بتصحيح الكتب الثلاثة التي ترجمت إلى العربية من السنسكريتية في دار الخلافة في القرن الثاني للهجرة، وهي كتاب «سد هانت»، وكتاب «أركند»، وكتاب «أرجبهد»، وكلها في علم الفلك، ولكنه ضمها جميعًا في كتاب واحد بعد التصحيح والإضافة وسماه «جامع الموجود بخواطر الهنود»، ولعل أهم كتاب ألفه البيروني هو ذلك الكتاب الضخم في خمسمئة صفحة عن كتاب سدهانت بطريقة علمية تحقيقية جديدة لبيان الأخطاء التي وقعت من جانب المؤلف أو من جانب المترجمين له، ومن الأعمال العظيمة للبيروني في بلاد السند أيضًا أنه قام بقياس دوران الأرض مرة أخرى في القرن الخامس الهجري، بعد أن كان قد قام أحد العلماء العرب بذلك في أوائل القرن الثالث الهجري في دار الخلافة بأمر الخليفة المأمون العباسي، وكانت النتيجة الثانية موفقة جدًا، فقد أضاف البيروني شيئًا جديدًا إلى تلك الخبرة العلمية العربية السابقة.

أزال العرب النظام الطبقي الظالم، وأقاموا مكانه نظامًا إسلاميًا عادلاً، لا فرق بين غني وفقير، فالجميع سواسية في نظر الإسلام

نهضة شاملة

ولم يمض أكثر من قرن واحد على حكم العرب حتى اشتهرت بلاد السند بالنهضة في جميع النواحي، ولا سيما الناحية العلمية والثقافية، وقد برز علماء السند ليشاركوا إخوتهم العرب في داخل البلاد وخارجها، في دفع عجلة النهضة العلمية نحو الكمال والمجد، حتى صارت بلاد السند مركزًا للعلم في ذلك العصر، ثم وصلت هذه النهضة بالتدريج إلى مرحلة حضارة يمكن تسميتها بالحضارة العربية الإسلامية في بلاد السند.

ويرجع الفضل في قيام هذه الحضارة وبقاء آثارها الخالدة في تلك البلاد إلى تعاليم الإسلام السامية التي تدعو إلى وحدانية الله، وإلى الحق والخير والفضيلة، وإلى طلب العلم والمعرفة، وإلى المساواة والأخوة، وإلى العمل البناء لخير الإنسانية جمعاء، ويرجع الفضل في ذلك إلى سماحة العرب مع شعوب البلاد المفتوحة، وحبهم الخير للجميع، وتقديرهم للعلم والعلماء؛ فالعرب أينما حلّوا لم يحاولوا القضاء على الآثار الباقية للمدنية التي وجدوها في البلاد المختلفة في ميادين الفكر والعلم، بل اهتموا بها، وشجعوا

على تقدمها وازدهارها، وحاولوا الاستفادة منها أيضاً بقدر الضرورة، ولذلك كانت حضارتهم العربية الإسلامية حضارة عالمية ومقبولة عند الجميع.

وهنا نود أن نلقي نظرة عامة على أهم الخدمات التي قدمها العرب إلى بلاد السند، وعلى أهم الفوائد التي عادت على العرب من فتح تلك البلاد أيضاً، لنعرف إلى أي مدى حققت الفتوحات الإسلامية أهدافها السامية، وجنت ثمارها الطيبة لمصلحة الطرفين: العرب والسند، وخرجت بنتائج مفيدة في جميع الميادين.

يخطئ بعض المؤرخين الأجانب في اعتقادهم أن دور العرب في بلاد السند كان دوراً بسيطاً قد مر سريعاً، دون أن يترك نتائج مفيدة، بينما الواقع هو أن العرب قد رفعوا رايات الدين والعلم والفكر، ورايات العدل والحرية والتقدم في بلاد السند، وبذلك سجلوا لتلك البلاد تاريخاً جديداً مجيداً، يفتخر به أهل السند ويعتز به العرب.

قدم العرب لأهل السند خلال أكثر من ثلاثة قرون من الزمن في أثناء حكمهم الإسلامي خدمات جليلة في شتى المجالات، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك، إلا إذا كان جاهلاً بالتاريخ، أو ناكراً للجميل، أو عدواً للسند والعرب والإسلام.

وإذا كان عهد العرب قد انتهى في تلك البلاد بانتهاء الخلافة العربية في العالم، فإن الآثار الطيبة للعرب قد ظلت باقية، وإن الحكومات الأخرى التي قامت في بلاد السند من بعد العرب، لم تكن في الحقيقة إلا امتداداً للحكومة العربية السابقة في صورة حكومة محلية مشتركة من رجالات السند والعرب، وإذا كان مظهر السياسة العربية قد تغير في بعض البلدان إلى مظهر قومي، فإن المظاهر الدينية والثقافية والاجتماعية لم تتغير عند أهل السند بل ظلت إسلامية إلى عهدنا هذا.

فمن الناحية السياسية: كانت بلاد السند قبل الفتح العربي تعيش في سياستها الخارجية في عزلة عن العالم، وكانت الفوضى تسود شؤونها الداخلية، لأنها كانت تنتقل من حكم إلى حكم، ومن سيطرة إلى سيطرة، أو تتعرض لغزو في إثر غزو. ففي تلك القرون المظلمة لم تنعم بلاد السند بالاستقرار سياسياً ومذهبياً، كما لم تنعم بالرفاهية اقتصادياً واجتماعياً، فقد سجل التاريخ أن الغزاة الأجانب كانوا يستعبدون الشعب السندي، ويفرقون شمله، ويحرمونه من حقوقه الكثيرة، ولذلك كانت بلاد السند في تأخر كبير في جميع ميادين الحياة، ولم تكن قادرة على أن تلم شملها، وأن تقف على قدميها وقوفاً ثابتاً، نتيجة لتلك الآثار السيئة التي تركها هؤلاء الغزاة في بلاد السند قبل الإسلام.

ولكن منذ أن فتح العرب بلاد السند وأدخلوا فيها معهم مبادئ الإسلام السامية من المساواة، والعدالة الاجتماعية، وإنكار التفرقة العنصرية، وإعطاء الفرص للجميع من أجل العمل البناء في سبيل الوطن ولخير البشرية، نجد أنه قد قامت في بلاد السند أول مرة في تاريخها، حكومة منظمة عادلة تسعى إلى مصلحة الشعب السندي وتوجيهه نحو الخير والفلاح مذهبياً وسياسياً وفكرياً واقتصادياً، فاطمأن الشعب لها ورضي بها وعمل معها، لنهضة البلاد في جميع المجالات مدة ثلاثة قرون، حتى تغيرت معالم هذه البلاد، من الشقاء والتأخر إلى العزة والتقدم، وظهرت بلاد السند على مسرح التاريخ دولة لها كيانها في الشرق.

وصل بعض أهل السند في ميدان السياسة في الدولة العباسية إلى مراكز عظيمة؛ لسعة علمهم، وعلو مكانتهم عند العرب، فقد صار بعضهم من المستشارين عند الخلفاء، ومن قواد الجيش، ومن ولاة الأقاليم أو المدن العربية

ومما هو جدير بالذكر هنا أن العرب منذ البداية قد أشركوا أهل السند في الحكم والإدارة والعمل معهم، ونظموا شؤون البلاد بالتعاون تنظيماً عادلاً، حتى يشعر الناس بالمساواة والحرية والعدل في كل الميادين، بعد أن كان العدل مفقوداً، وكانت الحرية معدومة في البلاد قبل قدوم العرب إليها، وقد تحسن النظام الإداري، والنظام المالي، والنظام العسكري بتكوين جيش نظامي قوي، وبذلك كله صارت لبلاد السند مكانة مرموقة في العالم.

ومن الناحية الدينية: كانت بلاد السند قديماً تعيش وسط خلافات مذهبية عنيفة، بل في حروب دينية دامية، وخاصة

بين البراهمة والبوذيين، وكانت العناصر السياسية مقسمة في الدولة، وكل عنصر منها يريد الوصول إلى السلطة والنفوذ، ليؤيد أتباع مذهبه، ويضطهد أتباع المذهب الآخر بالتقتيل العام، والإحراق الجماعي، وأنواع التعذيب والتشريد، فلم تكن هناك حرية للدين، وقد ظلت الحالة على ذلك قرونًا طويلة، حتى إذا ما جاء العرب إلى بلاد السند، وفتحوا أرجاءها خمدت نيران هذه الخلافات المذهبية، وتلك الحروب الدينية، بل ارتفعت راية الحرية الدينية في كل مكان، وعاش جميع الطبقات في ظلها بأمان، فأصبح لكل فرد حق في اختيار أي دين، ولم يفرض العرب دينهم فرضًا، وإنما دعوا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان ذلك كله بفضل سماحة الإسلام.



رسم متخيل للفرسان العرب في الفتوحات الإسلامية

ومع قدوم العرب انتهت السلطة السياسية للمذاهب على البلاد، وانتهت معها الخلافات والحروب، ثم لما تأكد الجميع من عدالة العرب في إعطاء تلك الحرية الدينية، وتبين لهم ما في الإسلام من مبادئ عظيمة، كالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى خالق هذا الكون، وكالمساواة، والعدالة الاجتماعية، بدأ أهل البلاد المفتوحة ينظرون إلى الإسلام نظرة إجلال وتعظيم، وبدأت جماعات كبيرة منهم تدخل في الإسلام.

ومن الناحية الاجتماعية: كان نظام الطبقات الذي أقامه البراهمة في بلاد السند نظامًا جائرًا غير عادل، فقام المسلمون بإلغائه بالحكمة، ومن دون استعمال القوة، وبطريقة غير مباشرة، فقد كان البراهمة رجال الدين البرهمي قد قسموا الشعب السندي إلى أربع طبقات غير متساوية وهي:

البراهمة: أفراد الطبقة الأولى، وهم رجال الدين، ويعدّون أنفسهم أشرف الناس في الدنيا، ليس لأحد عليهم من سلطان، يفعلون ما يريدون، وإطاعتهم واجبة على الخلق جميعًا.

الأكشترية: أفراد الطبقة الثانية، وهم رجال الحكم والسياسة والحرب، ومن واجبهم إطاعة البراهمة، وتدبير سياسة البلاد والدفاع عنها.

الفيشية: أفراد الطبقة الثالثة، وهم رجال التجارة والصناعة والزراعة، ومن واجبهم تدبير الأمور الاقتصادية، وتوفير المواد الغذائية لأهل البلاد.

الشودرية: أفراد الطبقة الرابعة، وهم المنبوذون في رأي البراهمة؛ لأنهم كانوا سكان البلاد الأصليين، وقد حرمهم البراهمة من حقوقهم الإنسانية حتى لا يفكروا في استرداد حقهم الشرعي في حكم البلاد. وكان الشودرية محرومين من العمل والتعليم، وكان عملهم الوحيد هو خدمة أفراد تلك الطبقات الثلاث العالية في أخس الأعمال، وهو إزالة القاذورات من البيوت والأماكن المختلفة في البلاد، وكان عليهم أن يسكنوا

خارج المدن في الضواحي الخاصة بهم في أكواخ قذرة خربة، فكانت حياتهم كلها ذلاً وهواناً، لا يفارقهم الفقر والجهل والمرض والخوف، فإذا رفعوا صوتاً على أحد من غير طبقتهم قطعت ألسنتهم.

ولذلك لم يكن هذا النظام الطبقي الجائر مقبولاً عند كثير من أفراد الطبقات الأخرى، وكانت البلاد من جراء ذلك النظام البغيض وتعقيداته تعيش في فوضى اجتماعية وحالة نفسية هستيرية.

ومع قدوم العرب إلى بلاد السند أشرق النور على هؤلاء المساكين، واختفت أشباح نظام الطبقات بعد قليل من الزمن، وشعر الجميع بالحرية والعزة، وشعر الشودرية المنبوذون بإنسانيتهم وكرامتهم في عهد العرب، بل نراهم قد بدؤوا يزاولون أنواعاً من الأعمال والمهن الصغيرة، ويتعلمون ويدرسون الدين، ولذلك سبقوا غيرهم من أفراد الطبقات الأخرى إلى اعتناق الدين الإسلامي الذي أكرمهم، كما دخل الكثيرون منهم في الجيش العربي، فزادوا عزة بين الناس، وتقربا عند العرب حكام البلاد.

أشرك العرب أهل السند في الحكم والإدارة والعمل معهم، ونظموا شؤون البلاد بالتعاون تنظيماً عادلاً، حتى يشعر الناس بالمساواة والحرية والعدل في كل الميادين

وهكذا أزال العرب هذا النظام الطبقي الظالم، وأقاموا مكانه نظاماً إسلامياً عادلاً، لا فرق بين غني وفقير، فالجميع سواسية في نظر الإسلام، وكل فرد يحصل على متع الحياة بقدر جهده وبطريقة مشروعة، وبذلك انتشرت مبادئ المساواة في الحقوق والواجبات، والحرية الدينية، والعدالة الاجتماعية بين الناس في أرجاء بلاد السند.

ومن الناحية الاقتصادية: قدّم العرب خدمات عظيمة من أجل رفاهية الشعب السندي، وتحسين دخله القومي، فمثلاً نلاحظ في ميدان الزراعة أن بلاد السند كانت شبه زراعية، وكانت المحصولات الزراعية لا تكاد تكفي للاستهلاك المحلي.

ولكن في عهد العرب صارت بلاد السند بلاداً زراعية معروفة بفضل عناية الحكومة العربية بها، وذلك بشق القنوات والترع، وإصلاح الأراضي، وبناء مدن جديدة كمدينة المنصورة التي صارت من أعظم المدن السندية جمالاً وإنتاجا، يحيط بها نهر السند بفروعه الجديدة من كل جانب، وتتخللها شبكة من القنوات في الداخل، فكانت تبدو للناظرين كأنها جزيرة خضراء جميلة، وكثرت المنتجات الزراعية للبلاد، بل أصبحت تزيد على حاجة السكان، وتصدر إلى البلاد العربية والبلاد المجاورة.

ومن الناحية الصناعية: لم تكن بلاد السند معروفة، كبلاد الهند في الصناعة قديماً، فقد كان بها بعض الصناعات الخفيفة، وهي لا تكفي لمطالب المواطنين، ولذلك كان يستورد كثير من المنتجات الصناعية من البلاد الأخرى، كالهند والصين.

فاهتم العرب بتشجيع الصناعات المحلية وتحسينها، وعملوا على إقامة منشآت صناعية، ولم يمض وقت قصير حتى نهضت بلاد السند، التي بدأت تصدر كثيراً من المنتجات الصناعية، والمنتجات الزراعية إلى الخارج، كالسكر والتوابل والفواكه والأقمشة والأحذية والملابس المزركشة، والمصنوعات الرفيعة والتحف الجميلة من الفضة والعاج، كأدوات الزينة والألعاب وغيرها، وبذلك أخذت النهضة الاقتصادية وضعها السليم في البلاد.

ومن الناحية التجارية: لم تكن بلاد السند في القديم بلاداً تجارية، على الرغم من أن بعض أقاليمها كانت معروفة بالتجارة الداخلية.

وبعد قدوم العرب إلى بلاد السند تقدمت التجارة فيها مع تقدم الزراعة والصناعة، وخرجت التجارة من حيزها الداخلي المحدود إلى الحيز الخارجي، بفضل خبرة العرب في المجال التجاري، ولكونهم سادة البحار وتجارها المعروفين في ذلك العصر، وأصبحت بلاد السند أهم مركز للتجارة الدولية في شبه القارة الهندية كلها، ونشطت موانئها بحركة تجارية عجيبة، تأتي إليها السفن

الكبيرة وهي محملة بأنواع البضائع، وتعود منها حاملة مختلف المنتجات، وقد ظهرت مدن كثيرة بأسواقها التجارية العظيمة كالدّيبل، والمنصورة، والمُلتان التي كان يمر بها التجار الكبار من أنحاء العالم.

وهكذا تقدمت بلاد السند في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة في عهد العرب، ففتحت الأسواق الكبيرة في الداخل، وصارت لها أسواق عظيمة في الخارج في كثير من البلاد العربية والبلاد المجاورة، فدخلت بذلك في صف البلاد التجارية المصدِّرة في العالم، بفضل كون العرب أنفسهم حلقة الوصل في التجارة الدولية، حتى أصبحت بلاد السند من أشهر البلاد الشرقية في المجال الاقتصادي، ومن ثم زاد الدخل القومي، وشعر الشعب السندي بالاستقرار والرفاهية.

ومن الناحية الثقافية: عني الإسلام منذ فجره بالعلم لخير الإنسانية، ولذلك نرى العرب أينما ذهبوا اهتموا بالعلم ونشره قبل اهتمامهم بشيء آخر؛ لأنه بانتشار العلم ينتشر الدين، وبه يتقدم الفكر، فتتقدم البلاد في كل ناحية من شؤون الحياة وكذلك اهتم العرب بالعلم في بلاد السند.

وكانت العلوم عند العرب في العصر الأموي تنقسم قسمين: العلوم النقلية، مثل دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف والتفسير والفقه واللغة والأدب، ثم العلوم العقلية، كالطب والرياضة والكيمياء، والفلك والتاريخ والجغرافيا وغيرها.

وكانت العلوم التي قام العرب بنشرها في بلاد السند في العصر الأموي والعصر العباسي الأول، العلوم العربية الإسلامية، وأما العلوم العقلية فقد كانت موجودة في بلاد السند، فاستفاد العرب منها في أول الأمر ثم أفادوها بالإضافات العلمية إليها بعد الدراسة والبحث والتحقيق في العصر العباسي.

وقد بذل العرب جهدهم منذ بداية عهدهم ببلاد السند لنشر العلوم الإسلامية، وكانت المساجد التي أقاموها في المدن السندية بمنزلة المعاهد في ذلك العصر، وكانت فيها مكتبات كبيرة زاخرة بالكتب في العلوم المختلفة، يستفيد منها كل من أراد الاستفادة، وكانت هناك مجالس علمية في قصور الحكام والولاة والأعيان العرب، وفي بيوت كبار العلماء المسلمين، كما كانت لبعض القضاة والعلماء العرب مدارس خاصة، كقاضي مدينة المنصورة الذي عرف بتدريسه وتأليفاته وخدماته الجليلة في سبيل نشر العلوم الإسلامية، وقد كثرت المساجد والمدارس والمعاهد فيما بعد في العصر العباسي الثاني في تلك البلاد.

ولم يمض زمن قصير على فتح بلاد السند حتى ظهر المئات من علماء السند، قد تخصصوا في العلوم الإسلامية، وخرجوا إلى ساحة العلم ليؤدوا واجبهم العلمي المقدس منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، يشاركون كبار العلماء العرب في خدمة الثقافة الإسلامية، وقد أصبح بعضهم من مشاهير العلماء المسلمين في تفسير القرآن الكريم وتدريس الحديث الشريف وعلم المغازي، بل حتى في الأدب والشعر واللغة.

> بعد قدوم العرب إلى بلاد السند تقدمت التجارة وخرجت من حيزها الداخلي المحدود إلى الحيز الخارجي، بفضل خبرة العرب في المجال التجاري، ولكونهم سادة البحار وتجارها المعروفين في ذلك العصر

كما وصل بعض أهل السند في ميدان السياسة في الدولة العباسية إلى مراكز عظيمة؛ لسعة علمهم، وعلو مكانتهم عند العرب، فقد صار بعضهم من المستشارين عند الخلفاء، ومن قواد الجيش، ومن ولاة الأقاليم أو المدن العربية، وكان ذلك كله بفضل الإسلام، وبفضل عدالة العرب ونظرتهم إلى المسلمين بأنهم إخوة لهم، متساوون في الحقوق والواجبات في البلاد العربية وبلاد السند لخدمة الإسلام، ولخير الإنسانية جمعاء.

وهكذا كانت الفتوحات الإسلامية خيراً كبيراً على الشعب السندي، وقد بقيت لتلك العلاقات السياسية والاقتصادية ولاسيما الدينية والعلمية، ذكراها العاطرة الخالدة في أذهان أهل السند والعرب، وإن التاريخ سيذكرها دوماً بحروف مشرقة بإذن الله.

التعليمية
معرفة علمية خصبة

بشير إبرير
عنابة - الجزائر

نبدأ حديثنا بهذه الحكمة التي وردت عن الحكيم الصيني كونفوشيوس إذ قال: «إذا أردت أن تؤسس لعام فازرع القمح، وإذا أردت أن تؤسس لجيل فشجِّر الأرض، وإذا أردت أن تؤسس للعمر كله فعلِّم الناس».

نستنتج من هذه الحكمة أن التعليم أهم ما في الحياة؛ فهو العصب الحساس في أي مجتمع من المجتمعات، وهو الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في الإنسان والأمة. وإذا كان المثل المتداول بيننا في عصرنا يقول عن الرجل الذي يحقق إنجازات ونتائج ويبلغ مراكز مهمة: «وراء كل رجل عظيم امرأة» فإنّه بإمكاننا أن نقول قياسا عليه: «وراء كل مجتمع راق مدرسة»(١).

أردت أن أقدم هذا الموضوع: «التعليمية معرفة علمية خصبة»؛ لأن هذا التخصص على أهميته في العملية التربوية يكاد يكون مجهولا في منظومتنا التربوية، إذ مازال فيها يعاني كثيراً من العناء والغبن(٢).

سأحاول في - البداية - أن أحدد مفهوم التعليمية؛ لأن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، وإذا أردنا أن نفهم علمًا ما فعلينا أن نحدد مصطلحاته، ونفهمها، ونعرف كيف نقيم الحدود بينها ونبين الفروق بين هذا العلم وذاك انطلاقا من مصطلحاته ومفاهيمه. ثم سأحاول البحث عن موضوع التعليمية، وعلاقتها بالمعارف الأخرى مثل اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية (البيداغوجيا).

مفهوم التعليمية

نشير إلى أننا نجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقابلة للمصطلح الأجنبي الواحد، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد مناهل الترجمة، وكذلك إلى ظاهرة الترادف في اللغة العربية، وحتى في لغة المصطلح الأصلية؛ فإذا ترجم إلى لغة أخرى نقل الترادف إليها، من ذلك:

«تعدد المصطلحات المستقاة من الإنجليزية في شقيها البريطاني والأمريكي»(٣). والشواهد على هذه الظاهرة كثيرة في العربية، سواء أتعلق الأمر بالإنجليزية أم بالفرنسية؛ وهما اللغتان اللتان يأخذ منهما الفكر العربي المعاصر على تنوع خطاباته والمعارف المتعلقة به. ومنها مصطلح Didactique الذي يقابله في العربية عدة ألفاظ:

Didactique
تعليمية - تعليميات - علم التدريس - علم التعليم - التدريسية - الديداكتيك

تتفاوت هذه المصطلحات في الاستعمال؛ ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال «ديداكتيك» تجنبًا لأي لبس في مفهوم المصطلح،

نجد باحثين آخرين يستعملون «علم التدريس»، و«علم التعليم»، وباحثين آخرين قلائل يستعملون مصطلح «تعليميات»، مثل لسانيات ورياضيات... الخ. وأما مصطلح «تدريسية» فهو استعمال عراقي، لم يشع استعماله. غير أنّ المصطلح الذي شاع في الاستعمال أكثر من غيره هو: «تعليمية» ولذلك اخترته مقابلاً لـ «didactique» على الرغم من الإغراء الذي يمارسه كل من مصطلح «علم التدريس» و«علم التعليم».

وقد عرف جان كلود غينون C.Gagnon في دراسة له أصدرها عام ١٩٧٣م بعنوان: «التعليمية في مجال من المجالات» La didactique d'une discipline، التعليمية كما يأتي:

«إشكالية إجمالية ودينامية، تتضمن:

- تأملا وتفكيراً في طبيعة المادة الدراسية، وكذا في طبيعة تدريسها وغاياته.

- وإعداداً لفرضياتها الخصوصية، انطلاقاً من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعلم النفس وعلم التربية (البيداغوجية) وعلم الاجتماع... الخ.

- دراسة نظرية وتطبيقية للفعل التربوي المتعلق بتدريسها»(٤).

نستنتج من هذا التعريف أن التعليمية علم مستقل بنفسه وله علاقة وطيدة بعلوم أخرى وهو يدرس محتويات التعليم ونظرياته وطرائقه دراسة علمية. وهو في ميدان تعليم اللغة يبحث في سؤالين مترابطين الواحد بالآخر هما، ماذا ندرس ؟ وكيف ندرس؟. يتعلق السؤال الأول بالمادة الدراسية كمًا وكيفًا، بالنظر إلى معجمها ودلالتها ونحوها وأصواتها، وبجرد الأبنية أو الأشكال اللغوية والمفاهيم التي تتماشى مع احتياجات المتعلمين، وتجيب عن هذا السؤال اللسانيات التطبيقية وهو تخصص يتداخل كثيراً مع التعليمية.

أما السؤال الثاني فيتعلق بتحديد نوعية المتعلمين وحاجاتهم وميولهم ثم تحويل هذه الحاجات والميول أو ترجمتها إلى قوالب لغوية ومفاهيم، ثم تكييفها بما يستجيب للمتعلمين والأهداف والوسائل التعليمية المتوافرة، ويجيب عن هذا السؤال علم مناهج تدريس اللغات méthodologie de l'enseignement des langues، وكذلك تخصصات أخرى لها صلة وثيقة بالتعليمية مثل: علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية ونظريات التعلم وعلم الاختبارات والتقويم La docimologie وتقانة التربية.



كيف يمكن تشجيع المتعلمين على الإنصات الجيد؟

موضوع التعليمية

تطرح موضوعات كثيرة على بساط البحث في التعليمية، إذ يمكن أن يهتم المتخصص فيها بعدة اهتمامات لا تنحصر في المادة وحدها وإنما تمتد لتشمل كل ما يتعلق بالعملية التعليمية في مختلف أبعادها ومساراتها في ترابط وتناسق وانسجام بين مختلف عناصرها المكوّنة لنظام التعلم والتعليم الذي يمكن تفصيله كما يأتي:

- معرفة عينة المتعلمين، من هم ؟ أصغار أم كبار؟ وما مستواهم المعرفي ومعرفتهم السابقة بمواد التخصص الذي يدرسونه، وبالمادة التي سيدرسونها مجدداً؟ وما هي خصوصياتهم النفسية والاجتماعية، وخصائصهم بصفتهم جماعة من المتعلمين يضمهم قسم واحد ؟ والخصائص المميزة لهم بصفتهم أفراداً؟.

فالإجابة عن هذه الأسئلة تمكن الباحث في

التعليمية(٥) من تحديد حوافز المتعلم ودوافعه المختلفة نحو التعلم وموقفه من المادة وعلاقته بالمحيط واستعماله للغة(٦).

- المعلم: في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية، وعلاقته بالتوجهات العامة للتعليم وأساليب ممارسته وطرائق تبليغه وأدائه.

- المحتوى: ويتمثل في كل ما يمكن تعليمه وتعلمه، وجملة المعارف العلمية والفنية المكوّنة لمحتوى البرنامج المقرر؛ فيمكن الباحث في التعليمية أن يدرس المحتوى التعليمي دراسة وصفية، أو تحليلية، أو مقارنة أو من منظور اللسانيات الاجتماعية Socio-linguistique، أو من منظور اللسانيات النفسية(٧) Psycho-linguistiqueمن أجل تحديد مقاييس انتقاء المادة بدقة، ففي تعليمية اللغة مثلا، توجد عدة مبادئ لاختيار المادة اللغوية فليس كل ما في اللغة ضرورياً للمتعلم؛ إذ «يقتصر المتعلم في تعبيره الشفوي والكتابي على بعض العناصر اللغوية دون غيرها، فلا يستعمل كل ما في اللغة مهما كانت درجة ثقافته وسعة ثروته اللغوية، وهذا القدر المشترك في الاستعمال بين الناس جميعاً لتأدية الأغراض التبليغية الضرورية هو الذي يحتاج إليه المتعلم»(٨).

يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في هذا المقام: «لا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية مما تقتضيه الحياة العصرية. أما اللغة التقنية التي سيحتاج إليها بعد اختياره لمهنة معينة ثم الثروة اللغوية الواسعة فهذا سيكون من مكتسباته الشخصية يحصل عليها على مرّ الأيام في مسيرته الثقافية وفي تلقيه لشتى الدروس غير دروس اللغة»(٩). وليس كل ما في اللغة من الألفاظ والتراكيب يناسب الطفل أو المراهق في مرحلة معينة من مراحل نموه وارتقائه(١٠).

وبإمكان الباحث في تعليمية اللغات أن يقوم بإحصاء المستوى الإفرادي للغة من أجل تحديد عناصرها اللازمة للتعليم وذلك تسهيلا لعمل المتخصص في تعليم اللغات؛ لأن الإحصاءات وسيلة فعالة تمكن الباحث من إجراء تحليلاته ومقارناته بين الطرائق المختلفة ليعرف مواطن الضعف فيها ويقترح لها الحلول المناسبة(١١).

بالإضافة إلى الفرق بين المنطوق والمكتوب، وأسبقية المشافهة على التحرير، فهناك اختلاف كمي ونوعي بين العناصر اللغوية في الخطابات الشفوية والمكتوبة وهو ما يجب مراعاته في وضع طرائق لتعليم لغتنا إذا أردنا أن نجعلها ذات استعمال عفوي متداول(١٢).

التعليمية علم مستقل بنفسه وله علاقة وطيدة بعلوم أخرى وهو يدرس محتويات التعليم ونظرياته وطرائقه دراسة علمية



عبد الرحمن الحاج صالح

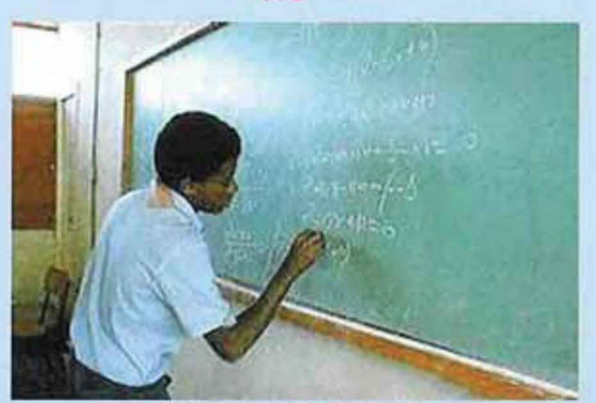
- مؤسسة التعليم: أين تقع؟ في بيئة اجتماعية مدنية أم ريفية؟ وهل هي قادرة على توفير وسائل العمل اللازمة ؟ وما القوانين التي تسيرها؟

- معرفة الأهداف: ما نوعها؟ أهي عامة أم خاصة أم إجرائية؟ وهل تتعلق بمهارات عامة أم بمعارف معينة؟ ومن يختارها ويحددها ؟؛ فقد جلبت أنظار المختصين في التعليمية أهمية الأهداف في نظام التعليم بغية الوصول إلى الطريقة المثلى التي توضح لنا كيف نؤسس تعليمية ما على أهداف تربوية تعليمية مدروسة بدقة وبإمكانها أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

هل يسعى التعليم أساسًا إلى إكساب المتعلم معلومات أو مهارات أو سلوكًا أو اتجاهًا فكريًا محددًا مثل النقد أو الإبداع أو الاستظهار، وهل يقصد التعليم إلى إكساب المتعلم إشكاليات حقيقية واطّلاعًا معمقًا على المفاهيم، وتحكمًا فيها والربط بين علاقاتها المختلفة(١٣).

- الأنشطة: أي ما الأنشطة التي يقوم بها المعلم في تبليغه لمعلوماته، والتي تتعلق بمهارات السمع والكلام والقراءة والتصحيح؟ فهناك أنشطة شفوية وأخرى كتابية، ولا يمكن الاهتمام أو الاكتفاء بجانب واحد منهما وإنما بينهما انسجام وتكامل، ثم إن هذه الأنشطة منها ما يتعلق بالمعلم ومنها ما يتعلق بالمتعلم ولذلك تسمى الأنشطة التعليمية - التعلمية؛ فمن ذلك مثلا إتاحة فرص الحديث للمتعلم عن موضوعات ضمن سياقات مختلفة مع بقية المتعلمين داخل القسم، وما يتطلبه ذلك من تبادل للأدوار بينهم، وإنماء لملكتهم التبليغية. كما يمكن تشجيع المتعلمين على الإنصات الجيد مع التحلي بالصمت في حالات الاستماع المختلفة والاستعداد للرد السريع شفويًا، ومعرفة متى يكون ذلك، ومتى يلتمس الكلمة والتمييز بين أنواع الخطابات التي توجه إليه وأغراضها المختلفة وما إذا كانت بغرض الإقناع أو التوضيح أو التأثير أو لفت الانتباه إلى أمرٍ ما أو الاستدلال والمحاجة، والتكلم بجرأة ووضوح باستعمال جمل مفيدة، وعدم الاقتصار في الإجابة على كلمة واحدة. وتمرينهم أيضا على آداب الحديث والمناقشة وما تتطلبه من قدرات مختلفة مثل: التكيف مع أحوال الخطاب المختلفة ومعرفة الفروق بين مخاطبة الصغير ومخاطبة الكبير ومن هم في منزلة اجتماعية يقتضي مقامها الحرمة، ومن هم في منزلة أدنى واختيار الخطاب المناسب وما يقتضيه من كلمات وتراكيب. فلا يكتفي المعلم بتبليغ محتويات معلوماته وإنما يمكنه أن يعمل على إكساب المتعلمين المهارات المختلفة التي تدعم ملكة التبليغ

نجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقابلة للمصطلح الأجنبي الواحد، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد مناهل الترجمة، وكذلك إلى ظاهرة الترادف في اللغة العربية



الأعمال الكتابية ذات طبيعة خلاقة

مشافهة وتحريرًا(١٤).

ولابد من التركيز على الأنشطة الكتابية أيضًا لأهميتها في إكساب المتعلم ملكة التفكير النافذ، فكتابة الموضوعات والتعليق عليها وتلخيصها ووضعها في رؤوس أقلام من شأنها أن تطور طرائق متقدمة في التفكير؛ «فالأعمال الكتابية ذات طبيعة خلاقة؛ لأنها تدفع إلى التفكير المتعمق وإعمال الذهن وتوجيهه نحو اكتشاف المعاني والأفكار والعلاقات...»(١٥). ونشير - في كل هذا - إلى أن دور المعلم يكمن في تدخلاته المنهجية وتوجيهاته الضرورية فقط، ويمكن أن يبقى جانبًا في بعض الحالات اللازمة، فلا يتدخل في كل صغيرة أو كبيرة ليدع المجال للتلاميذ يعبرون بأنفسهم عن أنفسهم ويتخاطبون، فذلك يؤدي إلى روح التنافس المثمر وتقوية دوافع التلاميذ نحو التعلم(١٦).

- الوسائل: التي يمكن استعمالها في أداء العملية مثلا:

هل المكان المناسب قسم أو مخبر ؟ وهل الوسيلة كتاب أو مطبوعة أو صور أو أشرطة؟... الخ.

- النتائج التي تم تحقيقها فعلا، وهل تم تحقيق الأهداف المحددة؟ وما نسبة ذلك التحقيق أو النجاح ؟ وهل بإمكان المتعلمين أن يشاركوا في تقويم النتائج المتوصل إليها؟(١٧). وما الثغرات التي ظهرت ومن اللازم سدها؟ وما الصعوبات التي تواجه المعلمين والمتعلمين معاً في التعليم والتعلم ؟ وهل يتعلق ذلك بالطريقة أو بالمتعلم، أو بالمحتوى أو بالوسائل أو بالمعلم بوصفه العنصر الأول في العملية التعليمية ؟ وكيف يتم تصحيح كل ذلك ؟ أو بعملية التقويم في حدّ ذاتها؟

إن ما يمكن أن يبحثه المتخصص في التعليمية يمكن أن نلخصه كما يأتي:

«متعلمون في علاقة مع
- معلم لكي يتعلموا
- محتويات داخل إطار
- مؤسسة من أجل تحقيق
- أهداف عن طريق
- أنشطة وبمساعدة
- وسائل تمكن من بلوغ
- نتائج»(١٨).

الباحث في التعليمية يجد نفسه مضطراً للبحث في علوم أخرى ذات علاقة ومنافع متبادلة بينها وبين التعليمية

إن أهم الموضوعات التي يمكن أن تكون الانشغالات الأساسية للتعليمية وعلى المتخصص في هذا الميدان أن يبحثها تتمثل - كما يرى كلود بيجان Cloude Beginفي مقالة له عنوانها «التعليمية واهتماماتها الرئيسية»:

La didactique et ses principales préoccupations (١٩). في: تحسيس المدرسين بمشكلات التعليم المختلفة، وجعلهم يعرفون بعض أهداف التعليم وبعض وسائل بلوغها، وتيسير التعليم وتنمية المهارات العقلية (مثلا مهارة الحساب الذهني، حل بعض المشكلات، التفكير الاستدلالي...) والبحث عن الحد الأدنى من التعليم فماذا يتبقى منه، إذ هناك معارف مهمة كثيرة يعتورها النسيان.

وإغناء الوسط التربوي بالتصدي للمعرفة وفهمها خصوصاً أن هذا العصر الذي نعيشه هو عصر المعرفة ولا مكان فيه لمن لا معرفة له، وكذلك تحفيز التلاميذ نحو المواد الدراسية وتشويقهم للتعليم وبيان أهمية المواد الدراسية ووظائفها في المجتمع. وكذلك تكوين المعلمين وتحسين أدائهم التربوي، والقيام بالبحث في المواد التعليمية وفي تنظيم عملية التعليم والتعلم والبحث - أيضا - في بناء المناهج وتطوير البرامج التعليمية دون أن ننسى في كل هذا البحث التقويم وأساليبه وأنواعه، وأهميته في العملية التعليمية.



تعليمية اللغات استفادت من اللسانيات استفادة كبيرة

علاقة التعليمية بالمعارف العلمية الأخرى

تتداخل التعليمية مع عدة تخصصات علمية أخرى إلى درجة يصعب التفريق بينها في بعض الأحيان، فهي في إيطاليا ترادف علم النفس اللغوي وعلم النفس التربوي، ويتداخل مفهومها إلى حد الالتباس في - بلجيكا - مع علم التربية، بينما يرتبط في فرنسا باللسانيات التطبيقية، دون أن ننسى اللسانيات العامة والصوتيات وعلم النفس العام وخصوصاً ما تعلق منه بنظريات التعلم، وعلوم أخرى اهتمت بالمجال الاجتماعي الثقافي مثل الاقتصاد والتاريخ والجغرافيا، وعلوم عريقة مثل الأدب والفلسفة.

ويفسر ماريه Mariet هذا الحضور المكثف لمختلف الفروع والعلوم بالموقع الاقتصادي المهم لتعليمية اللغات، فقد كانت بحكم التطور الذي عرفته موردا مهما للعمل، ووجدت فيها بقية العلوم الأخرى ضالتها بما أنها تدرس المادة - والمتعلم - والطرائق»(٢٠).

ولهذا فإن الباحث في التعليمية يجد نفسه مضطرًا للبحث في علوم أخرى ذات علاقة ومنافع متبادلة بينها وبين التعليمية(٢١)، ومنها:

- **اللسانيات**: فقد استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات استفادة كبيرة على تعاقب مدارسها ونظرياتها، فقد قدمت المدارس اللسانية ونظرياتها التي انبثقت عنها للتعليمية إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية وبنياتها والمناهج التي تحكمها، وذلك انطلاقا مما قدمه سوسير F.Saussure في المدرسة البنوية Le structuralisme وبلومفيلد L.Bloomfield في المدرسة التوزيعية L'école distributionnelle ومدرسة تشومسكي N.Chomsky التوليدية التحويلية L`école générative transformationnelle وما قدمته المدرسة الإنجليزية مع فيرث Furth ثم تطورت بفضل تلميذه مايكل هاليداي M.Halliday وديل هايمس Dell Hymes وقد نتج عن كل هذه المدارس عدة مفاهيم كان لها بالغ الأثر في تعليمية اللغات، ومن أهم تلك المفاهيم مفهوم النظام عند سوسير؛ ففي رأيه أن اللغة نظام محكم يتكون من مستويات للتحليل هي: المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي «ومن ثمة فإن تحديد تلك الأبنية ووحداتها وما يربط بينها من علائق متنوعة من شأنه أن يعين على معالجة المواد اللغوية المدرّسة معالجة تربوية (بيداغوجية) مخصوصة يراعى فيها التدرج من البسيط إلى المعقد والانتقال من الشبيه إلى الشبيه به أو المقابل له، وهو ما يساعد على ترسيخ المعلومات المقدمة في أذهان المتعلمين وتيسير عملية استحضارهم لها كلما شعروا بالحاجة إلى ذلك...»(٢٢).

علم الاجتماع يجيب عن الكثير من الأسئلة المتعلقة بالتعليمية من مثل الاستعمالات اللغوية المختلفة: من يستعملها؟ ومع من يستعملها؟ وكيف يستعملها؟ وفيم يستعملها؟


تشومسكي

إن الرؤية الوصفية للغة التي ترسخت في منهج مستقل بها عند سوسير لم يتوقف تأثيرها في التعليمية فحسب، وإنما امتد ليخالط مناهج تحليل النصوص الأدبية. ولعل أحسن استثمار لمفهوم البنية في تعليمية اللغات يتمثل في التمارين البنوية exercices structurauxالتي تعتمد على مفاهيم التقابل l'opposition والتشابه l'analogie والاختلاف le contraste في فهم اللغة وإدراك مدلولاتها.

ومن بين مظاهر التأثير أيضا أن أعيد الاعتبار للغة المنطوقة فأصبحت لها أهميتها في الوصف والدراسة وهي نظرة جديدة لم تكن من قبل، عندما كانت تسود الدراسات التاريخية والمقارنة التي كانت تركز على النصوص المكتوبة لكبار الأدباء. إن اللغة المنطوقة تتميز بالنشاط والحيوية، من ذلك أن الطفل لا يشرع في تعلم اللغة المكتوبة إلا بعد أن يتعلم اللغة المنطوقة.

وقد استفادت تعليمية اللغات أيضا من اللسانيات في جانبها الصوتي في تصحيح النطق لدى المتعلمين خصوصا في تعلم اللغات الأجنبية. بالإضافة إلى أن معظم المدارس

اللسانية قد اتخذت من الجملة وحدتها الأساسية في دراسة اللغة، ناهيك عن تكوين الأرصدة اللغوية الأساسية التي يحتاج إليها المتكلمون باللغة في أغلب شؤون حياتهم وقضاء حوائجهم(٢٣).

ومن بين أهم المفاهيم اللسانية التي كان لها تأثير واسع في تعليمية اللغة مفهوم «الملكة اللغوية» La compétence linguistique (٢٤). ويقابلها مفهوم «الأداء أو الإنجاز» La performance (٢٥). وهما مفهومان أساسيان في المدرسة التوليدية التحويلية، فالملكة اللغوية تمثل جملة القدرات والاستعدادات التي تمكن الفرد من إنجاز اللغة بعد ذلك، بمعنى أن الإنجاز هو استثمار للملكة.

إن ما جاء به تشومسكي في هذا الإطار على قدر كبير جدًا من الأهمية في تعليمية اللغات، غير أنه يظل غير كاف في نظر أصحاب المدرسة

تشترك التعليمية وعلم التربية في مسارات اكتساب المعارف وتبليغها، لكن التعليمية تعالج محتويات المعرفة بصفة خاصة، بينما يهتم علم التربية بالعلاقات بين المتعلمين والمعلمين



على المعلم ألا يكتفي بتبليغ محتويات معلوماته، وإنما عليه إكساب المتعلمين مهارات مختلفة

الإنجليزية التي تسمى بالفيرثية الجديدة نسبة إلى «فيرث» Furth صاحب نظرية سياق الحال في بداية الأربعينيات.

ولهذا أضاف «ديل هايمس» مصطلحًا آخر هو: الملكة التبليغية/ التواصلية. la compétence communicative (٢٦) إذ تشكل موضوعًا للبحث على درجة كبيرة من الأهمية في الدراسات العربية والغربية على حد سواء، وقد ألفت في ذلك كتب كثيرة ورسائل جامعية متعددة.

تعني الملكة التبليغية «القدرة على استعمال اللغة في مختلف الأحوال الخطابية لشتى الأغراض»(٢٧). وهي بهذا تتعدى الملكة اللغوية التي تعني القدرة على التركيب السليم للنماذج الصوتية والمعجمية والنحوية والنصية لنظام اللغة.

إن الملكة التبليغية لا تعني معرفة النظام الصوتي والصرفي والنحوي فقط؛ وإنما تتعدى ذلك إلى معرفة معايير التوظيف وقواعده وقدرة المتكلمين في ذلك، فلا تتضمن العناصر والبنيات اللسانية وحدها، بل تشمل أيضًا قواعدها الاجتماعية ومعرفة سياقاتها وكيفيات استعمالها حسب مقتضيات أحوالها(٢٨).

وهكذا تشكل اللسانيات للباحث في التعليمية ميدانًا لدراسة الظواهر التي يلاحظها في أبحاثه ويفسرها، ومجالا لتقديم تصورات أو خطط وإجراءات منهجية بغية تعليم اللغات وتعلمها وذلك على مستويين؛ مستوى مفهومي أو نظري، ومستوى منهجي أو تطبيقي.

- علم النفس بأنواعه(٢٩):

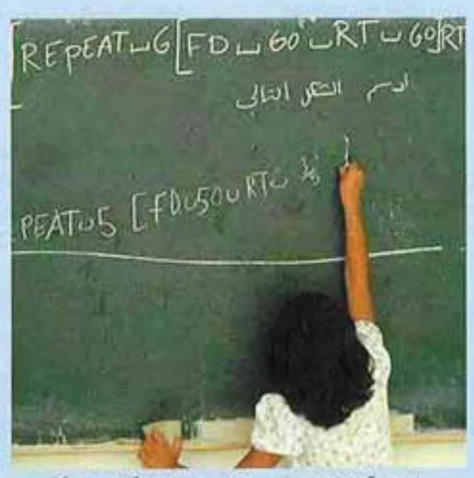
يشكل علم النفس بأنواعه أساسًا نظريًا للكثير من النظريات والمقاربات les approches التي تشكل مجالاً لاهتمامات الباحث في تعليمية اللغات؛ فالنظريات التي تعمل على تنمية آليات الاستعمال اللغوي تستند إلى أساس معرفي يتعلق بعلم نفس السلوك الذي يعد مظاهر

السلوك الملاحظة في الكلام منطلقًا لدراساته، والاستجابات نحو المثيرات المختلفة، وتتأسس المقاربات التواصلية على النظريات النفسية البنائية أو علم النفس التكويني أو المعرفي، كما يسمى أحيانا باعتبارها تعد التعلم عملية تفاعل بين الذات العارفة وموضوع المعرفة. إن علم النفس يجيب عن كثير من التساؤلات المتعلقة بالحياة التعليمية التعلمية ويقدم معلومات ثمينة عن الحاجات اللغوية والدوافع نحو التعلم وإستراتيجياته ويحاول أن يجيب عن أسئلة مثل: كيف يتلقى التلميذ خطابًا؟ وما أهم الصعوبات والعقبات التي تواجهه؟ وما مجمل العلاقات بين تعلم لغة من اللغات وبين عناصر مثل: الشخصية والذاكرة والإدراك والفهم(٣٠).

- علم الاجتماع بأنواعه(٣١):

إذا كانت التعليمية قد استفادت من حصاد علم النفس، فإنها قد استفادت أيضًا من حصاد آخر لا يقل أهمية عن الأول وهو حصاد علم الاجتماع؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، أولا وقبل كل شيء، تؤدي دورًا حاسمًا في التواصل بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية المختلفة. ولهذا فإن علم الاجتماع يجيب عن الكثير من الأسئلة المتعلقة بالتعليمية من مثل الاستعمالات اللغوية المختلفة: من يستعملها ومع من يستعملها؟ وكيف يستعملها؟ وفيم يستعملها؟ وما جملة القواعد الاجتماعية المتحكمة في ذلك؟ وما الاستعمالات اللغوية الممكن استثمارها في المؤسسة التعليمية؟ وما الأوضاع اللغوية وغير اللغوية وأنماط التواصل الشفوي والمكتوب وما تؤديه الحركات والإيماءات وأنظمة التبليغ غير اللغوي وعلاقة ذلك بطرائق التعليم. وما المظاهر الثقافية والحضارية لمجتمع لغوي معين مثل الازدواجية اللغوية، والتعددية...، وأنساق القيم والعادات والتقاليد والأعراف المعبر عنها في محتوى لغوي مقرر على التلاميذ في مرحلة دراسة معينة.

قدمت المدارس اللسانية ونظرياتها التي انبثقت عنها للتعليمية إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية وبنياتها والمناهج التي تحكمها



إيجابية الطالب ضرورة لنجاح العملية التعليمية

- علم التربية (البيداغوجيا):

تشترك التعليمية وعلم التربية في مسارات اكتساب المعارف وتبليغها، لكن التعليمية تعالج محتويات المعرفة بصفة خاصة بينما يهتم علم التربية بالعلاقات بين المتعلمين والمعلمين(٣٢) ونسجل أن هناك تداخلاً كبيرًا بين علم التربية والتعليمية حتى إنه يصعب التفريق بينهما ورسم الحدود التي تميز هذا من ذاك، فهنالك من يرى بأن تعليمية اللغات هي عبارة عن امتداد لعلم التربية ومنتوج ووليد جديد لها(٣٣). إن المهم في كل هذا هو أن تعليمية اللغات وعلم التربية يتبادلان المنافع شأنهما شأن اللسانيات وعلوم النفس والاجتماع كما سبق أن رأينا وما يمكن تأكيده أن الأسئلة التي يجيب عنها علم التربية تتمثل في: العلاقات بين المعلم والمتعلم واستعمال الطرائق والتقنيات التربوية واستعمال الوسائل المختلفة في العملية التعليمية وأساليب تقويم التعليم والتعلم...الخ.

الخلاصة

محصول الحديث من كل هذا هو أن التعليمية

تعد تخصصًا علميًا بالغ الأهمية نظرًا للمعارف الخصبة التي يقدمها لأعوان العملية التربوية والتعليمية في آن واحد، والتي يمكن استثمارها في اكتساب المعارف وتبليغها، ومعالجة المحتويات الدراسية وبنائها البناء المنهجي المناسب حسب ما يقتضيه نظام التعلم والتعليم. كما أن التعليمية تتبادل المنافع مع كثير من العلوم الأخرى مثل: علم النفس التربوي وعلم النفس العام، وعلم النفس اللغوي، وعلوم التربية واللسانيات بفروعها وعلوم عريقة أخرى مثل الفلسفة والأدب والتاريخ... فكل هذه العلوم توظفها التعليمية وتستفيد منها في بناء مصطلحاتها ومفاهيمها ومعارفها ورسم حدودها الفارقة التي تميزها من غيرها من التخصصات العلمية الأخرى. ثم إن هذه العلوم تستحيل بدورها إلى موضوعات للدراسة في ميدان التعليمية فنقول: تعليمية الأدب واللغة أو الفلسفة أو اللسانيات أو التاريخ...الخ.

المراجع والهوامش

١. انظر، عبدالملك مرتاض، مقدمة العدد ٣ من مجلة اللغة العربية، مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية ٢٠٠٠، ص: ٥.
٢. نقول هذا الكلام تأكيداً للحقيقة وإقراراً بها، فعلى الرغم من كون التعليمية معرفة علمية ثرية ولابد منها في العملية التربوية والتعليمية فإننا لا نجد الجامعة الجزائرية قد خصصت لها شهادة ليسانس خاصة بها، بل أكثر من ذلك فإنها، بوصفها مادة مستقلة، ما تزال مهمشة في الجامعة، ولا يهتم بها إلا قليل من الأساتذة والباحثين.
٣. يوسف إلياس، ترجمة النصوص الإخبارية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثاني، العدد الثاني، رمضان ١٤٠٤هـ/يونيو ١٩٨٤م، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص:٣٨.
٤. رشيد بناني، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، ط(١) ١٩٩١، ص:٣٩.
٥. استعملت «الباحث في التعليمية» مقابلا للمصطلح الأجنبي Didacticien، الديداكتيكي أو التعليمي أو التعليمياتي أو الخبير في التعليم.
٦. عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات حقول ومجالات اشتغال الديداكتيكي، مجلة ديداكتيكا، العدد (١)، ص: ٧.
٧. المرجع نفسه، ص: ٧.
٨. عبد المجيد سالمي، مدخل إلى علم تعليم اللغات، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، عدد (٥) ١٩٩٥م، ص:١٤٠.
٩. عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد (٤) ١٩٧٤، ص: ٤٤.
١٠. المرجع نفسه، ص: ٤٤.
١١. عبد المجيد سالمي، المرجع السابق، ص: ١٤٠ - ١٤١.
١٢. المرجع نفسه، ص:١٤١.
١٣. إدريس مولاي شابو، ماهي التعليمية؟ مجلة المبرز، العدد (٥) جانفي جوان ١٩٩٥م، ص:٣٣.
١٤. بشير إبرير، توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، رسالة دكتوراه دولة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة ٢٠٠٠، ص: ٢٤٨ - ٢٤٩.
١٥. حمدان علي نصر، أثر استخدام نشاطات كتابية وكلامية مصاحبة على تنمية بعض مهارات القراءة الناقدة، دراسة تجريبية، المجلة العربية للبحوث التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد ١٦، العدد (١)، ١٩٩٦م، ص: ٢٣٦.
١٦. بشير إبرير، المرجع المذكور سابقا، ص: ٢٤٩، ٢٥٠.
١٧. يوجد كثير من الجامعات في العالم يقوم فيها المتعلمون - في نهاية كل سنة - بملء استمارة تقويم عن الأستاذ، وهذا لا وجود له على الإطلاق في بلادنا، بل حتى ذهنيا هو غير مقبول لعوامل كثيرة ليس هذا مجال ذكرها.
١٨. عبد اللطيف الفاربي وعبد العزيز الغرضاف، كيف تدرس بواسطة الأهداف، الدار البيضاء، ط(١)، ١٩٨٩م، ص: ١٧.
١٩. رشيد بناني، المرجع المذكور سابقًا، ص: ٧٢ وما بعدها.
٢٠. عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات، ص: ٨.
٢١. تتبادل التعليمية المنافع مع كثير من العلوم ومنها اللسانيات؛ لأن تعليمية اللغات تستفيد من اللسانيات والعكس كذلك؛ إذ تستفيد اللسانيات من التعليمية فتصير موضوعًا من موضوعاتها في إطار العملية التربوية.
٢٢. محمد صالح بن عمر، كيف نعلم العربية لغة حية؟ بحث في إشكاليات المنهج، دار الخدمات العامة للنشر، تونس، ط (١) ١٩٩٨م، ص: ١٦.
٢٣. المرجع نفسه، ص:١٧، وما بعدها.
٢٤. تحدث عن الملكة اللغوية العلامة عبد الرحمن بن خلدون في «المقدمة» قبل قرون طويلة من تشومسكي، وتعادل الملكة عند الفارابي وغيره من علماء العرب القدامى«الموجود بالقوة»، غير أن هذا لا يعني إلغاء الجهود العظيمة لتشومسكي وغيره من علماء الغرب وإضافاتهم العظيمة للفكر الإنساني خصوصاً في الضبط المنهجي والتأسيس النظري.
٢٥. يعادل عند العرب القدماء «الموجود بالفعل».
٢٦. الحديث عن الملكة التبليغية في عصرنا لا يخرج عما تحدث عنه علماء اللسان والبلاغة العرب، والبحث عن جذور النظرية التبليغية في التراث العربي على قدر كبير من الأهمية انطلاقًا من سيبويه في القرن الثاني وصولا إلى ابن خلدون في القرن الثامن الهجري.
٢٧. عبد الرحمن الحاج صالح، علم تدريس اللغات والبحث اللغوي في منهجية الدرس اللغوي، ص:١٠.
٢٨. انظر Dell Hymes, Vers la compétence de communication, Paris, 1984, p:124
٢٩. نقول: علم النفس بأنواعه؛ لأن التعليمية تستفيد من علم النفس العام وعلم النفس التربوي وعلم النفس اللغوي.
٣٠. انظر عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات، ص: ٩.
٣١. نقول: علم الاجتماع بأنواعه، لأن التعليمية تستفيد من علم الاجتماع العام ومن علم الاجتماع اللغوي وعلم الاجتماع الثقافي.
٣٢. انظر ميشال دوهلاي، التعليمية والبيداغوجيا، مجلة معالم، العدد (١) ١٩٩٧، دار مارينور للنشر، الجزائر، ص: ١٨١.
٣٣. انظر رشيد بناني، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، ص:٤٥.



هرم الحاجيات الإنسانية

خالص جلبي
القصيم - السعودية

لماذا لا يتنازع الناس على الهواء ويتقاتلون على مصادر المياه كما يتوقع المحللون السياسيون من جس نبض الأحداث في شرايين الشرق الأوسط في القرن الحادي والعشرين؟
السر هو في الفائض اللامتناهي وعدم الخوف بالاستعمال من النفاد، فمع حاجة كل إنسان لنَفَس الحياة بشكل مُلح ومتتابع وبمعدل ثماني عشرة مرة في الدقيقة، فلم تقع أعيننا مطلقًا على رجلين يتنازعان في السوق حول حزمةٍ من الهواء أو قبضة من الريح!!

وفي الوقت الذي تفيض مصادر الطاقة وتصبح شبه مجانية يتوقف النزاع الإنساني إلى حد كبير، وسوف يحصل انقلاب نوعي في أخلاق البشر في التعامل بعضهم مع بعض كما هو في الضجة العلمية الكبيرة التي حدثت حول تحصيل الطاقة الباردة الهيدروجينية(١). ولكن ما حاجيات الإنسان فعلاً إذا لم تكن الهواء والماء فقط؟

جدلية الوفرة والارتباط في الحاجة الإنسانية

عند استعراض حاجيات الإنسان تبدو جدلية واضحة بين البناء الطوبوغرافي والآليات الخفية التي تعمل في أعماق كل واحد منا؛ فهناك علاقة طردية ما بين توافر الحاجة واعتماد الإنسان عليها، فإذا توافرت بفيض لا ينقطع كان سببها اعتماده المطلق عليها، وانقطاع وتوقف الحياة مع انقطاعها اللحظي، فإذا قلّت


بحث عن الأمن!

قلّ اعتماد توقف وجود الإنسان عليها، فالهواء الذي لا يعيش الفرد من دونه لحظات، موجودٌ في كل مكان وبفائضٍ لا يخشى فيه الإنسان من النفاد، فلم يشك الإنسان في يوم من الأيام من أزمة في الهواء وجوداً أو تصديراً، كما لم تُهدد ينابيع الهواء في يوم من

الأيام، كما في منابع النفط فتنشأ من أجلها الحروب، لذا رأى الناس جميعاً أن الحديث عن حاجة الإنسان إلى الهواء لاغ وتحصيل حاصل، وقفز تفكير الناس فوراً إلى الحاجات الحيوية (البيولوجية) الخماسية الأخرى (الطعام والشراب، واللباس والسكن، والجنس) والتي اختصرها القرآن في الآيات الأخيرة من سورة طه عندما تحدث عن الشقاء الإنساني بمغادرة الجنة، وأكدَ أن إحدى مواصفات الجنة الأساسية توافر أرضية الحاجات (البيولوجية): *إنَّ لَكَ ألاّ تجوع فيها ولا تَعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تَضحى*. **طه**: ١١٨-١١٩(٢). فكانت القاعدة الأولى لحاجيات الإنسان هي حاجيات الوجود الحياتي (البيولوجي) فلا يمكن للإنسان أن يتابع وجوده (الفردي) من دون الطعام والشراب واللباس والمسكن. وهناك تدرج في هذه الحاجات فلا يستطيع الكائن الحي متابعة الحياة من دون الماء سوى أيام قليلة، في حين قد يصمد على الحرمان من الطعام أسابيع، أما اللباس والسكن فهما الامتداد الحضاري للإنسان، فاللباس ستر عورة الإنسان وحمى جلده بشكل مباشر، كما أن السكن وفّر السقف والمجال الذي نبتت فيه الحضارة، فلم تنبت الحضارة إلا عندما شيد الإنسان البيت وبدأ بالكتابة ودشّن الزراعة واستأنس الحيوان وباشر التجارة.

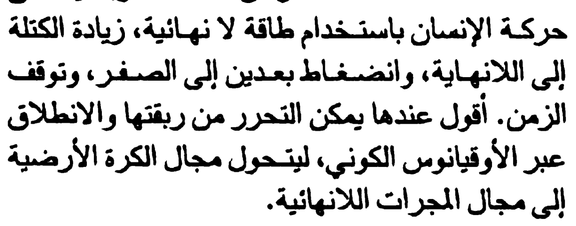


علاقة جدلية بين الإنسان والآلة

تدرج الارتباط بالحاجيات الخمس ودور الجنس

الإنسان إذاً مرتبط بالحاجيات بشكل متدرج فهو لا يصمد من دون هواء لحظات. ولا يعيش من دون ماء إلا أياماً معدودات، ويتحمل الجوع من دون طعام أسابيع، أما اللباس فقد عاش عرياناً فترة طويلة، وقبل عشرة آلاف سنة كان يطارد الوحوش والوحوش تطارده، محروماً من السكن حتى دشن الحضارة فأصبح اللباس والمسكن من ضرورات الحياة، فلا يستطيع اليوم أي إنسان أن يغامر بالنزول عارياً إلى الشارع وإلا سيكون مصيره مصح الأمراض النفسية.

كما تحول الهاتف والسيارة اليوم إلى أمور شبه ضرورية لتأمين الاتصال، فلا حضارة متطورة اليوم من دون نظام اتصالات محكم، والاتصال هو العقل الجمعي الجديد. وتقاس قوة المجتمع بقوة إنجازه من خلال شبكة الاتصالات، فعندما يمكن للإنسان أن يحل مشكلاته بالخطاب والهاتف كان معناه آلة اجتماعية ضخمة، وعندما لا تحل المشكلات إلا بالحضور الشخصي وعلاقة الوساطات كان معناه مجتمعاً يجر أقدامه المتعبة مصاباً بفقر الدم والإعياء. ولم يعد الإنسان يعيش من دون شبكة المواصلات التي تنقل حركته، وبذلك تضخمت المدن وانتشر الإنسان في الأرض في علاقة جدلية بين الإنسان والآلة، فالإنسان يطور الآلة، والآلة تشحذ ملكات الإنسان أكثر فأكثر بفعل تطور جهاز الاتصالات وإمكانيات النقل الآلية (الميكانيكية) التي لن يكون آخرها القطارات الطائرة المغناطيسية. وعندما نستطيع اختراق النظرية النسبية وكسر مسلماتها في علاقة الإنسان بالسرعة، والتي تفرض استحالةً رباعية على



حركة الإنسان باستخدام طاقة لا نهائية، زيادة الكتلة إلى اللانهاية، وانضغاط بعدين إلى الصفر، وتوقف الزمن. أقول عندها يمكن التحرر من ربقتها والانطلاق عبر الأوقيانوس الكوني، ليتحول مجال الكرة الأرضية إلى مجال المجرات اللانهائية.

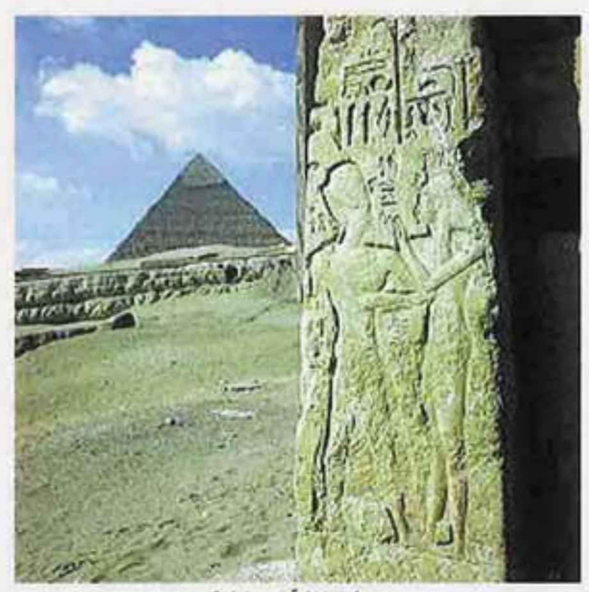
وجود الفرد واستمرار النوع

وتكتمل الحاجات (البيولوجية) بالجنس، فغريزة الجنس تحقق استمرار النوع، كما حققت الحاجيات الأولى وجود الفرد، ونهم الغرائز لا يتوقف حتى يتم إطفاء عطشها سواء كانت الطعام أو الجنس. ومع إرواء عطشها المؤقت تتوقف عن الإلحاح بانتظار دفعة الإلحاح الأخرى، ويتعجب الإنسان من توقفها الكامل والفجائي عند الإشباع، ويكاد يستولي عليه الظن أنه ارتوى للأبد، ولكن سرعان ما تعود عنيفةً كالإعصار المدمر عندما تستهلك وقودها الذاتي فتقول هل من مزيد؟ ونظراً لخطورة الحاجة للهواء وسرعة وإلحاح

حاجة البدن لها فإنها خُلعت من الوعي والإرادة لتعمل بشكل نصف آلي، فإذا كان القلب يضخ الدم بشكل آلي تقريباً، فإن التنفس يخضع لإرادتنا بشكل جزئي محدود. نحن قد نستطيع كتم أنفاسنا أثناء السباحة، ولكن ضغط الحاجة يدفعنا إلى استنشاق الهواء بكل عنف من جديد. وإذا كانت ضربات القلب تتسارع مع الانفعال، فإن التفكير والإرادة لا يسرعان النبض. ونحن حينما نفكر في نبض قلوبنا لا نستطيع أن نأمر الشرايين بشكل مباشر أن تسرع تدفق الدم في مساراتها، فهي قضايا سُحبت من قطاع الإرادة والوعي ونزلت إلى مستوى شريحة الانفعالات غير الإرادية. وإذا غطسنا في الكيان التشريحي أكثر مثل بناء الكريات الحمر وإفراز الأنزيمات وصناعة الأنسولين فإن الإرادة الإنسانية تغيب بالكامل. وهكذا فكياننا مركب من ثلاثة مستويات: المستوى الأول هو (لا إرادي) كامل مثل دفاع الكريات البيض ضد غزو الجراثيم وإفراز البنكرياس لعصارتها. ومستوى نصف إرادي مثل التنفس الذي نتحكم فيه إلى أجل مسمى. ومستوى (إرادي) كامل وهو سيطرتنا على تحريك جسمنا وتوجيه أفكارنا، وهذا القطاع هو الذي تتحدد فيه مسؤولية الإنسان. وهنا فذلكة لافتة للنظر هي أن الله لا يؤاخذنا على ما نفكر فيه، كما أن التشريع لا يحاسب على التفكير، فلا يقتل الإنسان من أجل آرائه، والسبب هو أن التفكير يبقى خاصاً بالإنسان ولا يتحرك إلى الفعل إلا عندما تتكثف الفكرة تماماً وتستوي فتنتقل إلى حيز التنفيذ، فيؤاخذ الإنسان عند ذلك على ما ارتكبت يداه وليس على ما فكر به.

جدلية الحاجة والمتعة

كذلك مُزجت الحاجة بالمتعة تماماً بقدر ضبطها الذاتي أو تحررها وانفلاتها من الآلية، فعندما ارتبط الهواء بالعمل الآلي الأعمى في الجسم حررت الطبيعة تنفس الهواء من المتعة فجعلته عادياً. وعندما ارتبطت حاجة البدن الملحة إلى الماء ارتفعت عتبة المتعة بتناول الشراب إلى مقدار. وعندما خافت الطبيعة على الإنسان من إهمال الطعام والجنس جعلت فيهما نوازع جذبية إغرائية لا تقاوم، فنحن نتمتع بالأكل ويبقى الأكل ليس للحفاظ على استمرارية وجود البدن فقط، بل للمتعة في تناوله أيضاً، وهذه المتعة هي التي جعلت


حيث لا كتابة لا حضارة!

الإنسان يفتَنّ في أذواق الطعام إلى درجة أن اكتشاف العالم الجديد وكشوفات البحار ورحلة ماجلان وكولومبوس كان أحد عناصر الجذب والإغراء فيها رائحة الفلفل والبهارات. كذلك امتزج لهيب الغريزة الجنسية من أجل المحافظة على استمرار النوع بأعلى أنواع المتع كما يقول الإمام الغزالي. وإحدى تلويحات متع الآخرة جاءت من مناظر الحور العين، ولولاه لما اجتمع إنسانان غريبان الواحد عن الآخر ليمتزجا بشكل مطلق وكامل للمشاركة في هذه المتعة، فالحاجات (البيولوجية) تؤدّى بشكل فردي، في حين أن المتعة الجنسية مشاركة مزدوجة وحب ثنائي. ولذا وجب مزجها بأكبر قدر من المتعة للقفز فوق الحواجز الشخصية. ويمكن اعتبار العمل الجنسي (الغراء اللاصق) الذي يحافظ على تماسك العلاقة الزوجية، وبه يستمر وينمو. ومنه يجب أن نفهم العلاقة الجنسية ليس في صورة الواجب للإنجاب فقط، بل المتعة التي يجب المحافظة عليها خارج إطار العادة والملل والرتابة.

ولكن هل حاجيات الإنسان بيولوجية فقط؟

تدخلت الفلسفة الإنسانية في هذا الحقل فوصلت إلى فهم انقلابي لطبيعة الإنسان، فالإنسان في فترة طويلة امتدت لملايين السنين بقي أقرب للحيوان؛ لأنه لم يدخل التاريخ. والآية القرآنية اعتبرت الإنسان لفترة

أنه لم يكن له ذكر، ولم يسجل في التاريخ؛ لأن التاريخ بدأ مع الكتابة، وحيث لا كتابة لا تاريخ: *هل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً*. الإنسان:١.، فالإنسان أصبح شيئاً مذكوراً عندما دخل الحضارة واخترع الكتابة. وهذا تم قبل بضعة آلاف من السنوات فقط؛ فالثورة الزراعية دُشّنت في جنوب العراق قبل تسعة آلاف سنة، وبزغت الحضارة قبل ستة آلاف سنة في (سومر) و(أكّاد) في جنوب العراق على ما أكدها المؤرخ البريطاني توينبي. واخترعت الكتابة في أوغاريت وصعيد مصر قبل خمسة آلاف سنة. ومع دخول الإنسان ميدان الحضارة، وتأسيس مجتمع المدينة، ونشوء التخصصات، وولادة الدولة والنظام السياسي، تحول الفرد فجأة من كائن حر في الغابة إلى كائن اجتماعي يعيش تحت ظل القانون، ويخضع لإكراهات لا نهاية لها إلى درجة اقتراح الفيلسوف توماس هوبز Thomas Hobbes ١٥٨٨ - ١٦٧٩(٣) أن أفضل حل مدني هو مسح كل حرية للإنسان ليعيش في ظل دولة ذات استبداد مطلق. وعندما ذكر القرآن الشجرة المحرمة. *ولا تَقْرَبَا هذه الشجرة*. البقرة:٣٥. كان يعني ضمناً نشوء فكرة القانون، ففكرة الحرام والحلال هي علاقة قانونية.

فكرة الحرام والقانون

عندما يدخل الإنسان غرفة عامة فيها عدد من الكراسي وفي الغرفة شخص آخر جالس على أحد الكراسي تنشأ فوراً علاقة قانونية أخلاقية هي أن الداخل الجديد مسموح له أن يجلس في أي كرسي آخر سوى الكرسي الذي يجلس عليه الرجل الأول في الغرفة. ويمكن للداخل الجديد أن يحترم مسافة معينة مع الجالس الأول فيقترب أو يبتعد منه بقدر علاقات الاقتراب أو النفور. ولكن الشيء الأكيد أنه (محرم) عليه طرد الأول من مقعده واحتلاله أو الجلوس على ظهر صاحبه. هذه العلاقة بين أي إنسانين، أي علاقة (الحرام)، هي مصدر القوانين جميعاً ولذلك عدّت الشريعة أن الأصل في الأشياء الإباحة وليس التحريم والتقييد والتعسير على الإنسان في ظل حديث موح بذلك (إنّ الله فرض فرائض فلا تُضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تنهكوها، وترك أشياء رحمةً بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها)؛ فالأشياء إذا أخذت مجالين متواجهين وبينهما مسافة أو هامش حركة؛ فإلى اليمين (الواجب) ويجب فعله، وإلى أقصى اليسار (الحرام) ويجب عدم فعله، وبينهما مسافة حركة غير محددة فهذا هو طيف الحياة. وقام الفقهاء بتقسيم رشيق للحركة ضمن هذه المسافة لا ينتبه لها الكثير ممن يدرس الشريعة وأحكامها وعللها، ولا يدرك الآليات الخفية للتشريعات عموماً.

طيف لوني متصل لعلاقة الواجب والحرام

قام الفقهاء بتقسيم خماسي لموقف الإنسان تجاه أي شيء ضمن طيف متصل: الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح، فإذا وضعنا نقطة في وسط المسافة بين الحلال والحرام كانت منار (المباح) أي تساوي فعله وتركه، وهي مسافة كبيرة وهامش واسع يتحرك فيه الإنسان، فإذا تحرك إلى اليمين كان باتجاه الواجب، وكل اقتراب منه تزداد معه كثافة اللون الطيفي لـ (المندوب والمستحب)، فإذا افترضنا أن المباح بلون أبيض فإن التوجه إلى اليمين يغير اللون تدريجياً إلى الأصفر ليزداد كثافةً مع الوقت، ويبدأ في انقلاب اللون



الإنسان وحالة من البحث الدائم عن تأمين لقمة عيشه

التدريجي حتى يتلون في نهاية المطاف أقصى اليمين عندما يصل إلى الواجب باللون الأخضر القاتم. والعكس بالعكس في هذا الطيف اللوني عندما يتحرك باتجاه الشمال حيث تزداد الجرعة اللونية للأحمر الخفيف عندما يبدأ طيف (المكروه)، حتى إذا وصلت الحركة إلى أقصى الشمال انقلب اللون إلى الأحمر الفاقع علامة الخطر بدخول الأرض (الحرام). نحن إذا أمام طيف متموج من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال بين الحمرة والخضرة والصفرة والبياض في طيف متواصل لا يكف عن التوهج والالتماع. كل اقتراب من الواجب هو منطقة (الأفضل فعله) حتى إذا وصل الإنسان إلى أقصى اليمين تماماً يكون قد وصل إلى عمود الواجب الذي يجب أن يلتصق به ويقوم بفعله لأن الحياة لا تقوم من دونه. وعلى العكس من ذلك فإن الحركة باتجاه الشمال يبدأ معها طيف الحركة بالاتجاه إلى الشيء (الأفضل عدم فعله) أو على حد تعبير الفقهاء (المكروه) حتى يصل الإنسان في أقصى الشمال إلى معلم خطير وهوة فاغرة فمها إلى جحيم الانحراف والمحرقة الكبرى، أي (الحرام) فعله، لأنه مبني على الإيذاء الفردي والاجتماعي. وهذا يقود إلى فهم آلية ارتباط الحكم بالعلة، أو على حد تعبير ابن قيم الجوزية وابن تيمية الذي رأى أن الحرام هو ما كان كله أو معظمه ضارا. والعكس بالعكس في ضوء الآية: *يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ*. الأعراف:١٥٧. مما جعل الفقهاء يؤسسون علم أصول الفقه، وينبهون إلى علاقة الحكم بالعلة وجوداً وعدماً، وهذا الفهم يعطي المعقولية والبرهنة والتسويغ والقوة للأحكام ولا يجعلها تضيع عن أهدافها الكبرى، كما يفسر للمبادئ العملاقة في التاريخ معنى بزوغها الفجائي التاريخي كونها مرتبطة بهذه الآلية الخفية.

معادلتا الإنسان البيولوجية والاجتماعية

الإنسان إذاً بانضباطه الاجتماعي أخذ معادلتين وبُعدين: الأول فردي حيوي أو عضوي (بيولوجي)، فكل إنسان يأتي إلى هذه الدنيا: (مادة خام) بغض النظر عن (عرقه)، و(لونه)، و(جنسه)، و(طبقته). فالصربي والأسود والأنثى والفقير من حوافّ مدينة مكسيكو أو ريف بنغلاديش أو ابن حاكم يأتون إلى هذا العالم بالاستعدادات نفسها، ثم تبدأ رحى الثقافة بضغطها الساحق الماحق في تشكيل الإنسان، فيعتقد الصربي أنه أفضل من أخرجت الأرض، ويُنظر إلى الأسود وكأنه نجاسة، وتنزل المرأة إلى الطبقات المسحوقة الدونية، وقد يشتغل البنغلاديشي كعامل نظافة في الخليج في قاع المجتمع، ويتحول المكسيكي القادم إلى أمريكا من مدن الصفيح والتنك إلى مجرم يتعامل مع مافيا المخدرات. يبدأ المجتمع في منح الفرد أساسيات وجوده الاجتماعي فيعطيه اللغة والثقافة والمفاهيم والقيم والدين بعد أن منحه التركيب الجيني لإنتاج بدنه من خلال طوق محكم يطوّق معظم قدره الدنيوي. وترتبط حظوظ الإنسان في الدنيا مباشرة بنوعية المجتمع الذي يعيش فيه، وضمن صيرورته التاريخية، فإذا ولد في الخليج في مرحلة البترول تمتع بالحياة من كل فاكهة زوجان، وركب سيارة فارهة، وإذا ولد في مطلع القرن العشرين في أوربا كان حظه كبيراً أن تزهق روحه في ميادين الحروب العالمية ونيرانها الحارقة، وإذا ولد في إيران في الستينيات كان نصيبه كبيراً أن يقتل أو يتشوه أو يعاق في إحدى معارك كربلاء في حقول الألغام العراقية، وإذا ولد في الصومال أو راوندا كان حظه من الموت والمجاعة عالياً. وإذا ولد في منطقة كردستان فإن احتمال أن يُقتل في أحد انفجارات العنف المجنونة في جبال كردستان الباردة غير مستبعد، وإذا ولد في السويد في نهاية القرن التاسع عشر كان حظه من الفقر والهجرة مترعاً وهكذا. وهنا يأتي السؤال الحاسم والمفصلي المهم: إذا كان قدر الإنسان أن يعيش في المجتمع ويتشكل من خلال ثقافته فما هي حاجاته الاجتماعية؟

> الانتماء هو الذي يخلق روح المشاركة الاجتماعية والإحساس بمجتمعه والدفاع عنه لحظة الخطر، وعندما تتفشى روح عدم الانتماء ينقلب المجتمع إلى شبح يسهل اختراقه

الحاجات الاجتماعية

يرتبط الإنسان بالمجتمع ليس نفلاً ولا تطوعاً أو حبّاً بل تشكلٌ غامر ساحق أساسي إلى درجة أن الإنسان لا يصبح إنساناً من دون مجتمع بكل أبعاده وتصرفاته التي نميز فيها الإنسان.

وهذه الضرورة المطوقة التي لا مفر منها لتشكيلنا

الاجتماعي نخضع لها حتى لقمة الخبز التي نأكلها، فلا يمكن تناول رغيف خبز من دون تعاون صناعات لا نهاية لها على ما بيّنها (ابن خلدون) في مقدمته الشهيرة، وكذلك (اللغة) فهي توليد اجتماعي لإنجاز الاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع، فكما تشكل اللغة الفكر ولا فكر من دون لغة، وكذلك لا لغة من دون تاريخ.

وهناك تعانق وتشابك بين (اللغة والفكر والتاريخ) واللغة هي أعظم إنجازات المجتمع الإنساني التي منحت الإنسان التفرد والتفوق بين الكائنات.

هرم الحاجات عند إبراهام ماسلو

يرى عالم النفس الإنساني إبراهام ماسلو أن سلَّم الحاجيات(٤) الإنسانية يشبه هرماً يستوي على قاعدة الحاجيات الأساسية البيولوجية، ثم تقوم مستويات جديدة فوقه، هي أربع حاجات جديدة: «الأمن والانتماء والحاجة إلى التقدير وتحقيق الذات». والطابق الثاني مباشرة هو «الأمن الاجتماعي». والحاجة إلى الأمن هي في عدة اتجاهات: الأمن على الحاجات البيولوجية وجوداً وألاّ تسلب منه كالغذاء والسكن، والأمن من العدوان عليه بكل أشكال الأذيات. واختصرتها الآية الموجودة في سورة الأنفال بثلاث كلمات: *وإذ يمكُرُ بكَ الذين كفروا ليُثبتوك أو يقتُلوك أو يُخرجوك*. **الأنفال: ٣٠**. فهي مصادرة حريته وحياته وانتمائه الاجتماعي. وإنهاء الإنسان بثلاث صور: التصفية الجسدية أو التصفية الاجتماعية في صورة النفي الداخلي بالسجن أو الخارجي بمعاناة الغربة والهجرة بكل إشكالياتها، ولا يعرف الغربة إلا من عاناها حينما يفقد الوطن ومعه كل الاستقرار وكأنه شجرة تم اقتلاعها من جذورها، فإذا رجع إلى الوطن بعد الغياب الطويل لم يبق وطنه الذي عرفه، فيصبح في وضع لا يعجبه وطنه الذي خرج منه كما لا تسعده الغربة التي هو فيها، فهو نفسياً في الأرض التي لا اسم لها. ويبقى الكثيرون من المغتربين يهومون في هذه الدوامات حتى يغيبهم الموت فيضع حداً لفقدان التوازن هذا، والحياة الاجتماعية هي مشاركة وفعاليات متشابكة. وذهب عالم النفس الأمريكي براين تريسي صاحب كتاب «أسس علم نفس النجاح» أن ٨٠٪ من سعادة الإنسان تأتي من الفعاليات الاجتماعية فتسبق المال بذلك.

يذهب إبراهام ماسلو إلى أن توفير الأمن الاجتماعي يشكل مباشرة الحاجة الأساسية التي تعطي حقن التوازن الروحي للإنسان عندما يرتبط بالمجتمع، وهو ماعبر عنه القرآن بقوله تعالى: *أطعَمَهُم من جوعٍ وآمَنَهُم من خوف*. **قريش: ٤**. وتبقى الضمانات ضد الجوع والخوف أعظم شيء يمكن أن يمنحه مجتمع لإنسان. ومن الغريب أن هذه الضمانات لا توصل إلى بر الأمان على وجه اليقين، بل لابد من إضافة إكسير خاص من طمأنينة الروح، وعند وجودي لسنوات طويلة في ألمانيا كنت أتعجب منهم فأقول لقد تحصنتم ضد الجوع والخوف فأنتم الآن في رفاهية وعمل مضمون وضمانات للمستقبل ضد الشيخوخة والبطالة والمرض وحوادث العمل، ولا خوف من الاعتقالات النازية، ولا يعتقل الإنسان لرأي أو نشاط أو كلمة إلا بموجب مذكرة قضائية، وينام الإنسان آمناً على سربه، عنده قوت يومه، مطمئناً إلى غده. مع ذلك كانت الوجوه كالحة مكشرة لا تشع منها أنوار السعادة والطمأنينة الروحية، وكنت أتساءل: لماذا؟ وما السر خلفه؟ ولم ينكشف السر دفعة واحدة ولا بشكل فجائي بل جاء بالتدريج.

الانتماء الاجتماعي بعد الحاجة إلى الأمن

يرى ابراهام ماسلو الطابق الثالث في هرم الحاجات هو: «الحاجة إلى الانتماء الاجتماعي» فقد يعيش تركي في ألمانيا يأكل جيداً ويعمل براتب مغرٍ ولا يخاف من الاعتقال العشوائي من وراء تقرير كاذب تطوع به عميل سري، ولكنه مع هذا لا يمتلك الانتماء إلى المجتمع الألماني. الانتماء هو الذي يخلق روح المشاركة الاجتماعية والإحساس بمشكلاته والدفاع عنه لحظة الخطر. وعندما تتفشى روح عدم الانتماء ينقلب المجتمع إلى شبح مجتمع يسهل اختراقه. ويعد ماسلو في الطابق الرابع بناء الحاجة إلى التقدير التي يبنيها الفرد من خلال التواصل مع المجتمع والانتماء إليه والارتباط المصيري العضوي معه.

تحقيق الذات أو بناء النفس المطمئنة

ويتكلل الهرم في النهاية بـ «تحقيق الذات»، وهناك ما يشبه ذلك في الطرح القرآني الذي عدّ القرية حققت شروط الصحة الكاملة عندما اجتمعت

ثلاثة عناصر فيها هي «الأمن والطمأنينة والرزق والرغد» وعندما كفرت حصل انهيار في هذا المركب الثلاثي ليتحول إلى حالة (تلبس) مزدوج من الخوف والجوع(٥). وأظن أنني أمسكت بالمفتاح في فهم النكد النفسي في الغرب مع كل الحصانة ضد الخوف والجوع، فهذا المركب الثنائي هو شرط جامع، ولكنه غير مانع لتحقيق الحاجيات الإنسانية الكاملة كي يستوي هرم الحاجيات الإنسانية على سوقه تماماً. إن شرطه الناقص هو تحقيق هذه الطمأنينة التي طلبها إبراهيم عليه السلام في معاينة قيام الموتى إلى الحياة، وحواري عيسى في مناظرة المائدة وهي تتنزل عليهم، وذاق طعمها المؤمنون بذكر الله. *ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب*. الرعد:٢٨. وهي الحالة النفسية الراضية المرضية عند استقبال الموت وتوديع الحياة الدنيا. هذه هي الحالة التي حام حولها ودندن ماسلو في محاولة تجلية هذا البعد الجديد في حاجيات الإنسان.

من أسباب اندلاع الحروب تأمين المصالح الاستراتيجية للإنسان

كيف يبدو هرم الحاجيات الإنسانية في العالم الإسلامي؟

وبموازنة بسيطة نرى في الوقت نفسه أن هرم سلم الحاجيات الاجتماعية عندنا مزعزع لا يتمتع بالصلابة والتماسك الداخلي، فالإنسان المسلم اليوم بكل أسف ينتسب إلى عالم جاهل فقير مزدحم خائف غير آمن على رزقه وغده، عاجز عن حل مشكلاته، وإذا كانت بعض الجزر عائمة فوق بقع طفيفة للزيت هنا وهناك فهي تدين برفاهيتها وخلاصها من قبضة المعاناة، ليس لقوة ذاتية بقدر الفرصة التاريخية ومحض المصادفة، وهي بحق فرصة يمكن لها أن تحقق خلاصاً فلكياً، فالتاريخ والحياة فرص وحظوظ، بل يمكن أن تمد فرص الخلاص هذه لبقع أخرى وهنا يكمن التحدي، فالغنى والارتخاء هو امتحان رهيب أشد من امتحان المعاناة، والقرآن أشار إلى هذين الصنفين من التحدي: *ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنةً وإلينا تُرجعون*. الأنبياء:٣٥. ويقول لنا التاريخ: إن ظروف التحدي الصعبة هي التي شكلت الوسط الذهبي لانبثاق الحضارات وبزوغها، ولم تكن ظروف الارتخاء والسهولة بحال من الأحوال وسط النهوض الحضاري. لا ندري... التاريخ والأيام هي التي ستصدق هذا الكلام أو تكذبه.

الهوامش والمراجع

١. من المعروف أن الوصول إلى الالتحام الهيدروجيني في بناء القنبلة الذرية وتحصيل ذرة الهيليوم وانفلات كم مرعب من الطاقة يتطلب حرارة تقدر بالملايين ولكن هناك فريق علمي بريطاني زعم وصوله إلى هذا الالتحام من دون رفع الحرارة المليوني.

٢. تأمل الآيات من سورة طه: فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى. الآيات: ١١٧ . ١١٩. وذهب المفسر القرطبي إلى تفسير ولا تضحى أي تبرز إلى الشمس فيمسك حرها، فهو يحمل بشكل غير مباشر معنى السقف الذي يظلل الإنسان، أو البيت الذي يؤويه، فهي لفتة فنية عن وظيفة السكن الأساسية في حماية الإنسان من الطبيعة وتطوير الحضارة، فكما حمى اللباس الجسد بشكل مباشر. فإن البيت يوفر المحيط الأساسي للنشاط الإنساني اليومي، فنحن نعيش في البيوت والمكاتب، والحضارة كلها دشنت تحت السقوف.

٣. يراجع في هذا كتاب العلم في منظوره الجديد . سلسلة عالم المعرفة . رقم ١٣٤ تأليف روبرت أغروس وجورج ستانسيو فصل المجتمع ص٧٩، كذلك كتاب «قصة الحضارة» ويل ديورانت . الجزء ٣٤ ص ٣ . ٢٣ بحث الفلسفة الإنجليزية.

٤. كتاب الأمة المسلمة . تأليف ماجد عرسان الكيلاني . مكتبة دار الاستقامة، ص١٣٥ . ١٤٠.

٥. تأمل الآية من سورة النحل: وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. الآية:١١٢.

تأثير نوبل نجيب محفوظ في ترجمة الأعمال الأدبية العربية إلى الإسبانية

خالد سالم
القاهرة. مصر

ليس غريبًا على أحد أن الترجمة تحاول وصل الشعوب والثقافات بعضها ببعض، وهو دور اضطلعت به الترجمة على مدى التاريخ، إضافة إلى المصالحة واللقاء بين الشعوب وكونها ركيزة للاتصال بين الثقافات.

بيد أن المفكر الإسباني أورتيغا إي غاسيت لخص كل هذا في جملة مقتضبة في قوله: إن الترجمة عبارة عن رحلة تحترم اللغة والثقافة اللتين يترجم منهما. وأضاف قائلاً: إن رفض الآخر له ترجمة اجتماعية وثقافية بقدر قبول ما لدى ما هو خارجي في الثقافة نفسها عبر الترجمة اللغوية. وربما يعضد فكرة هذا الفيلسوف الإسباني وضع الولايات المتحدة الأمريكية بخصوص قبول أعمال كتبت بلغات أخرى، وهو ما تشير إليه إحصاءات اليونسكو، ففي نهاية الثمانينيات، على سبيل المثال، كان عدد العناوين الأجنبية التي استقبلتها دور النشر الأمريكية ٨١٧ عنوانًا مترجمًا من إجمالي يزيد بقليل على عشرين ألف عنوان تخرجها دور النشر الأمريكية سنويًا، ويرتفع هذا الرقم إلى ١٥١.١ عنوانًا من إجمالي ٣٧ ألف عنوان تقريبًا في المملكة المتحدة، بينما يصل إلى ٩٫٠٠٠ عنوان في إسبانيا من إجمالي ٥٠ ألف عنوان رأت النور في هذا البلد في تلك الفترة، وهذا الرقم يضع إسبانيا في المركز الثالث من حيث النشر، والأول من حيث الترجمة(١).

نجيب محفوظ

رحلة مع الترجمة

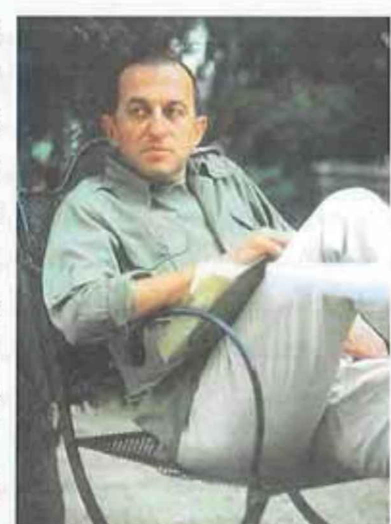
بادئ ذي بدء أود الإشارة إلى أن الترجمة نشاط إنساني قديم قدم لغة الإنسان، ويمكن تأكيد أنها موجودة منذ أن بدأ الاتصال بين الجنس البشري، وهو ما يؤكده منظّر الترجمة جورج شتينر(٢) إذ يقول: «إن الإنسان يسلم نفسه للترجمة، بكل ما يعني اللفظ تمامًا، في كل مرة يتلقى فيها رسالة شفاهية». ولهذا يجب الأخذ بالحسبان أن الترجمة هي عملية

اتصال لغوي.

وعليه فإن الترجمة هي إعادة إنتاج رسالة لغة المصدر عبر لغة مستقبلة وذلك بواسطة المقابل الأكثر قرباً والأكثر طبيعية فيما يتعلق بالمعنى وبالأسلوب. وعند ترجمة العمل الأدبي: من الضروري نقل المعنى والمفاهيم إلى اللغة الجديدة، مع الحفاظ على شكل النص الأصلي وانسجامه، فمن الضروري أن يشكل النص الجديد جسماً واحداً متجانساً، وألا يكون مجرد جمل متفرقة، وأعني بهذا أن الترجمة الحرفية ممنوعة في النصوص الأدبية. وفي هذا السياق يقول بالنتين غارثيا بيرا: «إن القاعدة الذهبية لأي ترجمة تكمن في نقل كل ما يقوله النص الأصلي، والامتناع عن قول ما لم يقله النص الأصلي، إلا أن يتم نقل كل هذا بالاستقامة والطبيعية التي تسمح بها لغة الترجمة»(٣). وعلى الرغم من هذا فإن المترجم يخرج عن هذه القاعدة في الكثير من الأحيان، إذ يخالف نية الكاتب، في بعض الأحيان، عبر الحذف أو الترجمة الخاطئة.

بيد أن المترجم عادة مجهول الهوية، فمن النادر أن يحتفظ القارئ باسم المترجم، والمديح دائماً يوجه إلى المؤلف، على الرغم من أن دور المترجم لا يقل أهمية عن دور المؤلف.

من المؤكد أن مولد الترجمة غير معروف بدقة ككل ما يحيط بأصل الإنسان، ولكن يوجد إجماع على أن الترجمة الشفاهية أو ما نسميه اليوم بالترجمة الفورية ولدت قبل التحريرية. ويعود أول النصوص المترجمة إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد حيث توجد بالأكادية والسومرية معاً، وكانت هناك حركة متبادلة وعلاقة مشتركة بين الفراعنة والسومريين والآشوريين أدت فيها الترجمة دوراً مهماً وإن لم تصلنا نصوص مكتوبة تؤكد وجود ترجمة في تلك



خوان غويتسولو

الحقبة من تاريخ البشرية. كما يجب الأخذ بالحسبان أن قدماء المصريين كان لهم تأثير واضح في الحضارة اليونانية، وهذا التأثير لا يمكن أن تقوم له قائمة من دون الترجمة.

وعلى أساس هذا الاتصال والتلاحم شهدت اللغتان العربية والإسبانية مولد الترجمة المنهجية في أوربا مع مولد مدرسة طليطلة التي أنشأها الفونصو العاشر أو الملك الحكيم، وظلت تعمل خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، فنقلت ما استطاع مترجموها ترجمته من العربية إلى اللاتينية وإلى اللغات الرومانثية.

وعلى الرغم من أن الترجمة في حد ذاتها لم تكن، في تلك الأيام، نظاماً، بل وسيلة للتمكن من أعمال مكتوبة بالعربية، فإنها جعلت من إسبانيا نقطة التقاء بين الشرق والغرب، عبر النقل بين اللغتين العربية والإسبانية.

ولكي ندرك أهمية هذا الدور الذي أدته العربية في الترجمة إلى اللغات الأوربية يكفي أن نسوق معلومة ذات دلالة كبيرة في هذا السياق، وهي أن لفظ تُرجُمان العربي ظل مسيطراً طوال القرن الثامن عشر على تسمية هذه المهنة بالفرنسية، إذ كان يطلق عليه Truchement وكان بالإسبانية Truchiman. لا أريد الخوض كثيراً في هذا المجال فكثيرون يعرفون مسيرة الترجمة من العربية إلى لغات أوربا عبر إسبانيا، وإن كان هذا يكتسب أهمية خاصة للسبب الذي يجمعنا هذا اليوم في كلية الألسن بكل ما لها من تاريخ منذ أن أنشأها رفاعة الطهطاوي، وترجم لنا أول الكتب التي نقلت من الفرنسية إلى العربية، من بينها اقتباس أول نص كان اللبنة الأولى للفن الروائي العربي.

في البداية يجب التنويه بالدور الريادي للمستعربين الإسبان في ترجمة نتاج العربية الأدبي إلى الإسبانية،

ولا يزال هذا الدور شبه مقصور عليهم، فغالبية الأعمال التي نقلت من العربية إلى الإسبانية تمت على يد هذه الشريحة من المترجمين، أعني أساتذة العربية وآدابها بالجامعات الإسبانية، ونادراً ما نجد ترجمة لهاوٍ من خارج السرب. أذكر على سبيل المثال لا الحصر الأساتذة بدرو مارتينيث مونتابيث، مارثيلينو بييغاس، وفدريكو أربوس، وماريا خيسوس بيغيرا، وماريا لويسا بريبتو غونثاليث، وروسا مارتينيث ليو، وميلاغروس نوين، وإنغريد بيخارانو، وكلارا توماس، وسيرافين فانخول.. القائمة طويلة يصعب حصرها في الحيّز المخصص لهذا البحث.

ومن خلال كمية ونوعية الأعمال المترجمة من العربية إلى الإسبانية ونوعيتها يبرز الدور الذي تؤديه حركة الاستعراب الإسباني إذا ما وزن بنشاط المتخصصين في آداب الإسبانية في الجامعات العربية، غير أن اللائمة يجب ألا تلقى هنا على المتخصصين بل على عوامل وظواهر لها علاقة بالتخلف والقصور الجماعي، لا ضرورة للخوض فيها الآن.


طه حسين

الظاهرة المحفوظية

منذ شهور قليلة احتفل بالذكرى العاشرة لحصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب، وقد لا يخطر على بال أحد أن هذه المناسبة احتفل بها في جامعة إقليم الباسك في مدينة بيتوريا، في منتصف ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٨م، ضمن مؤتمر حول «الأمم والثقافات»، وهذا يؤكد مجدداً الاهتمام الذي يثيره نجيب محفوظ ونتاجه في الوعي الثقافي الإسباني. وهناك نية في ترجمة بعض أعماله إلى اللغة الباسكية ـ وبذلك يكون نجيب محفوظ قد ترجم إلى ثلاث من اللغات الرسمية في إسبانيا: القشتالية أو الإسبانية، والقطالونية والباسكية، ولن يبقى خارج هذه الدائرة سوى اللغة الجاليقية ـ وبالطبع لن تكون الترجمة عن العربية مباشرة، ولكنها محاولة تستحق التشجيع والتقدير مع أنها ستكون عرضة لمخاطر الترجمة عن لغة ثالثة.

وأود أن أشير إلى أن ما ترجم من العربية إلى الإسبانية لا يمكن عرضه في صفحات قليلة كهذه ووقت قصير، إذ نحتاج إلى عام دراسي كامل لدراستها وتحليلها لغوياً لتعرّف نقاط الضعف والتقصير فيها قبل إجادة المترجمين لدورهم في هذا الصدد، ولهذا سأكتفي بعرض سريع لوضع ما أسميته بالظاهرة المحفوظية في عالم الترجمة.

لقد أسفر فوز نجيب محفوظ عن ظاهرة يمكن أن نطلق عليها «الظاهرة المحفوظية»، في اللغات الحية كافة، وأعني هنا أن ثمة اهتماماً بالأدب العربي أخذ يشق طريقه في لغات العالم، وعلى رأس هذه اللغات اللغة الإسبانية. وأعتقد أن الإقبال على أعمال نجيب محفوظ في إسبانيا لا يضاهيه وضع مماثل في بلد آخر في العالم. وهذا وضع يستحق التأمل والتحليل، أعني الاهتمام الذي تثيره أعمال نجيب محفوظ لدى قراء الإسبانية.

والمراقب لهذه الظاهرة في إسبانيا يدرك تماماً الفارق الكبير بين ما ترجم قبل عام ١٩٨٨م وبعده ـ العام الذي حاز فيه محفوظ جائزة نوبل ـ كمّاً ونوعاً. فقبل تلك السنة كانت ترجمة الأعمال الأدبية العربية محصورة في دائرة الاستعراب، إذ كانت تتم على يد المستعربين ولهم، لتظل تهوم في دائرة مغلقة. أما الأعمال التي كانت تترجم خارج هذه الدائرة فكانت مع عددها المحدود تتم عبر لغة ثالثة، خاصة الإنجليزية والفرنسية، بالإضافة إلى أن معظم الدراسات أو جلها كان يدور حول الأندلس تاريخاً وأدباً.

وبفضل هذه الظاهرة أصبح هناك «جيش» من المترجمين المتخصصين في الترجمة من العربية، بعد أن كان هذا النشاط مقصوراً على عدد معروف من المستعربين، أعني بهم أساتذة الأدب واللغة العربيين في الجامعات ومراكز البحث الإسبانية.

كما أسفر عن اهتمام دور لم تقم من قبل بنشر أعمال مترجمة عن العربية، إذ اهتمت بترجمة الأدب العربي، من بينها دار كاتيدرا Catedra وبلاثا إي خانيس Plaza & Janes وألكور Alcor (مارتينيث روكا Martinez Roca)، ودائرة القراء Circulo de lectores، وإيكاريا Icaria، وإيداسا Edhasa.. بالإضافة إلى دار ليبرتاريس التي خصصت مجموعة من مجموعاتها لترجمة الأعمال العربية، وعلى رأسها الرواية، وهي مجموعة «القبلة» التي يشرف عليها الروائي المعروف خوان غويتسولو، والتي خرجت من عباءتها دار ويرغا إي فيرو Huerga & Fierro لتخصص مجموعة «الكلمة» للأعمال المترجمة من العربية. هذا دون الخوض في نشاط دار كانت أرابيا Cant Arabia التي قامت أساسًا على النشر من أجل النشر دون أن تضع في عين الحسبان الربح والخسارة، إذ تصل كتبها بلا مقابل إلى المهتمين بالثقافة العربية، لتصبح بمنزلة دار خيرية. وتمثل حالة فريدة في عالم النشر والترجمة، وهي كما تعلمون، للمستعربة الجادة التي تشرف عليها في هذه الندوة كارومن رويث برابو.

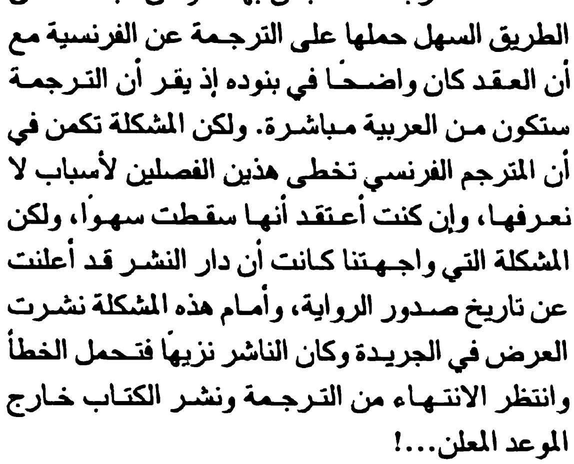
ومن المؤكد أن هذه الظاهرة أسفرت عن تحسن في أداء مترجمي العربية بعد أن أصبح هناك إقبال ملحوظ على أدب العربية، أي إنها أخذت طابع الاحتراف من منطلق تجاري، يؤخذ فيه في الحسبان مبدأ الربح والخسارة، وهذا أمر مشروع بالنسبة لمؤسسة بها موظفون يتقاضون رواتب.

خطورة الترجمة من لغة ثالثة

غير أن هذا الارتفاع المفاجئ أو الفوران أسفر عن عجلة في النشر، ومن ثم في الترجمة فور حصول نجيب محفوظ على الجائزة، وكانت هذه السرعة وراء قيام بعض دور النشر بترجمة ونشر بعض أعماله من لغة ثالثة إلى الإسبانية، وهذا النوع من الترجمة له خطورته المعروفة إذ تترسخ الأخطاء وتتضاعف. ولعل المثال الواضح في هذا الإطار هو ما قامت به دار ألكور (مارتينيث روكا) Alcor (Martinez Roca) ودار إيكاريا Icaria في فترة وجيزة - بعد شهر أو شهرين من حصول محفوظ على النوبل - بترجمة ونشر روايتي «زقاق المدق» و«ميرامار»، ولكنها كانت ترجمة عن الإنجليزية وجاءت ملأى بالأخطاء.

في هذا السياق تحضرني حادثة كنت طرفًا فيها، إذ كانت صحيفة «البانيس» قد كلفتني بعمل عرض لإحدى روايات نجيب محفوظ، وعند إعداد الدراسة أدركت أن النص الإسباني ينقصه فصلان عن الأصلي، ولحسن الحظ كان النص الإسباني قد وصلني ولا يزال في المطبعة قبل أن يأخذ شكل كتاب، أي في مرحلة المراجعة (البروفة)، كما أنني كنت أعرف المترجمة فتكلمت معها لأستفسر منها عن سبب إسقاط هذين الفصلين من الرواية، وفي نهاية المطاف اعترفت بأنها ترجمت عن الترجمة الفرنسية وليس عن النص العربي، مع أن مستواها في العربية كان جيدًا ويسمح لها بإخراج ترجمة لا بأس بها، ولكن البحث عن


أمين معلوف


الطريق السهل حملها على الترجمة عن الفرنسية مع أن العقد كان واضحًا في بنوده إذ يقر أن الترجمة ستكون من العربية مباشرة. ولكن المشكلة تكمن في أن المترجم الفرنسي تخطى هذين الفصلين لأسباب لا نعرفها، وإن كنت أعتقد أنها سقطت سهوًا، ولكن المشكلة التي واجهتنا كانت أن دار النشر قد أعلنت عن تاريخ صدور الرواية، وأمام هذه المشكلة نشرت العرض في الجريدة وكان الناشر نزيهًا فتحمل الخطأ وانتظر الانتهاء من الترجمة ونشر الكتاب خارج الموعد المعلن...!

لقد ذكرت هذا المثال لأدلل على مخاطر الترجمة عبر لغة ثالثة. وهو جلي إذ يوضح تكرار الأخطاء

دون قصد، هذا بالإضافة إلى تكريس الأخطاء التي يرتكبها المترجم الذي يلجأ إلى لغة ثالثة.

دفاع له مسوغه

ولكن هذا النوع من الأخطاء لا يذكر موازنة بنصوص ترجمت بشكل جيد، فقد كنت شاهداً على ترجمات ناجحة قامت بها مترجمات، بدرجة كبيرة من العشق والتواطؤ أو الاندماج التام -Complicidad مع النص العربي، وعليهن ينطبق مبدأ الترجمة بأن على المترجم أن يحس بالنص لغوياً وثقافياً، دون أن ندخل في تعريف المترجم. ونكتفي بالإشارة إلى أن كل من يتكلم أو يتقن لغتين ليس قادراً على الترجمة، فعُدة المترجم صعبة المنال، بالإضافة إلى أن الإحساس بالنص يعني الاقتراب من الآخر والتعاطف معه حتى وإن لم يتقاسما القيم والأفكار نفسها. وعندما يحدث هذا فإن نجاح الترجمة يصبح مضموناً، وتؤدي الترجمة الدور المرجو منها، وهذا ينطبق على الكثير من الأعمال الروائية التي ترجمت من العربية إلى الإسبانية.

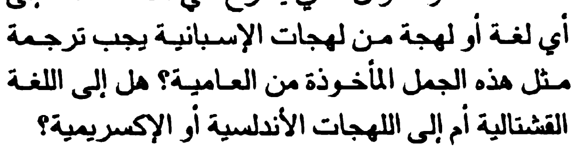

الطاهر بن جلون

وأعتقد أن نجاح الترجمة يعتمد إلى حد كبير على درجة تفاعل المترجم مع النص، أي مع العمل الأصلي. وقد يعترض بعضهم على هذا قائلين إن المترجم ليس مطالباً بالتفاعل مع النص الأصلي، وقد يلازمهم بعض الصواب، ولكنني أرفض المترجم الآلة، وإلا لأعطى النص للحاسب الآلي كي يقوم بهذا العمل، ومعروف أن هناك برامج ترجمة متعددة اللغات.

ولهذا فإن هذا الجانب السلبي للمترجم لا يتوافر، لحسن الحظ، في مترجمي الأعمال الأدبية. والترجمة عمل يجب أن يضمن حباً من قبل المترجم للنص وللثقافة التي يترجم منها، وهذا أمر يتوافر في معظم مترجمي الأدب العربي إلى الإسبانية، وهم مستعربون، ومهما أبدى بعضهم عدوانية تجاه ما هو عربي فإنه عندما يجلس إلى النص يتعامل معه بحب، فالانتقادات هي من منطلق أخوي ومن صاحب المهنة لمن حوله.

ودفاعي هنا عن الترجمات التي تمت إلى الإسبانية ليس من منطلق الزمالة، بل من خلال الاطلاع والمتابعة الشخصية - لا أزعم أنني أتقن الإسبانية لأصل إلى مستوى ابن اللغة المتخصص على الرغم من حياتي الطويلة في إسبانيا، وكتابتي بهذه اللغة - والكتابات النقدية في الملاحق الأدبية وخاصة القراء، فالحكم الأول والأخير هو القارئ، أو حسن استقباله للعمل المترجم، ولم تعد مسألة تمييز الصحيح من الخطأ هي الفيصل في هذا الصدد، باستثناء القضايا اللغوية.

وجدير بالذكر أن الترجمة من العربية عملية مضنية لأسباب يعلمها كل من عمل في هذا المجال، وأعني ترجمة النص الأدبي وليس الترجمة الشفهية أو الفورية، فالفارق بينهما كبير. ولعل أبرز أسباب صعوبة نص من العربية يكمن في تعدد المستويات اللغوية في اللغة العربية وثرائها، إضافة إلى قضايا أخرى من بينها ترجمة الجمل العامية التي كثيراً ما تظهر في نتاج عدد من الكتّاب العرب.



والسؤال الذي يطرح في هذا الصدد: إلى أي لغة أو لهجة من لهجات الإسبانية يجب ترجمة مثل هذه الجمل المأخوذة من العامية؟ هل إلى اللغة القشتالية أم إلى اللهجات الأندلسية أو الإكسريمية؟

حري بنا أن نذكر أن الظاهرة «المحفوظية» صاحبتها ظاهرة أخرى لكاتب عربي آخر هو أمين معلوف، وإن كانت حالته مختلفة، إذ إن أعماله تترجم مباشرة من الفرنسية - اللغة التي يكتب بها - إلى الإسبانية، وهذا الأمر يمثل تبعية ثقافية إسبانية لفرنسا، فهذا الكاتب اللبناني المقيم في فرنسا يمثل ظاهرة في عالم الفن الروائي في فرنسا، ويمكن عدّه صرعة أدبية. إلا أن استيراد كتبه وترجمتها إلى الإسبانية يدخل في حسابات الربح والخسارة إذ إن

نجاح كتاب في فرنسا يشير إلى نجاحه المحتمل تجارياً في إسبانيا. وعلى الرغم من ذلك فقد لفت نظر قراء الإسبانية إلى الأدب العربي، وهناك من لا يفرق بينه وبين نجيب محفوظ، فكثيرون من العامة يشيدون به على أنه المصري الحائز على جائزة نوبل. وحالة نجيب محفوظ تشبه حالة أخرى هي حالة الكاتب الألباني إسماعيل قدري الذي أثار في إسبانيا اهتماماً بأدب الألبانية منذ أن انتقل للعيش في باريس لظروف سياسية معروفة.

لم تضف جائزة نوبل إلى أدب نجيب محفوظ جديداً، إذ حازها وهو في سن متقدمة (٧٧ عاماً)، ولكنها أخرجت هذا الكنز إلى النور، ومعه لفتت انتباه العالم إلى أدب يتمتع بخواص الآداب العالمية. ومن هذا المنطلق ترجمت أعمال لكتّاب عرب آخرين فازداد عدد الأعمال المترجمة إلى الإسبانية بدرجة لافتة للنظر. وأصبح الكاتب يتقاضى حقوقاً عن مؤلفاته بعد أن كانت تترجم من دون إذن مسبق، أو يقوم الكاتب العربي بسداد رسوم النشر بعد أن يتنازل المترجم عن أتعابه للدار!. وهذا وضع يدين به لنجيب محفوظ جميع الكتّاب العرب الذين ترجمت أعمالهم إلى الإسبانية بعد حصول محفوظ على جائزة نوبل.

إلا أن هذا النور سرعان ما خمد بريقه، مع حلول عام ١٩٩٢م، وهذا ما يؤكده واقع مبيعات دور النشر المهتمة بالأدب العربي، وذلك لأسباب يجهلها الناشرون، فالقصة العربية المترجمة يطبع منها ألفا نسخة وغالباً لا توزع عن آخرها. فالكاتب الوحيد الذي تباع أعماله بشكل منتظم هو نجيب محفوظ، وهناك عدة طبعات لبعض رواياته، ويليه في ذلك اللبناني الفرنسي أمين معلوف.

انتشار الأدب المغربي

وعلى الرغم من ذلك فإن اهتماماً ملموساً بكتّاب وكاتبات من دول المغرب العربي ظهر في الأفق بعد حرب الخليج، وخاصة تلك الكاتبات اللاتي يثرن قضايا تتعلق بالمرأة والإسلام وحقوق المرأة في الإسلام والأصولية، وعلى رأسهن الكاتبة المغربية فاطمة مرنيسي، والصحفية الجزائرية... غزالي التي حازت أكثر من جائزة إسبانية، ودور النشر الإسبانية تتحرك هنا في إطار الصرعة الغربية الخاصة بالاهتمام بقضايا الساعة المتعلقة بالعرب والإسلام السياسي، بالإضافة إلى بعض الكتّاب المغاربيين الذين يكتبون بالفرنسية مثل: الطاهر بن جلون الذي خرج إلى الضوء في إسبانيا في مطلع التسعينيات بعد فوزه بجائزة أدبية فرنسية كبيرة، هي جائزة كونكور.

أسفر فوز نجيب محفوظ عن ظاهرة يمكن أن نطلق عليها «الظاهرة المحفوظية»، في اللغات الحية كافة، والإقبال على أعمال نجيب محفوظ في إسبانيا لا يضاهيه وضع مماثل في بلد آخر في العالم

ومن الملاحظ أن حرب الخليج الثانية أيضاً كانت سبباً آخر في الاهتمام بالسرد العربي والدراسات الجادة عن العلاقات بين الوطن العربي والغرب، فالسنوات التي تلت تلك الحرب شهدت نشر كتب مثل «أوربا والإسلام» للمفكر التونسي هشام جعيط، و«الاستشراق» للمفكر الفلسطيني الأمريكي إدوار سعيد، و«أعمدة المعرفة السبعة» «تي إيه. لورانس»، و«أزمة المثقفين العرب» لعبدالله العروي. وإن كانت غالبية هذه الأعمال قد نشرت منذ سنوات طويلة.

والوضع في إسبانيا أفضل بكثير منه في بلد كبريطانيا المعروف بتاريخه الاستعماري الطويل في الوطن العربي، فهناك كتب نجيب محفوظ مكدسة حسب تقرير نشرته إحدى الصحف العربية الصادرة في لندن، ويقول هذا التقرير: إن العامة في بريطانيا يرون أن اللغة العربية ليست لغة أدبية، وأنها لغة يهدد بها صدام حسين الغرب(٤).

العيب فينا!!

وعلى الرغم من هذا الاهتمام في إسبانيا بالسرد العربي فإن الساحة ينقصها الكثير من الكتب المترجمة

من العربية إلى الإسبانية، وقبل أن نلقي باللائمة على الآخرين علينا أن نبحث عن حل لهذا الخلل، فليس من المنطقي أن يعامل أدب مثل الأدب العربي بهذا الشكل المحدود، وأعتقد أن الخلل عندنا، وليس عند الآخر. فماذا فعلنا نحن العرب كي ينتشر أدبنا في الغرب بصفة عامة؟ الإجابة معروفة: لا شيء. وكان حريًا بنا أن نستغل الصحوة التي صاحبت الظاهرة المحفوظية في العالم، وفي إسبانيا بشكل خاص. فهذه الظاهرة نفسها هي التي أدت إلى قيام السينما المكسيكية باقتباس عملين من أعمال نجيب محفوظ وهما: «زُقاق المدق»، و«بداية ونهاية».

ومن الملاحظ أن الأدباء العرب لا يقدمون أنفسهم إلا نادرًا، وقلما نجد وفدًا أو كاتبًا عربيًا في المهرجانات الأدبية الإسبانية، وكنت شاهدًا على أكثر من اتفاق على ترجمة أكثر من قصة لكتّاب عرب في مثل هذه المحافل بعد تعريف جيد بالكاتب وبقيمته الأدبية في بلده، وهذا جهد فردي لا يقدر عليه شخص بمفرده، ويبقى في حيز المغامرة.

ويضاف إلى ذلك صعوبة انتشار الكتاب المترجم بصفة عامة، وكذلك ازدواج التكاليف، حقوق التأليف وحقوق المؤلف التي تجهد دور النشر عامة.

كما أن العرب عامة لا يهتمون بترجمة نتاج أدبائهم، فحسب علمي، لا توجد مؤسسة أو دولة عربية قامت بتقديم الدعم لمشروع ترجمة الأدب العربي إلى الإسبانية، بل إن وجدت هذه المعونة فإن مصدرها أوربي دائمًا، فهناك مشروع «ذاكرة المتوسط» الذي تموله المؤسسة الثقافية الأوربية عبر مدرسة طليطلة للترجمة الذي نشر ما يقرب من عشرة أعمال وسير ذاتية لكتّاب عرب.

والعرب من واقع الحال لا يهتمون بذلك، فهناك في مدريد نحو أربع عشرة سفارة عربية، لم تقم إحداها بتقديم دعم من أي نوع أو حجم لكتاب عربي مترجم إلى الإسبانية، وإن كان قد حدث هذا الدعم فكان على نفقة المؤلف، وهي حالات فردية ومحدودة. أذكر أن بعض دور النشر التي تهتم بنشر الأعمال المترجمة من العربية، وهي في غالبيتها دور صغيرة ومتواضعة، حاولت لدى السفارات العربية أن تبيع لها بعض المجموعات التي نشرتها من الأدب العربي، ولكن المحاولة ذهبت أدراج الرياح، مع أن العملية قد لا تتعدى مئة ألف بيزتة أو سبعمئة دولار.

ومن المؤكد أن الكتاب العربي المترجم إلى الإسبانية يفتقر إلى الترويج والدعاية، فمن دونهما يصعب الوصول إلى القراء في بلد مشهود له بالارتفاع في عددهم. وهذا لا يعني خلو الساحة من بعض المحاولات لكنها تبقى في إطار المحاولة الفردية بعيدة عن الجماعية أو المؤسسية المنظمة والمنتظمة.

> ماذا فعلنا نحن العرب كي ينتشر أدبنا في الغرب بصفة عامة؟ الإجابة معروفة: لا شيء.. إننا مقصرون في التعريف بأدبنا الجيد، وكل ما تم في إسبانيا من ترجمة لأعمال عربية تم بمبادرة شخصية

لهذا علينا إعادة النظر في كل هذه القضايا، وألفت الانتباه هنا إلى مهمة المعهد المصري في مدريد إذ يجب أن يعاد النظر في دور هذه المؤسسة المصرية التي أنشأها طه حسين أساسًا للتعريف بثقافتنا ودراسة التراث العربي في الأندلس، إذ إن كل ما يقوم به لا يخرج عن إطار الدفع الذاتي من إقامة معارض فنية، ومحاضرات لا يكاد يحضرها أحد، دون الاستفادة من المطبعة التي يملكها، فقلما يترجم أو يطبع فيه كتاب - ومن يرد الحقيقة فليتصفح قائمة مطبوعاته. والغريب أن معظم الذين يصلون إلى إدارة هذا المعهد بعد صراع طويل وخفي من أجل ذلك درسوا في إسبانيا، لكنهم بين عشية وضحاها يتحولون إلى موظفين فور وصولهم. فلم يضع أحدهم خطة للنشر أو الترجمة والنشر مع أن المعهد عامر بالموظفين، وفي مطبعته عاملون أكفياء، وأعتقد أن الوقت قد حان لوضع استراتيجية لترجمة أدبنا العربي ونشره.

إننا مقصرون في التعريف بأدبنا الجيد، وكل ما تم في إسبانيا من ترجمة لأعمال عربية تم بمبادرة شخصية دون أي نوع من الإستراتيجية. كل هذا يحدث في الوقت الذي تقلص فيه دور معهد التعاون مع العالم العربي في مجال نشر الأعمال الأدبية المترجمة من العربية، وهو الدور الذي كان يضطلع به سلفه المعهد الإسباني ـ العربي للثقافة الذي عقد مؤتمراً للترجمة في عام ١٩٨٨م قبل أن يلفظ أنفاسه ويتحول إلى مؤسسة ذات صبغة سياسية أكثر منها ثقافية.



إدوارد سعيد

أنني عشت تلك اللحظة في مقر المعهد المصري حيث امتلأت ردهته بالصحفيين الذين يريدون الحصول على أي شيء عن نجيب محفوظ. طبعاً كان أمراً يثير الفرحة والحزن في آن واحد.

وبعد الاهتمام الذي أولاه مارتينيث مونتابيث لنجيب محفوظ في نهاية الخمسينيات جاء المستعربان مارثيلينو بييغاس وماريا خيسوس بيغيرا ليواصلا هذه المهمة ابتداءً من عام ١٩٦٩م بترجمة قصص متفرقة ونشرها في

شيء آخر أود الإشارة إليه هنا وهو أن اللغة الإسبانية كانت من أولى اللغات الأوروبية، إن لم تكن الأولى، التي استقبلت أعمال نجيب محفوظ، ويرجع الفضل في هذا إلى مستعرب جليل، بيننا اليوم في القاهرة، هو مارتينيث مونتابيث الذي قام بترجمة «همس الجنون» ثم نشرها في عام ١٩٥٩م. وكانت أولى الترجمات الأوروبية لنجيب محفوظ(٥).

وفي هذا الإطار تحضرني واقعة أخرى ففي عام ١٩٦٤م نشر الأستاذ بدرو مارتينيث مونتابيث في المعهد المصري بمدريد، كتاباً بعنوان «سبعة قصاصين مصريين» يضم قصصاً قصيرة وملخصاً للسير الذاتية لهؤلاء الكتّاب المصريين السبعة، من بينهم نجيب محفوظ، ولم يدر بها أحد تقريباً إلى أن حصل محفوظ على جائزة نوبل فانقض عليها القراء، على رأسها الصحفيون يوم إعلان ذلك الحدث. أذكر

مجلات مثل مجلة Revista de Occidente، أو ضمن مختارات مثل مجموعة «قصص عربية من القرن العشرين» التي نشرتها دار Magisterio espanol. وفي عام ١٩٧٤م نشرا مجموعة Cuentos Ciertose inciertos قصص حقيقية وغير حقيقية لنجيب محفوظ في المعهد الإسباني ـ العربي للثقافة.

وبعد هاتين الواقعتين نجد أن الفارق كبير بين عدد ونوعية الكتب التي ترجمت لنجيب محفوظ نفسه ونوعيتها قبل حصوله على «نوبل» وبعده، ففي بحر السنوات العشر الأخيرة اقترب عدد أعماله المترجمة من العربية إلى الإسبانية من الثلاثين عملاً، ما بين رواية وقصة وقصة قصيرة، إلى جانب ظهور عشرات الدراسات والمقالات الصحفية والمؤتمرات التي عقدها مختلف الجامعات والمؤسسات الثقافية(٦).

الهوامش والمراجع

1 - Miguel Angel Vego Cernuda, "La traduccion como sintoma cultural o consideraciones matematicas de alcance cultural" en v encuentros complutenses en torno a la traduccion, Editorial Complutense, Madrid, 1994. P2.

2 - Georges Steiner, Despues de Babel. Aspectos del lenguaje y la traduccion, (traduccion de Adolfo Castanon), Madrid, Fondo de Cultura Economica, 1980. P.337.

3 - Valentin Garcia Yebarra, En torno a la traduccion: teoria, critica, historia, Madrid Gredos, 1989.

٤ـ انظر جريدة «الشرق الأوسط» عدد السبت ٢٠ مارس/آذار ١٩٩٩م.

5 - Carmen Gomez Camarero, Contribucion del arabismo espanol a la literatura arabe contemporanea: catalago bibliografico (1930 - 1992) Universidad de Granada, 1994, p.110.

٦ـ انظر البحثين:

–Teresa Garulo, Bibliografìa provisional de obrasarabes traducidas al espnol (1800 - 1987), Cuadernos de la Biblioteca Islamica' Felix Maria Pareja, Instituto Hispano - Arabe de Cultura, Madrid 1988.

- Carmen Gomez Camarero, Contribucion del arabismo espanol a la literatura arabe contemporanea: Cata ogo bibliografico (1930 - 1992).

المنصورية للثقافة والإبداع:

عندما يكون الفن في متناول الجميع

عبدالرحمن السليمان
الدمام - السعودية

تنطرح دائمًا إشكالية الفن والمجتمع. وقد تمت الكتابة والتأليف حول هذا العنوان كثيرًا، فألف آرنولد هاوز تحت عنوان «الفن والمجتمع عبر التاريخ»، وهوبرت ريد تحت عنوان «الفن والمجتمع».



منحوتة للفنان علي الطخيس

فوصول الفن إلى المجتمعات يعدّ هاجس كل فنان ومثقف. وعلى حداثة الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية الذي لم يتجاوز (٤٠) عامًا تقريبًا فإن هناك دورًا تؤديه بعض الجهات الرسمية، وكذا المؤسسات الفنية الخاصة. فظهرت في أواخر التسعينيات مؤسسة رائدة هي «المنصورية للثقافة والإبداع». عنيت هذه المؤسسة بالفن التشكيلي السعودي على الخصوص، ووضعت نُظمًا وأطرًا تتحرك من خلالها. كان معرضها الأول هو مناسبة قالت الأميرة جواهر بنت ماجد حيالها: «أوقفتني

الخطوط البريطانية لاختيار الفنان المؤهل للتعبير عن طبيعة بلدنا فيكون عمله سفيراً لنا على أجنحة طائراتها». أقيم المعرض في الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ١٤١٨هـ / ١٩ أكتوبر/نيسان عام ١٩٩٧م، وشارك فيه الفنانون: كمال المعلم، وزمان محمد جاسم، وعلي الرزيزاء، ونايل ملا، وعبدالله حمّاس، وعبدالعزيز عاشور، وإلهام بامحرز، ورائدة عاشور، وشادية عالم التي اختير عملها لهذه المناسبة، وكان لوحة عنوانها «يوم السوق».

توالت جهود المنصورية للثقافة والإبداع في الساحة التشكيلية في السعودية، فرعت معارض بعض الفنانين في الداخل والخارج، وشاركت في أعمال بعضهم الآخر في مناسبات دولية مثل الـ «يورو آرت»، وكان معرضها «المهرجان» الفن في متناول الجميع خطوة مهمة على مستوى الساحة التشكيلية السعودية.

جاء المعرض ليمثل أهم المعارض التي شهدتها مدينة جدة في أربع صالات، افتتحت في ليلة واحدة، وكانت (العالمية، وأتيليه جدة، وأرابيسك، ورضى) مقاراً للعرض، عرض أعمال (٢٢) فناناً وفنانة من مختلف مدن المملكة وهم: عبدالحليم رضوي، وعبدالله الشيخ، وطه صبان، وضياء عزيز، وأحمد فلمبان، وعبدالله حمّاس، ويوسف جاها، وإبراهيم النغيثر، وعلي الطخيس، ومحمد عبدالرحمن سيام، وعبدالرحمن السليمان، وأيمن يسري، وعبدالعزيز عاشور، ورائدة عاشور، وشادية عالم، ونوال مصلي، ونايل ملا، وزهرة بوعلي، وزهير طولة، وزمان محمد جاسم، ومهدي الجريسي، وعوضة الزهراني.

عمل للفنان أيمن يسري

الفن والحياة

تنطرح فكرة مهرجان الفن للجميع من سؤال: أين الفن التشكيلي السعودي في حياتنا؟ وأنه إذا كان لدينا فن جاد فلماذا لا يساكننا بيوتنا، ويتنفس معنا، ويكبر على جمالياته صغارنا؟... تزداد الأسئلة التي تطرحها المنصورية للثقافة والإبداع فتقول: أين يذهب الإنتاج الفني؟ وما مصيره، ومصير الفنان، والحركة الفنية عموماً؟ هل لدينا فن جاد؟ كيف يمكن تصنيفه؟ ومن يقوم بهذا التصنيف، ومن المؤهل له؟ وما محركات ساحتنا الفنية؟.

وتسلط المنصورية الضوء على أهم المشكلات التي شكلت فكرة مهرجان (الفن للجميع) فكان من بينها من وجهة نظر المنصورية:

- غياب التقويم والتصنيف الفنيين لتجارب الفنانين ومدى جدية عطائهم، وعدم وضوح الخط الفاصل بين مسمى محترف وهاوٍ للفن.



عمل للفنان عبد العزيز عاشور

- عدم توافر الفرص لبعض أصحاب التجارب المتميزة للاحتكاك الداخلي أو الخارجي مع تجارب تصقل تجربتهم وتغنيها.

- ركود الطرح الفني، وعدم وجود فكر ينتظم نتاج الفنان وتجربته، بمعنى أن هناك عروضاً لا تشكل إضافة لتجربة الفنان أو المتلقي أو للمسيرة الفنية المحلية.

- عدم وجود قاعدة متنامية للتلقي الجاد القائم على أسس فنية مغروسة منذ الصغر، أي عدم وجود توجيهات تربوية علمية أو اجتماعية لتربية الذائقة الفنية لدى الجمهور العريض، مما يجعل الفن محصوراً في فئة محدودة لا يمكن أن تشبع حاجة الفنان للتأثير والتأثر والتحاور.

- انصراف أصحاب الذائقة الفنية الراقية عن المعروض لأسباب منها:

- عدم وجود ضوابط لسوق الفن المحلية، مما

يجعل اقتناء العمل الفني المحلي مخاطرة، بل خسارة لمقتنيه، مشيرة إلى أن اقتناء العمل الفني استثمار خاضع للنماء المنطقي لأسعار السوق ومعروضاتها.

عملت المنصورية للثقافة والإبداع من خلال هذا المهرجان لتحقيق مبادئ من بينها:

- الارتقاء روحيًا بالفنان.

- «جميعًا معًا» بإبداع متميز يعكس مستويات فنية ذات قيمة جمالية معنوية عالية، وفي الوقت نفسه له مقابل مادي محدود في تظاهرة ضخمة.

- الاطلاع على نتاج فني لعدد كبير من الفنانين السعوديين المتميزين في الحركة التشكيلية، وفي وقت واحد، وفي مدينة واحدة.

- توسيع قاعدة الجمهور الخاصة لكل فنان، وتصحيح انطباعاته عن التجارب الأخرى.

الأهداف والتطلعات كثيرة والفكرة لها شكل الريادة وهي خطوة أشارت المنصورية إلى إمكانية تطويرها والاستفادة من الآراء المقابلة، وهنا كانت ندوة مصغرة قد عقدت بعد يومين من افتتاح المهرجان شارك فيها الفنان عبدالحليم رضوي والفنان عبدالله الشيخ وعبدالرحمن السليمان و د. سعيد السريحي، وأدارها الفنان عبدالعزيز عاشور، وحضرها عدد من المشاركين الذين استضافتهم المنصورية خلال أيام الافتتاح الأولى، وكذلك عدد من المهتمين والفنانين والإعلاميين، ودار حوار الندوة حول فكرة المهرجان وبعض ما يتعلق بالساحة التشكيلية في المملكة.

وبسبب العدد الكبير من الأعمال الفنية التي قدّمها الفنانون لهذه المناسبة، ولضيق صالات العرض - كما يبدو - فقد تمّ استبعاد أعمال قليلة لبعض الفنانين، ذلك أن المنصورية قد اشترطت تقديم عشرة أعمال على الأقل وبقيمة تراوح بين خمسمئة ريال وألفي ريال، ومع هذا التحديد في السعر قدم بعض الفنانين، بل معظمهم أعمالاً صغيرة المساحة، لكنها عبرت في كل الأحوال عن اتجاهاتهم الفنية.

عبدالحليم رضوي طرح أعمالاً مائية قدّم فيها صيغه المعروفة بحيويتها وانفعالية خطوطها، وتعبيرية تلويناته ويتضح قدر من العفوية التي يصوغ معها عناصره أو يؤلفها معتمداً على خبراته للصيغ نفسها أو الحلول التي تناولها في أعمال سابقة؛ مائية، وزيتية، وعلى مقدار المكانة التي يتمتع بها الفنان رضوي في الساحة التشكيلية السعودية بوصفه أحد رواد هذه الحركة، وصاحب أول معرض أقامه عام ١٩٦٤م إلا أن بعض أعماله تأخر اقتناؤها، مع



من أعمال الفنان مهدي الجريبي

هذه المكانة، ومع قيمة العمل الواحد المقدر بألفي ريال. وقدّم عبدالله الشيخ تجربة تخطيطية بالأسود على الأبيض أقرب إلى الاسكتشات، وهو الذي كانت أعماله تُحاط بأسعار مرتفعة تقريبًا، وقد حددته الخامة برسم علاقات بين عناصر كالمرأة والأزهار والطيور موظفًا القص واللصق لتأليف عمله، وعلى نحو شاعري في طرح موضوعاته، وتعيد لوحة ضياء عزيز ضياء

لوحة للفنان يوسف أحمد جاها

أناقة تجاربه الواقعية، الرمزية. يلتقط ضياء موضوعاته من حي شعبي أو سوق، عناصرها محدودة يستطيع تأليفها لتنشأ لوحة بسيطة في محتواها وألوانها لكنها موحية ومعبرة عن إمكانية فنية متميزة لها شكل من التفرد على مستوى الساحة المحلية، وتعد المنصورية للثقافة والإبداع لإصدار كتاب لأعمال هذا الفنان يقدم مسيرته الفنية منذ بداياته فمشاركاته المبكرة حتى الآن.

وتطرح لوحة الفنان أحمد فلمبان صيغة تعبيرية وهو يوظف ألوانه ذات التدريجات البنية والبرتقالية لموضوع فيه المنازل أو الوجوه الآدمية في حالة ألم أو وجع إنساني، وكما يقول كلاوديو كاليوتي (تتوهج ألوانه بلوعة إنسانية حزينة شديدة الإلحاح لاستفزاز الضمائر الميتة تطلب استمرار الحب والعودة الشجية... صادقة لأنها مرآة لهذا العالم النائم الغائب عن الضمير والإنسانية).

وعبّرت أعمال الفنان عبدالله حمّاس عن تواصل هذا الفنان في تجربة تنبعث من نفس حيوية، ومتحررة من قيود الشكل المباشر إلى تعبيرية اللون، وهو يندفع في تشكيلات مختلفة مستفيدًا ومتكئًا على مخزون تراثي محلي من منطقة عسير، حيث ولد وعاش الفنان طفولته. وانبعثت لوحات الفنان طه صبان على صغر مساحتها لتكون مشاهد، مساحاته مجردة نلمح فيها الشجر والمنازل والدروب، ويوظف صبّان ألوانًا من الأزرق والسماوي والأوكر والبرتقالي، وموحيًا بأشخاص في بعض الأعمال مع خلفيات معمارية أقرب إلى الهندسية. ويجد الفنان يوسف أحمد جاها في المشهد المفتوح (الفضاءات) مجال معالجاته وحلوله الفنية وهو يوظف ألوانًا متنوعة، تعبر غالبًا عن بهجة وافتتان بالطبيعة. وتعدّ أعمال الفنان علي الطخيس النحتية هي الوحيدة بين أعمال معلقة. قدّم الطخيس منحوتات رخامية تضاعف سعرها عن البقية لسبب ما تستغرقه من وقت وجهد، ولما فيها من بساطة، وهو يقيم عمله على علاقة الكتلة بالفراغ، الفراغ المحيط (الفضاء) أو الفراغ الذي يصنعه الفنان داخل


عمل للفنان نايل ملا

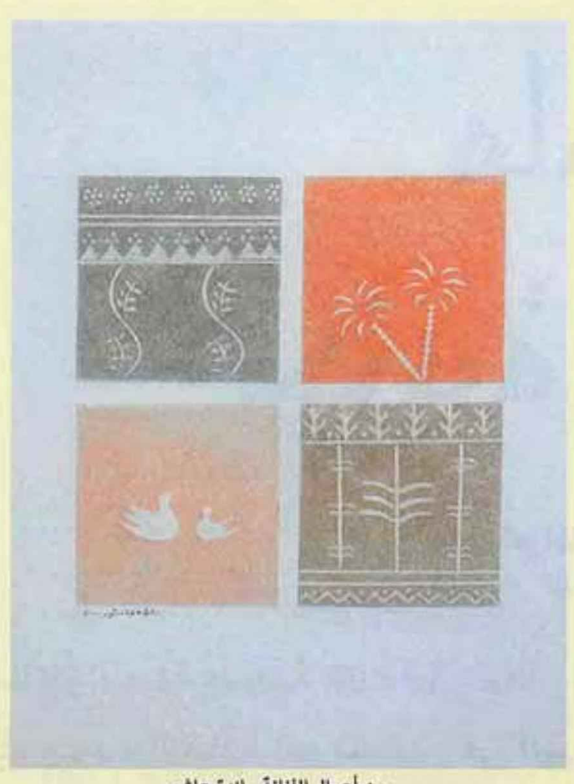
ويشكل معها موضوعاته المحلية المحببة. وقدّم الفنان أيمن يسري أعماله وفق رؤية مغايرة لما قدمه الآخرون من الفنانين، فقد وظف الأسلاك وشبك الحديد والشعر الحيواني ليوحي برؤوس أنثوية ومن الخلف، ومعها في أعماله التي لم يعنونها تنطرح رؤيته المفاهيمية التحديثية، وكذا صيغه المغايرة التي طرحها في بعض مشاركاته أو معارضه الشخصية، فهو يحاول إضافة مساحة يرسم فيها رأساً مقلوباً أو شكلاً ما، فاتحًا مساحة للحوار والنقاش والإثارة أيضًا. وتتبسط لوحة الفنان عبدالعزيز عاشور في اتكاء على دلالة الإشارة والوحدة الزخرفية التي يحاول تبسيطها، وإنشاء صيغ إيحائية ذات بعد إنساني ومكاني.

وتبعث رائدة عاشور عناصر (محلية/شعبية) في تأليفية وبساطة نجد فيها أوراق الشجر والنخيل والطيور والزخارف، وغيرها، على أن شادية عالم تحشو لوحتها بالألوان المختلفة في محاولة لخلق حالة فرح أو غنائية متناولة مشاهد محلية لسفوح جبلية أو لرعاة أو غيرها، وهي في مجموعتها المطروحة في هذا المهرجان تنقل عالمًا جديداً وأكثر مباشرة من تعبيراتها الأنثوية التي عالجتها بكثير من الدفء والحيوية والتميز. وجاءت لوحة نوال مصلي مفعمة بالبراءة والعفوية وهي ترسم فضاءات ريفية محفوفة بالنخيل والزرع الأخضر ومعالجة هذه العناصر أو منازلها بلمسات أو بقع لونية مبسطة ومجردة وموحية أيضاً.

وتقوم لوحة الفنان نايل ملا على تبادل الخلفية والوحدات الرئيسة. فهو يشكل عناصره على نحو أقرب إلى الإشارية، ويترك لإحساساته تحريك القطعة، وبدت أعماله متنوعة الإيحاءات والأفكار. وحاول الفنان إبراهيم النغيثر في مجمل أعماله الاقتراب من التجريد الذي تغيب معه العناصر المباشرة، وقد عرفناها في جميع أعماله السابقة، واضعًا في الحسبان قدراً من بناء علاقات لونية ومساحية يختار لها معظم المجموعة اللونية، ويحاول في بعضها إطلاق زخارف مستوحاة من المعمار أو الأزياء الشعبية التي يظهر بوضوح إحساسه اللوني بها. وتقدم أعمال محمد عبدالرحمن سيام اهتماماً بالموضوع الشعبي، فهو يرسم الرقصات والسباقات وموضوعات الحج، وغيرها، يعالجها بألوان الباستيل، على قدر من المهنية التي اشتغل عليها أعماله الكثيرة من هذه التجربة، تتبسط الأشكال في لوحة سيام وهو يعيد بناءها كما يفعل التكعيبيون في حلول مساحية بسيطة تساعده على استخدام قدر من الألوان المتنوعة، المختلفة، يبعث من خلالها إضاءاته،

فرشاته أو أنبوب التلوين ليحدد خطوطًا متصاعدة تشكل نوافذ أو فتحات أو نباتات أو زخارف هندسية أو غيرها، ويتعامل الفنان مع مجموعته اللونية بثقة ومعها يثري لوحته بمجموعة اللون وبقدر من الإيحاء والحيوية التي تتشكل عفوية ولكن بطريقة فنية تنظيمية، وكما يقول الناقد كفاح الحبيب «رموزه لا تتجاوز بنية البيئة العربية بل تقف إلى جانبها». وفي أعمال الفنانة زهرة بو علي الكرافيكية حلول مساحية بما تمنحه حفريات اللاينو من علاقات موحية بأشكال زخرفية أو وجوه أو بصمة أصبع، وعند أعمال زهير طولة على صغر مساحتها يتناول الوجه الإنساني في معالجات تعبيرية متلاحقة وسريعة، وينقل الفنان زمان محمد جاسم إحساسه بالزخارف الشعبية بمرجعية من المنسوجات والسدو، يصيغها على نحو تلويني يلفت نظر المشاهد، ويستحوذ انتباهه لتوظيفاته اللونية المتعددة والمختارة بشيء من الصراحة والوضوح، ونجد في عمل الفنان مهدي الجريسي قدرًا من التجريب، ومحاولة للخروج من لوحة القماش إلى الجلد، يعالجه بخامات أو مواد مختلفة يتضح فيها مقدار من الجرأة في توظيف وحدات أو عناصر أكثر إشارية على قدر تجريدها فيها ما يمكن أن يستخلص على مستوى الموضوع/الفكرة أو التقنية، ويقيم عوضة الزهراني لوحته على توظيف مغامر للون محايد يقترب معه من درجات بنية أو سماوية، يصل معها إلى الأبيض في بعض أطراف اللوحة وعلى معالجات يترك لفعل اللحظة ما يتشكل معه عمله الفني في إطاره التجريدي العام.

مهرجان «الفن للجميع» بما أحيط من رعاية واهتمام ومحاولة للاكتمال قدم علاقة (المجتمع بالفن) على المحك، وبعيدًا عن تحليل نتائج مثل هذا الفعل الثقافي المهم، ومقدار الإقبال على أعمال «المعرض/المهرجان». وتبقى بعض الجوانب مهمة بأن يُنقل في دورات قادمة إلى أكثر من مدينة



من أعمال الفنانة رائدة عاشور

سعودية، وأن تُطرح حول المهرجان (ندوة) تتحدد معها الأسماء ويعين موضوع ومحاور لها، وأن يُوضع سقف آخر للأسعار حتى يتسنى لبعض الفنانين تقديم أعمال أكبر مساحة أو خامة ووسائط مختلفة، وعلى أن بعض الفنانين التشكيليين المعروفين في المملكة قد غابوا عن هذه المناسبة المهمة إلا أنه يمكن الاقتناع بتعليلات بعضهم خاصة ما يتعلق بعملية التصنيف والأسعار.

وكانت المنصورية للثقافة والإبداع ضمن توثيقها لهذه المناسبة أصدرت دليلاً ضخماً تضمن صورة عملين لكل فنان (من مقتنيات المنصورية) ونقلت فيه انطباعات المشاركين عن الحدث وتعريفًا بأهداف الفكرة، ومنطلقاتها، ومراميها، وملخصة فيه إمكانية تكرار هذه التجربة، ودراسة إمكانية وجدوى الاستعانة بعدد آخر من الفنانين، وأن الفكرة وسيلة للحوار تبقى مفتوحة للنقد وللتطور ولإعادة النظر في أقطابها وأهدافها وآلياتها.



عواطف شلبي
أثينا - اليونان

ماكاو مدينة صينية ظلت على مدار أربعة قرون مستعمرة برتغالية، وقلعة للوجود والثقافة البرتغاليين في الشرق الأقصى، وظل علم البرتغال يرفرف عليها من عام ١٥٥٤م حتى الآن، وقد نجحت القيادة الصينية في إطار سعيها الجاد إلى تحقيق الهدف المنشود وهو إعادة توحيد الصين، في توقيع إعلان مشترك بين الحكومة الصينية والحكومة البرتغالية ينص على أن تعود ماكاو إلى السيادة الصينية في ٢٠ ديسمبر / كانون الأول عام ١٩٩٩م، وتنشأ إدارة إدارية لماكاو بهدف تأكيد أن النظم الاقتصادية والاجتماعية سوف تستمر كما هي من دون تغيير حتى عام ٢٠٤٩م طبقًا للمفهوم الجديد الذي استحدثته القيادة الصينية وأطلقت عليه صيغة «دولة واحدة ونظامان مختلفان».

تقع ماكاو جنوب شرق شاطئ الصين الجنوبي وشمال غرب هونج كونج التي تبعد عنها أربعين ميلا فقط، ومساحتها الكلية ٩ أميال مربعة (٢٣.٨كم٢)، وتشمل شبه الجزيرة التي بنيت عليها مدينة ماكاو وجزيرتي كولوان وتايبا، ويوجد جسر طوله ١.٦ ميل يربط شبه الجزيرة بجزيرة تايبا الواقعة إلى الشرق، والتي يربطها بالجزيرة الأخرى كولوان ممر مرتفع طوله ١.٤ ميل، وفي أقصى شمال شبه الجزيرة يوجد ممر ضيق تحدده بوابة بنيت عام ١٥٧٣م بين ماكاو ومقاطعة جوانجدون بالصين.

ويبلغ عدد سكانها نحو (٤٣٨٠٥٠ نسمة)،



الجسر الذي يربط شبه الجزيرة بجزيرة تايبا

٩٥٪ من الصينيين، وأقل من ٢٪ من البرتغاليين، واللغة المستخدمة هي الكانتونية والبرتغالية والإنجليزية.

شيء من التاريخ

بدأ استقرار البرتغاليين في ماكاو من عام ١٥٥٤م إلى عام ١٥٥٧م خلال فترة الاستكشافات الجغرافية التي بدأها الأمير هنري الملاح، وفي أواخر القرن الخامس عشر كانت رحلة فاسكو دي جاما التاريخية إلى الهند، ثم اتجه البرتغاليون منذ أوائل القرن السادس عشر إلى الشرق، فكان جورج الفارس أول برتغالي تطأ قدمه أرض جنوب الصين في عام ١٥١٣م وتبع ذلك إنشاء عدد من المراكز التجارية البرتغالية في منطقة دلتا نهر بيرل، ثم بدأ تدعيم تلك المراكز في ماكاو بتصريح من إمبراطور الصين، وقد ساعد ذلك على أن تحتكر ماكاو التجارة بين الصين واليابان، وبين هاتين الإمبراطوريتين وأوربا إلى جانب كونها مركزاً تجارياً مهماً، وهي ميزة ظلت ماكاو تحتفظ بها سنوات طويلة، فقد كانت أيضاً نقطة ارتكاز للإرساليات التبشيرية في الصين واليابان؛ وذلك بسبب موقعها المتميز، وقد أعطاها هذا جزءاً من مجدها التاريخي، وقد كان لهذا الموقع أثره في أن بدأت بعض الدول الأوربية تطمع في السيطرة عليها، فقد حاول الهولنديون في القرن السابع عشر احتلال المدينة عدة مرات، ولكن محاولاتهم باءت بالإخفاق ثم تراجعت أهمية ماكاو منذ عام ١٨٤١م عندما استقر الإنجليز في جزيرة هونج كونج التي تقع شرق ماكاو على بعد ٤٠ ميلا منها، وتطورت

أهمية هونج كونج لتصبح واحدًا من أهم المراكز التجارية في العالم، لكن ماكاو احتفظت بوضعها على أنها مركز مهم لتوزيع الأرز والأسماك والبضائع الصينية الأخرى، كما ظلت مركزًا صناعيًا وتصديريًا للمنسوجات والملابس الجاهزة.

وظلت ماكاو على مدار أربعة قرون مستعمرة برتغالية، وقلعة للوجود والثقافة البرتغاليين في الشرق الأقصى، وظل علم البرتغال يرفرف عليها طوال تلك القرون، حتى عندما وقعت البرتغال مدة ٦٠ عامًا في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر تحت حكم إسبانيا.

وتقف ماكاو الآن على أعتاب نهضة صناعية حديثة، ويجري الآن إنشاء مطار لتلك المدينة التي لم ينشأ بها مطار من قبل، وهناك مصانع كثيرة منشأة حديثًا لإنتاج الملابس الجاهزة، وتأخذ صناعة السياحة جانبًا كبيرًا من اهتمام إدارة مستعمرة ماكاو التي تعمل على اللحاق بركب التقدم الآسيوي.



منظر لوسط المدينة



معبد آما

السفر إلى ماكاو هو رحلة في أعماق التاريخ، يجد الزائر لها نفسه وكأنه يعيش في متحف حي، دار للآثار، ولكنها تنبض بالحيوية والحياة، مكان ستشعر بالألفة معه من لحظة وصولك، إنها مدينة مدهشة فريدة في نوعها أسسها التجار البرتغاليون والإرساليات التبشيرية منذ نحو ٤٠٠ سنة لتكون مركزًا للتجارة مع إمبراطوريتي الصين واليابان، ونقطة وثوب للإرساليات التبشيرية المسيحية.

في ماكاو يلمح الزائر ومضات التاريخ تضيء في كل مكان؛ القصور القديمة، والمعابد، والقلاع، والكنائس، والشوارع الضيقة، وسحر العالم القديم يشيع جوًا من الرومانسية الحالمة يشعر به الزائر وهو يطوف بالمدينة ممتطيًا عربة «بيديكاب» يخترق بها الشوارع التي تظللها الأشجار المتعانقة أو في أثناء جلسة هادئة في إحدى الحدائق الغناء لتأمل الشاطئ الآخر حيث توجد الصين.

السفر من هونج كونج إلى ماكاو سهل وميسر بطرق كثيرة أفضلها الرحلة البحرية التي تستغرق ساعة واحدة في مراكب أنيقة مكيفة الهواء تخترق مياه الخليج الهادئ جدًا الذي لا تعكر هدوءه



بقايا كنيسة سان بول

موجة واحدة، وتحيط به الجبال المتوسطة الارتفاع من كل جانب، ومن المركب نشاهد مدينة هونج كونج بعمائرها العالية وهي تبتعد تدريجياً، فتبدو أصغر وأصغر كلما اقتربت المراكب من ماكاو. وفي مكتب السياحة يقابلون الزائر بابتسامة رقيقة، ويقدمون له جميع الخدمات والتسهيلات والإرشادات عن المواصلات التي يمكنه استخدامها، والفنادق التي بها حجرات شاغرة، والأماكن التي يجب عليه زيارتها..إلخ.

للوهلة الأولى قد يشعر الزائر أنه أمام مدينة لا تختلف عن هونج كونج حيث العمارات الشاهقة الارتفاع، والسيارات الحديثة الفارهة، والمباني الضخمة التي ما زالت تحت التشييد، إلا أن الزائر عندما يدخل في قلب المدينة يشعر أنه مسافر في أعماق التاريخ، ويجد شيئاً فريداً وجديداً مختلفاً كل الاختلاف عن هونج كونج الحديثة جداً.

امتزاج الشرق والغرب

إن ماكاو امتزاج رائع للقديم والحديث في تآلف مدهش بين الضدين الشرق والغرب، بين الثقافة الصينية والثقافة البرتغالية، توليفة من المتناقضات تجذب عين الزائر، وتشغل عقله، وتحرك عواطفه بالمعابد البوذية القديمة، والمباني التي أقامها البرتغاليون منذ أربعة قرون، والعرافات الجالسات بملابسهن المزركشة بجوار تلك المباني يقرأن لك الطالع، وينبئنك بما تخفيه لك الأيام، وما سيحمله لك المستقبل، والإحساس الرومانسي الذي يوحي به هدوء المكان والتناقض العجيب بينه وبين الصخب والضجيج في نوادي القمار، وسباقات الخيل، حيث

الحركة مستمرة لا تهدأ طوال الأربع والعشرين ساعة. إنه حقًا امتزاج فريد رائع بين المتناقضات.

وأكثر ما يلفت الانتباه في مكاو أنها منطقة كثيرة التلال، ويعد المشي من كنيسة سانت بول إلى قلعة ساو بولو دي مونت ماتعًا. وقد زاد إصلاح الأراضي الواقعة على سفح تلال شبه الجزيرة من مساحة الأراضي الزراعية بنسبة ٢٠٪، وكوّن بحيرتي نام فان Nam Van الاصطناعيتين. وترتبط جزيرة تايبا بشبه الجزيرة بواسطة جسرين، كما أن طريقًا معبدًا يربط تايبا مع كولوان، وتوجد هنالك خطط طموحة لدمج الجزيرتين عن طريق عملية إصلاح زراعي كبيرة جدًا، وعمل مشروع سكني يسمى مدينة الأكواخ.

ويربط جسر زهرة اللوتس الجديد تايبا مع البر الصيني، ويلتقي مع خط جوانجزهو/ زوهاي السريع.

وفي مكاو سلسلة من فنادق الدرجة الأولى الممتازة والشقق المفروشة الفاخرة مع وجود فنادق وشقق متدرجة بين تلكما الفئتين.. وفي الجزيرتين منتجعات من فئة خمسة نجوم، كما يوجد فندق صغير في كولوان. ويجب الأخذ في الحسبان أنه من الصعب الحصول على سكن، بالإضافة إلى ارتفاع ثمنه في عطل نهايات الأسبوع، وفي الأعياد العامة.

وأسواق الشوارع المسائية ملأى بالمأكولات البحرية، كما يوجد عدد كبير من المقاهي والمطاعم في شبه الجزيرة، تقدم مأكولات ومشروبات كانتونية، وماكاوية، وإفريقية، وبرازيلية.



شارع كومبو

متى تزور ماكاو؟

إن أفضل وقت يمكن للمرء أن يزور فيه ماكاو هو في فصل الخريف بين شهري (أكتوبر/تشرين الأول - ديسمبر/كانون الأول)، إذ تقل فيه الرطوبة، وتسطع أشعة الشمس، ولا بأس أيضًا من زيارتها في فصل الربيع بين شهري (مارس/آذار - مايو/ أيار). ولكن أسوأ وقت لزيارتها يكون في شهر يناير/ كانون الثاني، إذ تشتد البرودة ويزداد المطر، وفي شهر يونيو/حزيران تبلغ نسبة الرطوبة درجة كبيرة وتصل درجة الحرارة إلى ٣٠مْ، وتنهمر الأمطار.

تومض مكاو الواقعة بجوار خط الاستواء في ضباب حار رطب وذلك من شهر يونيو؟حزيران إلى سبتمبر/أيلول مع أمطار غزيرة رعدية مصحوبة برياح موسمية، بالإضافة إلى إمكان حدوث أعاصير استوائية.

إن فصل الشتاء (بين شهري ديسمبر/كانون الأول ومارس/آذار) بارد نوعًا ما ويسقط به رذاذ من المطر، ولذلك يجب أن يحرص الزائر على أن يحضر معه ملابس شتوية.

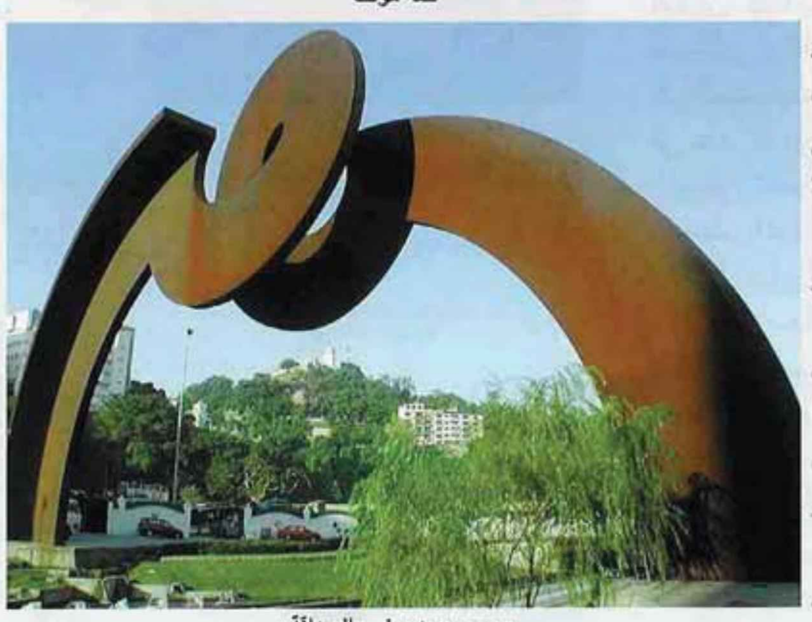
ومن الصعوبة بمكان العثور على غرف في الفنادق في أثناء عطل نهايات الأسبوع، أوفي أعياد هونج كونج العامة، والسنة الصينية الجديدة (من أواخر يناير/ كانون الثاني إلى أوائل فبراير/ شباط)، وكذلك في أثناء الوليمة الكبرى التي تقام في مكاو في شهر نوفمبر/تشرين الثاني.

الأعياد والمناسبات

لقد فقدت مكاو بعض احتفالاتها ذات النكهة



قلعة مونت



مجسم يجسد معنى «الصداقة»

البرتغالية، واكتسبت بعض الاحتفالات الصينية، فودعت يوم الثورة البرتغالي، وأصبحت تحتفي باليوم الوطني الصيني.

وتعد السنة الصينية الجديدة أمرًا محببًا بشكل خاص، كما تتواصل احتفالات شباط/فبراير مع مهرجان الفانوس السحري المملوء باللهو والمرح الذي يحتفل به في معبد بو تاي أون Pou Tai Un

الموجود في جزيرة تايبا . وهناك بعض الأعياد الكاثوليكية بما في ذلك موكب آلام المسيح الذي يحتفل به منذ أربعمئة عام، ويسير هذا الموكب من ساو أجوستينو إلى كاتدرائية مكاو في شهر آذار/مارس. وتدب الحياة في معبد آما A - Ma في مكاو مع احتفالات المتدينين خلال عيد ايه ـ ما (وهو قريب ذو صلة مع عيد تن هاو Tin Hau في هونج كونج).

ويؤم الناس مكاو لمشاهدة التنينات الراقصة وبوذا النظيف المتألق، وذلك في شهر أيار/مايو لحضور عيد التنين الثمل، وعيد عسل بوذا.

كما يتم أيضًا تكريم تام كونغ في هذا الوقت في احتفالات صيادي الأسماك في مكاو وبخاصة في كولوان. كما يحتفل بمعجزة سانت فاتيما في ١٣ مايو/أيار، وذلك بموكب يسير من ساو دومينغوس إلى السيدة بنها. أما مهرجان قارب دراجون فيقام في بحيرات نام فان، حيث تقرع الطبول. ويقام عيد الأشباح الجوعى مدة أسبوعين، وذلك من أواخر أغسطس/آب إلى أوائل سبتمبر/أيلول. كما يوجد احتفال دولي للألعاب النارية في شهري سبتمبر وأكتوبر. وسباق سيارات في شهر نوفمبر/تشرين الثاني، وتنتهي الاحتفالات مع احتفالات الانقلاب الشتوي في ديسمبر/ كانون الأول.

آثار ماكاو

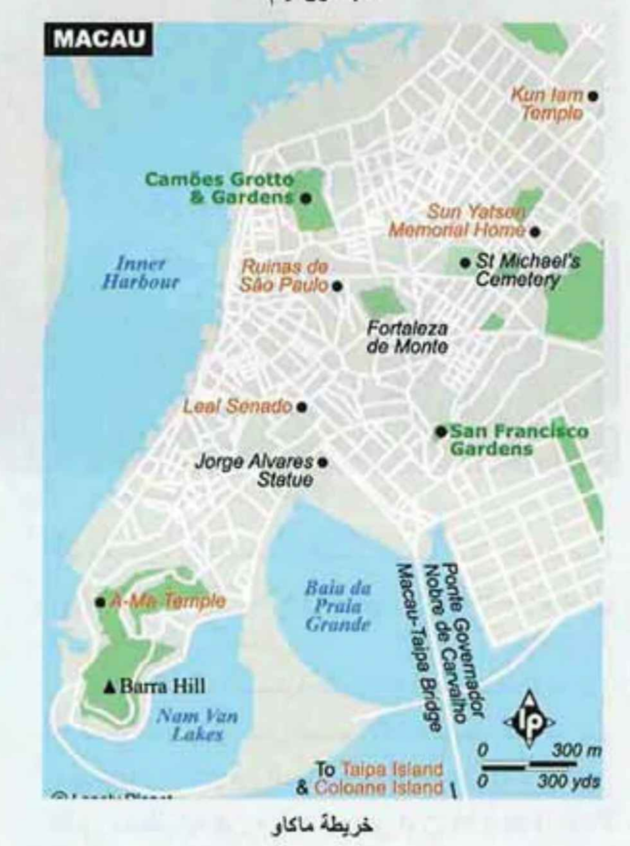
ومن أهم الآثار التاريخية في ماكاو واجهة كنيسة سان بول، وهي أبرز معالم المدينة، وقد صممها فنان إيطالي بمعاونة مسيحي ياباني كان قد هرب من الاضطهاد الإقطاعي في ناجازاكي. وقد استغرق بناء تلك الكنيسة ٣٥ عامًا من عام ١٦٠٢م إلى عام ١٦٣٧م، وأتت عليها النيران في عام ١٨٥٣م، فلم يبق منها إلا تلك الواجهة والسلالم الخارجية وجزء من الحوائط.

وقد ظلت تلك الواجهة على حالها بعد الحريق إلى أن تم ترميمها في صيف عام ١٩٩١م.

ومن الآثار المعروفة بالمدينة قلعة ساو بولو دي


مدفع أثري


معبد كون أيام



خريطة ماكاو



متحف ماكاو

مونت التي بنيت خلال الفترة من عام ١٦١٧م إلى عام ١٦٢٦م لتكون جزءاً من كنيسة سان بول بهدف حماية المدينة من الهجمات المحتملة، وقد ساعدت تلك القلعة بالفعل على صد هجوم الهولنديين على المدينة في عام ١٦٢٢م، وهي المرة الأولى التي استخدم فيها المدفع الموجود بالقلعة، والقلعة مكان فخم إذا صعده الزائر استطاع أن يشاهد من أعلى صورة كاملة للمدينة كما يمكنه مشاهدة الصين بالجانب الآخر.

أما أعرق الآثار في ماكاو فهو معبد آما A -MA الذي بني منذ خمسة قرون، أي قبل وصول البرتغاليين بأكثر من قرن من الزمان، وعندما نزل البحارة البرتغاليون على أرض شبه الجزيرة سألوا الأهالي عن اسم ذلك المكان، فرد الأهالي بأن هذا المكان هو أماجو AMA GAE أي (شاطئ آما)، وهكذا سميت الجزيرة ماكاو. وتحكي الأسطورة أن آما، وهي أميرة البحار، كانت امرأة جميلة جذابة، لديها القدرة على تهدئة البحار وحماية الصيادين، وقد شيد هذا المعبد في المكان نفسه الذي خرجت فيه الأميرة آما من الماء، ووضعت قدمها على الأرض، ثم صعدت إلى السماء في موكب من النور تفوح منه روائح العطور. ومن أجمل المعابد معبد كون أيام، ويرجع تاريخه إلى أوائل القرن السابع عشر، وفي عهد أسرة مينج الصينية، وهو معبد بثلاثة منابر، اثنان منها خاصان ببوذا: أحدهما لبوذا الراهب، والثاني لبوذا بعد أن وصل إلى إشراقة المعرفة. أما

صن Sun Yat Sen مؤسس جمهورية الصين الحديثة، والذي عاش في ماكاو عدة سنوات، ومارس فيها مهنة الطب.

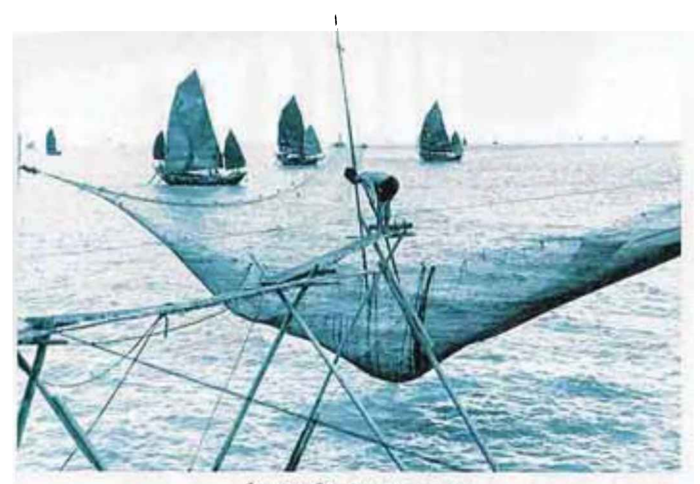
أما كنيسة ساو دومينجوس التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر عندما كانت ماكاو مركزاً للمسيحية في شرق آسيا، فيوجد بها مجموعة نادرة من التماثيل للقديسين مصنوعة من الخشب أو العاج المحفور، كما تضم صورة نادرة للقديسة سانت فاتيما، ومن هذه الكنيسة يبدأ في ١٣ مايو/أيار من كل عام موكب سانت فاتيما العظيم.



من داخل باخرة سياحية

وإذا تركنا مدينة ماكاو متوجهين إلى جزيرة تايبا Taipa، وجدناها جزيرة جميلة أنيقة تجمع بين القديم، حيث المعابد البوذية والمباني القديمة على الطراز البرتغالي، والحديث حيث الفنادق الضخمة والمباني الحديثة. أما جزيرة كولوان فإنها تمتاز بشواطئها الرائعة ومتنزهاتها، كما يوجد فيها معبد صيني قديم.

وغالبية السكان في ماكاو من أصل صيني يتحدثون لغة اسمها الماندرين، وهي مشتقة من اللغة الصينية، وكذلك اللغة الكانتونيز نسبة إلى مدينة كانتون الصينية القريبة، ويعيش ٩٧٪ من السكان في مدينة ماكاو، أما الـ ٣٪ الباقون فيعيشون في جزيرتي كولوان وتايبا.



الصيد على الطريقة التقليدية

تمثال بوذا ذو الوجهات الأربع والموجود بجزيرة تايبا فهو تحفة فنية رائعة، وهو واحد من تماثيل رائعة تزين ميادين مدينة ماكاو وجزيرتي كولوان وتايبا، وتلك التماثيل هي أكبر تعبير عن التداخل والامتزاج بين الحضارتين والثقافتين الصينية والبرتغالية. وأقدم تلك التماثيل هو تمثال الشاعر البرتغالي لويس دي كاموس شاعر عصر النهضة الذي كان منفياً في ماكاو في بداية الاستعمار البرتغالي لها عام ١٥٥٧م. بجانب عدد من التماثيل لشخصيات برتغالية ممن عاشوا في ماكاو أو زاروها توجد تماثيل لبعض مشاهير الصين مثل صون يات

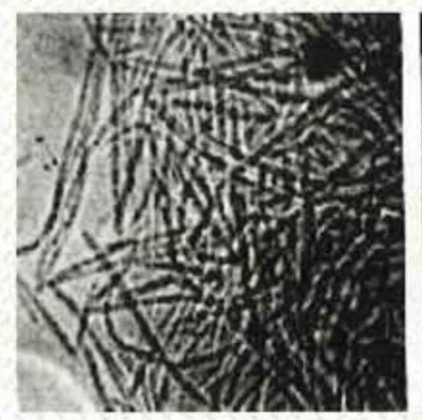
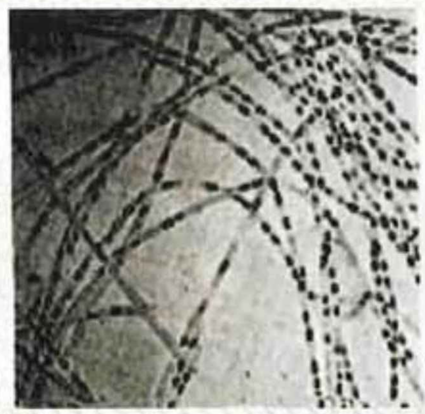
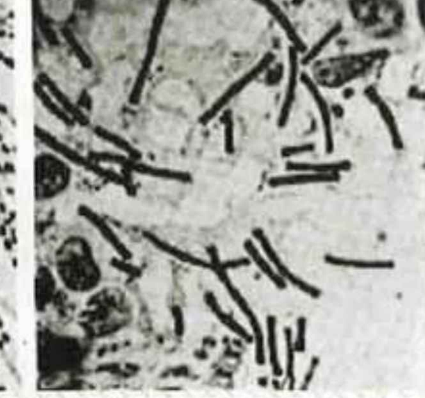
أما الدين الرئيس هناك فهو البوذية، وحرية العبادة وإقامة الشعائر الدينية مكفولة للأديان الأخرى، وهي البروتستانتية والكاثوليكية.

وفي الركن الشمالي للجزيرة توجد البوابة أو الممر الرسمي الوحيد إلى الصين، وقد كان الجانب الماكاوي من تلك البوابة منطقة ذات حساسية شديدة إبان فترة الحرب الباردة. أما الآن فلم تعد تلك البوابة حاجزاً بالمعنى السابق. إذ يعبرها يومياً آلاف من المسافرين، وأطنان من الخضراوات والماشية المستوردة.

مصادر الصور: الإنترنت.

الجمرة الخبيثة.. أول أمراض القرن!!

يونس وهبي
تطوان - المغرب

صور لعصيات الجمرة الخبيثة عن روبرت كوخ

دقت الولايات المتحدة ناقوس الخطر في ظهور حالات جديدة ومتكررة لمرض كان قد أصبح في طي النسيان، فقد ساد الرعب والهلع بين السكان، وفي أقل من شهر أصبح مرض الجمرة الخبيثة أكثر الكلمات رعبًا في القاموس الطبي، وأصبح يشق طريقه إلى كل الفئات في المجتمعات، ولاسيما الأمريكية، ليشغل بال الأشخاص، وأصبح مشكلاً عامًا وموضوع الحديث ومصدر الخوف والهلع Psychose عند العامة والخاصة على السواء، وأصبح قضية لها آثارها في المجتمع العالمي بأكمله، فقد يمتنع الأفراد عن الخروج إلى شارع قصد العمل، وتشل حركة البلد، مما قد يترتب عليه عواقب وخيمة في المجال الاقتصادي... وهذا نوع آخر من الحرب.

الوباء هو مرض يهاجم في الوقت نفسه والمكان نفسه كثيرًا من الأشخاص، وهو ناتج من تلوث في الجو، أو فساد في التغذية.

لقد عرف الإنسان الأوبئة والأمراض منذ نشأته على الأرض، فعلى مر العصور والأحقاب كانت الأم دائما تنذر صغارها مغبة بعض الأمراض المتنقلة. كما أن التغييرات الكثيرة الحاصلة في العناصر الأربعة: الماء والأرض والهواء والنار من شأنها إحداث تقلبات في

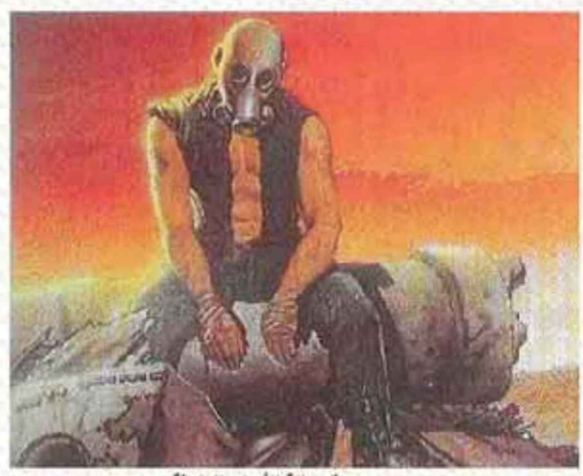
البدن، فيعج الجسم بالأمراض والأوبئة فتتصاعد منه أبخرة عفنة، وتنتشر في الجو آخذة معها المرض إلى أماكن أخرى وأشخاص آخرين.

ما هو الأنتراكس أو الجمرة الخبيثة؟ Charbon, Anthrax

الجمرة الخبيثة هي إصابة ببكتيريا حادة تدعى Bacillus anthracis وهي عادة تصيب الفقريات المتوحشة والأليفة، خاصة آكلات الأعشاب (الغنم والمعز والبقر...) وقلما تصيب الإنسان؛ وذلك بسبب برامج التلقيح والنظافة المتخذة في المزارع، لذا مرت عقود من دون أن تظهر حالات في الولايات المتحدة الأمريكية.

هذه البكتيريا هي عصيات الغرام الإيجابية +Gram هوائية مستقيمة الشكل طولها يراوح بين ٣ و ١٠ ميكرومتر وطرفاها المربعان يراوح اتساعهما بين ١ و ١.٢ ميكرومتر، ثابتة ولا تتحرك، غشاؤها مصنوع من متعدد البيبتيد Polypeptide، ويمثل حدة الجرثومة وخطورتها. تكون البكتيريا منعزلة أو تتجمع على شكل سلسلة مثل ساق الخيزران، كماتصبح بوغا:Spore شكلاً بيضوياً يجعلها مقاومة تجاه عوامل فيزيائية وكيماوية حسب نوعية اللمة، وحسب ظروف التبوغ، وحسب الأماكن التي يوجد فيها، فيمكنه مثلاً مقاومة **حرارة مرتفعة قد تصل إلى ٩٥ درجة مدة ١٠ دقائق، كما يستطيع العيش عدة عقود في التربة، والمستنقعات، والجلد.. كما يسهل تخزينه، وحمله، ورشه على بلدة ساكنة بطرائق مختلفة، كرشه بطائرات صغيرة كما هو الحال في رش المبيدات على الحقول الزراعية، أو رشه على ملعب رياضي آهل بالمتفرجين، أو ضخه في شبكة مياه الشرب. كما تُسهِّل بعض العوامل البيئية كانعدام هبوب الرياح والجو الرطب على جعله يسبح في الجو دون أن يُرى بسبب صغر حجمه. كما يُصيب عادة فئات ذات تعرض ولاسيما البياطرة، والعاملين في قطاع الجلد والصوف وأخيراً العاملين في قطاع البريد.**

يعود تاريخ اكتشاف عصيات الأنتراكس إلى عام ١٨٦٣م على يد العالم Davine، كما يعدّ العالم Koch أول من لاحظ ظاهرة تحوله إلى بوغ عام ١٨٧٧م، بعدها استطاع العالم Pasteur وطلبته عام ١٨٨١م ربط البكتيريا بمرض الجمرة الخبيثة، ومن ثم إيجاد لقاح لها.



رسم يمثل حالة الأرض الملوثة

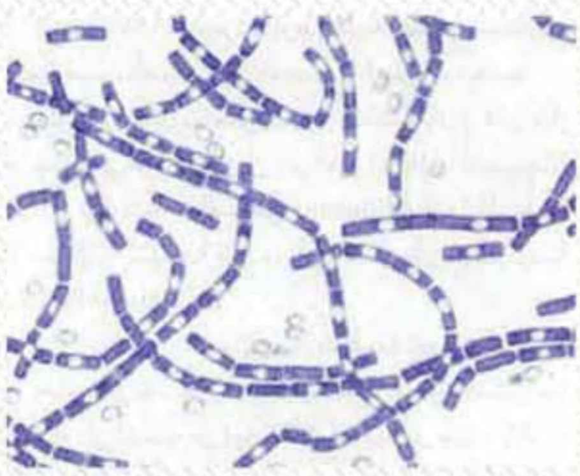


رسالة ملوثة بمسحوق الجرثومة الخبيثة أرسلت إلى السيناتور داشل

كيف ينتقل المرض؟

تُحدث البكتيريا ثلاثة أشكال مختلفة من الجمرة:

الجمرة الجلدية: Le Charbon Cutané تصيب البكتيريا جلد شخص به جروح مفتوحة عبر اتصاله بأنسجة حيوان مصاب أو وبر أو صوف أو منتجات مصنوعة من مواد حيوانية أو تربة تعيش فيها حيوانات مصابة أو من جراء لسعة الذباب الذي يتغذى على الحيوانات المصابة. ففي حالة عدم التطبيب تصل نسبة الوفاة من ٥ إلى ٢٠ بالمئة، إلا أن هذه النسبة تتراجع عند العلاج المبكر الملائم.







صور للجرثومة بعد تلوينها بأزرق المثيلين



آثار الجمرة الجلدية Anthrax cutané

الجمـرة الرئوية: Le Charbon Pulmonaire تنتج من استنشاق بكتيريا (حـية أو في حالة بوغ) خـلال مزاولة بعض الأعمال، كدباغة الجلود، ومعـالجة الصوف، فتسبب حمى، وصدمات، ثم الموت بعد فترة قصيرة.

الجمـرة المعوية: Le charbon intestinal تنتج من هضم لحـوم نيئـة ملوثة أو غـيـر كاملة الطـهي أو الجيـلاتين المشـتقـة من دقيق العظام، فـتحـدث تسمـماً بالدم وحـمى... غالباً ما تفضي إلى الهلاك.

ما الأعراض الناتجة من الإصابة بالجمرة الخبيثة؟

يصـعب تمييـز أعـراض الجـمـرة الخـبيـثـة لتشـابههـا وأعراض أمـراض أقل خطورة كالزكام، كـما تـخـتلف أيضا حـسب نوع الإصـابة. فـالأقل خطورة هي الجـمـرة الجلدية التي تحدث في البداية حكة فـي موضع الإصابة، ومع تكاثر البكتيريا داخل الجسم يتطور المرض بسرعـة مذهلة، فتفرز الأبواغ السـمـوم مـسـبـبـة نـزيفـاً داخلـيـاً، ووذمـة رئوية Oèdeme Pulmonaire (تراكم مـائع مـائي مـوضـعـي مفـرط خارج الخلايا في الجسم مـسبب انتفـاخ جزء منه في أثناء الالتهاب)، ونخر Gangrène (موت أنسجة الجسم)، وفشل في مـختلف الأعضـاء، وصدمـات، ثم الموت المفاجئ بسبب نقص في الأكسجين.

كيف تستعمل الجمرة كأداة حرب؟

من مـسـاوئ هذه الجـرثومـة استـخـدامـهـا في الحـروب البـيـولوجـية منذ الحرب الـعالمـية الـثـانيـة، حين بعـثـر اليـابان ١٣٠كـيلوغـرامـاً من العـصـيـات على الصين. وقـد أشـارت المنظمة العالمية للصحة أن نشر ٥٠ كيلو غراماً من بوغ بكتيريا الجمرة الخبيثة على جبـهة ٢ كيلومتر من مدينة بـها ٥٠٠ ألف

نسمة قد تقضي على ٩٥ ألف منهم. وإذا فجرت قنبلة نووية تزن ١٢.٥ كيلو طناً على مدينة، فيمكن أن تسفر عن قتل ٨٠ ألف نسمة، بيد أن ١٠٠ كيلو غرام من أبواغ الجرثومة الخبيثة يمكنها أن تقضي على مليونين من الأشخاص. وقد قامت بعض الدول في إطار تحسين ترسانتها العسكرية مثل إنجلترا، والولايات المتحدة، بتجارب في جزيرة كرينارد ilc Gruinard بأسكتلندا ولوثت ٤ هكتارات من الأراضي.

وتقوم الفكرة بترويض بعض اللمات Souches من الجرثومة Bacillus Anthracis الخبيثة وإحداث طفرات وتغيرات جينية بها؛ لتقوية فعاليتها وحدتها وجعلها أكثر مقاومة إزاء الأدوية المكتشفة لدرجة يصعب على المتخصصين إيجاد علاج في أثناء الهجوم، وهو ما يعرف بأسلحة الدمار الشامل. كما يسهل تحضيرها في ظروف جد بسيطة دون نفقات باهظة حيث سميت (القنبلة الذرية للدول الفقيرة) ونشرها في الهواء أو الماء أو تلوثها للمحاصيل الزراعية للأعداء، ولصغر حجمها يمكن لأي فريق عسكري أن يرشها على شكل بخاخات Aé-rosols، في عام ١٩٧٩م، وفي مدينة Sverdlovsk بالاتحاد السوفييتي السابق حدث انفجار في مركب عسكري نتج منه تسرب بعض ميلي غرامات من البكتيريا لقي على إثره ٦٩ شخصا حتفهم نتيجة استنشاقهم للبكتيريا.

في عام ١٩٩٧م ضرب المرض قرية بغانا بسبب تناولهم لحماً مصاباً، فأصيب ١٨٥ شخصاً، ٢٦ منهم لقوا حتفهم.

وتستخدم بكتيريا الجمرة الخبيثة كذلك كعمل إرهابي مثل ما حدث في مارس/آذار من عام ١٩٩٨م عندما أعلنت حالة طوارئ في وكالة مالية في Phoenix بالولايات المتحدة الأمريكية نتيجة طرد بريدي ملغوم بأبواغ جرثومة Bacillus Anthracis.

البروتينات والأجسام المضادة الصناعية

أمام خطر تفاقم الإصابات وانتشارها بين السكان لجأ العلماء إلى البحث من أجل اكتشاف وسائل جديدة لإيقاف الداء، كتصنيع أجسام مضادة وبروتينات صناعية للحد من انتشار التوكسين الذي تفرزه هذه الجرثومة لاستعمالها كبديل للقاح. خلال السنوات الأربع الفارطة اتجه الطبيب الإحيائي George Deorgiou وفريقه من جامعة تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تصنيع ملايين من الأجسام المضادة لكبح جزء من التوكسين الذي يخترق غشاء الخلايا، فكانت النتائج جد مشجعة بحيث تم تجميد التوكسين والحيلولة دون اختراقه للخلية وتغيير استقلابها. فيمكن حقن هذه الأجسام المضادة كعامل إضافي لجهاز المناعة إضافة إلى المضادات الحيوية التي تعطى للمصاب لاحقاً.



البحث عن الجمرة الخبيثة



أبواغ جرثومة الجمرة الخبيثة



وقاية فائقة عند التخلص من مسحوق الجمرة الخبيثة

من جهة أخرى قام الدكتور John Collier بيولوجي بالمدرسة الطبية بهارفارد بالولايات المتحدة بتطوير بروتينات صناعية تحارب الجمرة الخبيثة. إلا أن كل هذه المواد الصناعية جربت فقط على الفئران، وقد يتطلب وقت لكي تعطي نتائج مرضية على الأشخاص.

هل يمكن علاج الجمرة الخبيثة؟

تشخيص المرض جد صعب؛ وذلك للأعراض المبهمة المعالم والشبيهة لأمراض أخرى، إلا أن

العلاج يجب أن يبدأ في المراحل الأولى للمرض أو حتى في أثناء الشك بالإصابة، إذ يكمن العلاج في استعمال المضادات الحيوية Antibiotiques على الرغم من كون الجرثومة جد مقاومة لكثير منها، وينصح باستعمال البنسلين Piniciline ودوكسيسيكلين Doxycycline (فعال في تجارب على الرئيسات)، كما وضعت أدوية أخرى رهن الإشارة بعد تحسين فعاليتها مثل Ofloxacine ،Lévofloxacine, Tétracyclines،Erythromicine, Chloramphénicol...

يعدى الشخص عن طريق:

التنفس

عصيات الجمرة الخبيثة

الأكل

جروح اليد

عادة تخص بكتيريا Bacillus amthracis القطعان من المواشي خاصة آكلة العشب، كما تتواجد في التربة

والأشخاص المعرضون للبكتيريا يجب عليهم أخذ مضادات حيوية مدة شهرين.

وقد تزايد الطلب على منتجي الأدوية خاصة المضادات الحيوية، فقد أعلنت شركة Bayer عن عزمها على زيادة إنتاج Cipro الدواء الوحيد الذي وافقت عليه إدارة الأغذية والعقاقير (FDA) : Food and Drug Administration لعلاج الجمرة الرئوية الخبيثة. كما دعا بعض المسؤولين إلى إلغاء قوانين الامتياز والبتانتا لتسهيل صناعة مختلف الأدوية. وهكذا استقبلت الشركة الصيدلية الألمانية طلبات تصل إلى ٢٠٠ مليون جرعة من Ciprofloxacine.

اللقاح

يكمن اللقاح في استعمال بكتيريا ميتة أو ضعيفة أو أجزاء منها أي شبيهة بالجرثومة إلا أنها فقدت حدتها بعد معالجتها. وحتى الآن يخصص اللقاح للجنود، وللعاملين في المختبرات، و البياطرة الذين يمثلون فئات ذات تعرض. ويكون ناجعاً إذا لقح قبل شهر من الإصابة بالبكتيريا، وأن تراوح سنه بين ١٨ و٦٥سنة، كما يجهل تأثيره في الجنين، لذا لا تنصح النساء الحوامل باستعماله. ويكون التطعيم باللقاح على مراحل: ثلاثة لقاحات كل أسبوعين، ثم ثلاثة لقاحات إضافية متباعدة كل ٦، ١٢، ١٨شهراً. كما يستوجب إجراء لقاحات للتذكير كل سنة لاستمرار مناعة الجسم، حيث تصل نجاعته إلى ٩٣٪ .

الوقاية من المرض

- الحد من انتشار أبواغ البكتيريا هذه خاصة الجوفية، وترتكز على تنقية الأماكن المتوافرة فيها الجرثومة بتسخين تربة الأرض على عمق ١٠سم بحرارة ٣٠٠ درجة مئوية.
- الحد من تلوث الأماكن الخارجية، ومنع تشريح جثث الحيوانات المصابة في الهواء الطلق، ويتحتم حرقها أو دفنها في حفرة على عمق مترين على الأقل مع الجير الحي.
- إخبار الأشخاص الذين يتعاملون مع مشتقات الحيوانات، الوبر، والصوف، ودقيق العظام.
- لجوء بعض الصحف العالمية إلى الامتناع عن تسلم الطرود البريدية العاديةخاصة الموجهة إلى المديرين أو الأقسام الحساسة.

المراجع

- د. يونس وهبي: كتاب أنت والسيدا ,٢٠٠١

-TEYSSOU (R.), HANCE (P.) et BUISSON (Y.) : Les infections humaines à Bacillus. Bull. Soc. Fr. Microbiol., 1998, 13, 137-144.

RAMISSE (F.), HERNANDEZ (E.) et GOASDOUE (J.L.): Bacillus anthracis et guerre biologique. Bull. Soc. Fr. Microbiol., 1998, 13, 145-151.

-http://www.bt.cdc.gov/agen /Anthrax/Anthrax.aspf

-http://www.vdh.state.va.us/spanish/anthraxf.htm

-http://www.members.es.tripod.de/MundoBiotek /anthrax.htm

http://www.terrorismfiles.org/weapons/anthrax - biological - warfare agent.htm

-http://www.bacterio.cict.fr/bspo ico/bb/anthracis.html http://news.bbc.co.uk/hi/spanish/forums/newsid -1613000/ 1613868. stm

أدوية من صنع الله

ترجمة: سعد بساطة
حلب - سورية

يعتمد الناس في شتى أنحاء العالم على المواد والعناصر الطبيعية لمداواة الحالات المرضية التي تلم بهم. ومن الممارسات الاستثنائية القديمة المعتمدة في جيورجيا منذ قديم الأزمان أكل الصلصال الأبيض لمحاربة الإقياء الصباحي عند الحوامل.

ويحذر الأطباء من هذه الممارسة إلا أن بعض النساء يلتمسها وخاصة خلال فترة الحمل.

صيدلية في الهواء الطلق

مع أن استعمال الأعشاب في التداوي ليس جديداً، ومع أن الكتب المتداولة ضمن هذا العنوان ليست قليلة، إلا أن مجلة «ناشيونال جيوغرافيك» سلطت الأضواء بقوة على ممارسات من مختلف دول العالم الشرقية منها والغربية، المتقدمة والنامية، حول موضوع التداوي بالأعشاب.

ومن ذلك أن طفلة أمريكية اعتمد شفاؤها من سرطان الدم (اللوكيميا) على عقار فينكريستين المصنّع من نبتة الرنكة المزهرة المستوردة من جزيرة مدغشقر، علماً بأن معدّلات النجاة من هذا المرض باتت تفوق ٩٠٪.

أما الفينيلاستين، وهو دواء يصنع من النبتة ذاتها فيساعد على شفاء أغلب حالات داء هودجكنز.

والطريف أن نباتات مثل الرنكة، ساهمت في تطوير من ٢٥ - ٥٠٪ من أدوية الوصفات المتداولة في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك عن طريق إنتاج مركبات صنعيّة من النباتات لتحضير نماذج كيماوية حيوية مستعملة في معالجة علل القلب المزمنة، والاضطرابات التنفسية وغيرها.

ولكن وبشكل عام فلقد حصل تطور طفيف للغاية في





ثلثا سكان العالم يعتمدون على النباتات في الاستشفاء

العقاقير المعتمدة على النباتات وذلك في فترة الأربعين سنة الأخيرة، وخلال هذه الفترة أجازت إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية FDA، أقل من ١٢ دواء من الأدوية المستخرجة من النباتات.

إن أحد الأسباب الرئيسة هو أن أي دواء تقره الـ FDA يكلف ما يقارب الـ ٥٠٠ مليون دولار، لذا وجد المصنعون أن الطريق من النبات إلى حبة الدواء الآمن غير معروفة العواقب، فهنالك حوافز محدودة لتطوير الأدوية بالاعتماد على النبات. وعلى الرغم من ذلك، فإن حوالي ثلثي سكان الكرة الأرضية البالغ تعدادهم ما يقارب الستة مليارات نسمة يعتمدون على قوة الشفاء العجيبة الموجودة لدى النبات، حيث لا يتوفر لديهم أي بديل آخر متاح.

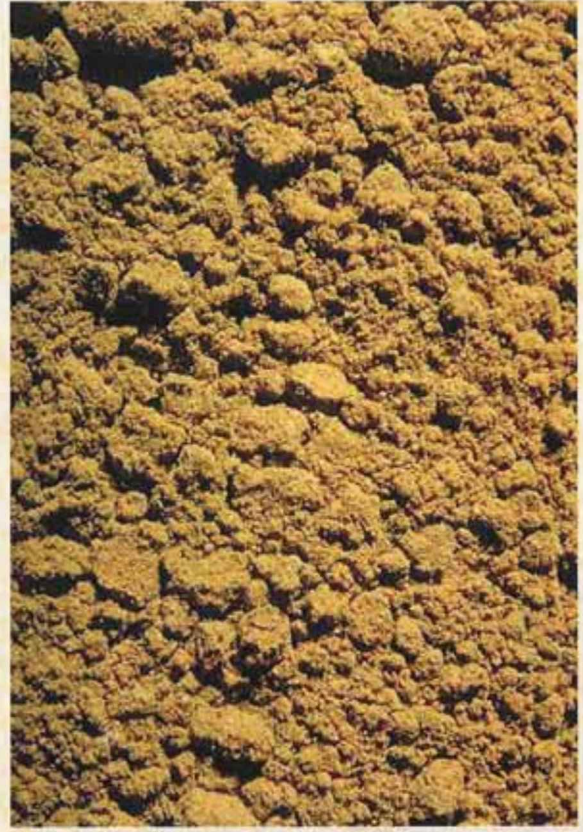
وحتى في البلدان الصناعية التي تتوافر فيها الأدوية المصنعة بشكل علمي، فقد أنفق الأمريكيون ما يقارب الـ ١٠٣ مليارات دولار على أدوية الوصفات عام ١٩٩٨م، على الرغم من أن استعمال الأدوية النباتية في تصاعد مستمر، ففي العام ١٩٩٠م قام ٢.٥٪ من الأمريكيين بشراء أدوية عشبية، في حين بلغت النسبة ١٢٪ في عام ١٩٩٧م وذلك بإنفاق كلي بلغ ٥ مليارات دولار.

أما السؤال المطروح هنا: ما نسبة النقود التي أنفقت بحكمة؟ فهذا موضوع آخر.

ومع أن كثيراً من النباتات أصبحت هدفاً لدراسة متعمقة، ورصد تأثيراتها، إلا أن البيانات حول الكثير الباقي لا تزال غير حاسمة أو مكتملة.

ولا يزال العلماء في حيرة حول المادة أو توليفة المواد الكيماوية، ضمن النبات، المسؤولة عن الشفاء من الألم، أو المحرضة على تدفق الدم وتكوين الشعور المتزايد بالصحة. وفي رأي الباحثين فإن محاولة إيجاد جزء النبات ذي التأثير الفعال، تبدو كمحاولة فك أجزاء من جهاز المذياع لمعرفة أيها المسؤول عن إصدار الصوت!.

وعلى أية حال فالنباتات تحوي كيماويات فعالة وحيوية، والكثير منها ذو تأثيرات علاجية مفيدة، ولا يمكن إنكار مفعولها، وفي هذا الصدد يبدي أرنولد ريلمان رئيس تحرير مجلة «نيو انجلند الطبية» الشهيرة الذي هاجم الأشكال الكثيرة من الأدوية البديلة لكونها تعتمد على تفكير غير عقلاني، أو على نظريات تخرق المبادئ العلمية الأساسية، شكوكه حول العلاج المعتمد على المنتجات النباتية، وفي



التركيبة الكيماوية للنباتات معقدة جداً

تصوره أنه يجب ألاّ يكون في حالة منافسة مع أدوية الاتجاه السائد، ولا بد أن يتكاملا لمصلحة المريض في النهاية.

ومع أن كثيراً من المواد المستخرجة من النباتات أثبتت بأنها ذات تأثيرات بيولوجية مهمة، إلا أن ريلمان يصر على الفحوص والتجارب العلمية قبل أن يقتنع بأي دواء نباتي، علماً أن الناس يستخدمون مئات من النباتات، ولم تخضع كلها للبحث العلمي، وذلك للتغلب على أمراض تراوح ما بين الرشح والسرطانات.

نباتات طبية

الثوم مثلا يحتوي على: الأليسين، تلك المادة الكيماوية ذات التأثيرات المضادة للفطور والتي تحوي مضادات حيوية، بالإضافة إلى مواد تخفض الكوليسترول وتحارب الضغط العالي.

أما الزنجبيل فيحتوي على عشرة مركبات مضادة للفيروسات على الأقل، وقد أثبتت الدراسات أنه يخفض من الدوار والدوخة الناتجة من الحركة والسفر.

وتشير الإحصاءات إلى أن الرنكة الزهرية، تلك النبتة المهمة لمعالجة سرطان الدم الذي ألم بأودرا، هي أحد ١٠٫٠٠٠ مركب من فصائل النباتات المعروفة في مدغشقر. وكثير من تلك الفصائل غير موجود في مكان آخر من العالم.

وكما أوردت المجلة الأمريكية المذكورة فإن الباعة المتجولين في أسواق مدغشقر يمثلون المصدر الرئيس للعلاج بالنسبة إلى السكان المحليين، ولا يقتصر عملهم على بيع النباتات الدوائية، بل يقومون بدور الطبيب المعالج في تشخيص المرض وطلب الوصفة. إن عملهم يعتمد على الخبرة، والتجربة بطريقة الصح والخطأ، مع العلاجات النباتية بواسطة طرق متوارثة من جيل إلى آخر. إن وصفاتهم أكانت بمحلها أم لا، يمكن أن تحدد الخط الرفيع الفاصل بين الموت والحياة. وكما هو منطقي فإن النبتة المستخدمة لتعديل ضغط الدم العالي، إذا استعملت بجرعات عالية، تُعدّ سماً يمكن أن يستخدمه بعض الناس للانتحار.

في أرياف مدغشقر يستشير الناس المداوي عادة، وهو معروف لديهم باسم «أومبياس»، ولديه علم بالنباتات ويعرف النتاج الصنعي المستخدم لتحضير قدراتها العلاجية.

الشيء المؤسف في مدغشقر، هو أن آلافًا من أصناف النباتات مهددة بالانقراض، وقد قال أحد السكان المحليين: إن ما كان يومًا ما غابة ممطرة، قد أصبح «صحراء» ممطرة الآن، ذلك المكان الذي كان آية بالجمال بفترة طفولته، بات غابة تلعب فيها مختلف أنواع الحيوانات.

بقيت الزهرة الأرجوانية في الغابة، هذه النبتة تُسحق وتُغلى فتقوم بعمل مخدر، أما الكيماويات في نبات آخر فإنها تقتل فيروساً بعينه. يتحدث وليام شكسبير في رائعته روميو وجوليت عن: «القدرات الهائلة التي تكمن في الأعشاب الطبية» لقد أصبح واضحاً أن الترسانة القوية للنباتات بموادها الفعالة، قوامها المركبات التي تؤثر في الخلايا الحية، ويمكن أن تكون ذات قدرة فعالة في الحرب المستعرة ضد الأمراض البشرية.

خيبة أمل

ومع أن كاتب مقالة الناشيونال جيوغرافيك يروي أمثلة عن أناس مرضى تمت معالجتهم بالنباتات فأدت إلى شفائهم، إلا أنه يروي كذلك أمثلة عن أشخاص لم تؤد النباتات في مدغشقر إلى تخفيف آلامهم، ومن الأمثلة على ذلك مرضى الملاريا فالدواء النباتي المستعمل هو العقار الوحيد المضاد للملاريا الذي يحصلون عليه، يغدو في أغلب الحالات عديم الفائدة؛ لأن الطفيليات تطور نظاماً للمقاومة تجاهه.

يجب أن يتناول المريض جرعة قدرها ١٥ حبة خلال ثلاثة أيام، وذلك لقتل الطفيليات الحساسة تجاه الكلوروكين، ولكن الباعة الجوالين كانوا يبيعون كل حبة بمفردها، من دون الرجوع إلى وصفة أو إلى طبيب، وبسعر يعادل



يبدع الإنسان في صنع الدواء من الأعشاب والنباتات

أجرة يوم كامل بالنسبة إلى العامل العادي، ويميل الكثير من الناس إلى هذه الحبات مفضلين إياها على العلاجات التقليدية، لكون تأثيرها فعال وسريع. ولكن وبعد بضع جرعات فقط، يغدو أغلب الناس بلا نقود، أو يشعرون بتحسن، ومن ثم يتوقفون عن متابعة العلاج، عندها تتكرر أطوار المرض بعد أيام قليلة، ليصبح جسدهم معملاً لإنتاج الطفيليات المضادة للعقار.

وهنالك عدد من الصعوبات التي تحد من إمكانية الاستفادة من هذه النباتات، ففي بعض المرات تبدي نبتة معينة فعالية جيدة تجاه السرطان مثلاً، إلا أنها لا تبدي المفعول ذاته في المرات الأخرى.

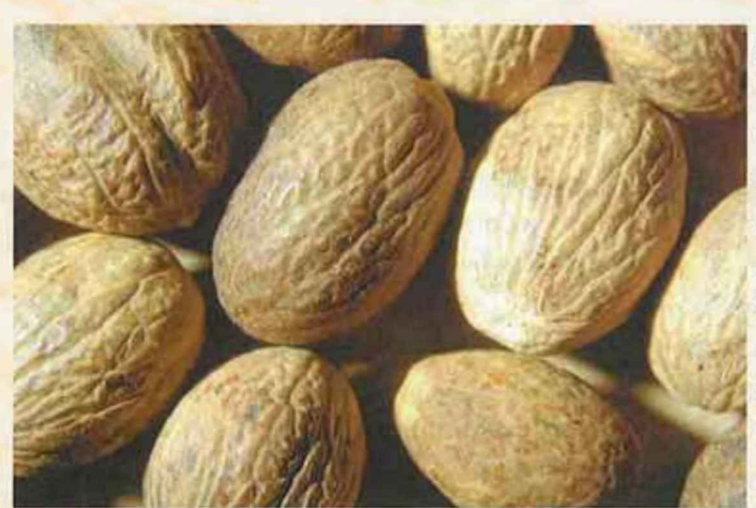
لدى بعض أصناف النباتات أنواع أضيق، أو تشكيلات مختلفة لم يجر تحديد الكثير منها بعد، بالإضافة إلى أنه حينما نقطف أجزاء من النبتة يجب تحديد زمن القطاف، فتركيبة الكيماويات فيها تختلف من الليل إلى النهار. وهنالك عامل آخر، هل النبات فتي أم هرم؟ و ماذا ينمو بجواره؟

إن للنبات بوضعه التقليدي عدداً كبيراً من الخلايا الفعالة، وتتصرف الكيماويات بمبدأ الفعل ورد الفعل بعضها مع بعض، ففي بعض الأحيان يزيد أو يتناقص تأثيرها في الخلايا البشرية، إن العلماء الذين يستخدمون تقانات حديثة هم بحاجة لدى تصنيعهم للدواء إلى مركب فعال وحيد، إنهم يحتاجون إلى معرفة ما هية المادة الفعالة ضمن الدواء بحيث يتم تقييسه ووزنه والتأكد من خواصه السمية.

المحافظة على توازن الجسم

في الهند هناك نظام للمعالجة يدعى «أيورفيدا» ويعود هذا إلى بضعة آلاف من سنوات خلت، إذ يستخدم ممارسو هذا النظام ٢٠٠٠ صنف من النباتات بشكليها المزروع أو البري، وذلك في كل أرجاء شبه الجزيرة الهندية، ولا يركز هذا النظام على العقاقير التي تقتل الميكروبات المتسببة بالأمراض، ولكنها تعمل وفق مبدأ (المحافظة على توازن الجسم) كما يقول فيجاي كنيرا المدير الطبي في مستشفى «كوسل» وهو أحد مراكز ممارسة الآيورفيا في دلهي.

يقول كنيرا: «إنه من الطبيعي للغاية ألا نحارب



لبعض النباتات فائدة طبية إلى جانب نكهتها ورائحتها الطيبتين



الثوم والزنجبيل من أكثر النباتات استخداماً في الاستشفاء

الأمراض ولكن أن نهدف إلى حفظ الصحة ومنع سيطرة المرض على الجسم». ولدى سؤاله عن كيفية محاربته للملاريا التي تعدّ بحكم الجائحة في الهند، أجاب بقوله: «إن المعالجة لا تقتل الطفيلي، ولكنها تنحو للمحافظة على توازن الجسم».

يقول محرر المقالة «بالنسبة إليّ لقد بدا ذلك سخفاً، إذ إن بروتوزونات الملاريا تسيطر على خلايا الدم الحمراء، لم لا نحاول قتلها؟ وفي الواقع وعلى الرغم من موت الكثير من الأطفال في الهند، فإن الكثير من البالغين يعيشون مع المرض، مطورين نظام مناعة معينة، ويصابون بالمرض لماماً فقط».

يوضح كنيرا «بواسطة الأدوية الغربية نهاجم الطفيلي،

بينما نبني أسلوبنا عند معرفة أن عدداً من الأمور المؤذية مستقبلا يتعايش مع الجسم البشري طوال الوقت. إن الكثير من الناس يتعرضون للملاريا ولا يصابون بالمرض، إننا نستعمل النباتات لتقوية الجسم ورفع قدراته لأن يتعايش مع طفيلي الملاريا!. عند تذكري الأطفال الذين يموتون بسبب الملاريا في مدغشقر، ما زلت راغباً في قتل الطفيلي، ولكن بوسعي الآن رؤية الإمكانات الأخرى».

السيد شانكار هو رئيس مؤسسة تنشيط تقاليد الصحة المحلية الهندية، ذلك البرنامج الذي ينحو لحفظ النباتات الطبية والتقاليد المرتبطة بها في الهند، وقد اصطحب كاتب المقالة معه عبر حديقة النباتات الطبية في قرية «جوداجيت» قرب بانجالور إذ يعتمد المداوون على الخبرة المتوارثة، فقابل ثلاثة منهم، كلهم مختصون، أحدهم يعالج الحروق، والثاني لسعات الأفاعي، والثالث حالة الجلد.

آخرهم كسر سويقة نبات وأخرج النسغ، ذلك السائل اللزج منه، وهو ذو تأثيرات يستعمل مضاداً حيوياً، قائلا: «يجب تكريم هذا النبات كما نكرم بنك الدم»، وعلق شانكار قائلا: «إن تقدير مقام وحفظ علوم المداوين القدماء هو من الأهمية بحيث يعادل المحافظة على تلك النباتات، فقد أدرك العالم أنه يجب أن يكون مهتمًا بحفظ التنوع البيولوجي، ولكن العلم بطرق استعماله هو بنفس الدرجة من الأهمية، فلو محيت أنظمة العلوم المحلية، عندها تختفي آلاف من سنوات البيانات المجربة والمدروسة والخبرة الثمينة معها».

يتعرض في تلك القرية آلاف القرويين للأفاعي السامة، وعلى الأخص خلال موسم حصاد الرز، والعلاج الرئيس المستعمل هو سحق النباتات لتصبح عجينة، إنه العلاج الوحيد المتوافر هنا ضد لسعات الكوبرا.

أما الترياق فيتم بواسطة أجسام الضد التي ينتجها الخيل، وهذه أغلى من أن يستطيع القرويون الحصول عليها، ولكن يجب تأمينها بأسرع ما يمكن، فإن أقرب مستشفى هو على بعد ثلاث ساعات بالسيارة، علماً أن أحداً في القرية لا يملك سيارة.

ولدى كل من القرويين قصة تروى حول نجاة صديق أو أحد أفراد العائلة، من التسمم وذلك بابتلاع أدوية المداوي بعد لسعة أفعى.

إن التركيبة الكيماوية للنباتات معقدة جداً، وحتى باستعمال التقنيات الحديثة لا يدري العلماء أيًا من النباتات عليهم أن يجمعوا، وفيما إذا كان المداوي التقليدي قد أضاف إليها مكونات عشبية أو أخرى كيماوية للعلاج.

كانت تلك الأسباب هي تفسيرات توضح لماذا لم تنفق شركات الأدوية مبالغ باهظة من المال في موضوعات البحث والتطوير للمنتجات الطبيعية، ولماذا تركز أغلب الوقت على الأبحاث الجينية وتصميم العقاقير بشكل صنعي: في البداية يجب فهم العملية الباثولوجية التي تسبب المرض، ومن ثم تصميم مركب يعالج ذلك المرض. وهذا لا يعني بالضرورة أن الباحثين قد أهملوا بشكل مطلق المحاولات لإنتاج أدوية ناجعة من النباتات.


سحق النبات وإعداده ليكون دواء

حاز «باروخ بلومبيرج» في عام ١٩٧٦م على جائزة نوبل في الطب لأعماله في مجال الأمراض الفيروسية الإنتانية، وكان ضمن إنجازاته اكتشاف مولد الضد أو مؤشر على سطح خلية فيروس التهاب الكبد - نوع ب، وقد قاد هذا الاكتشاف إلى تطوير لقاح المرض.

إن لقاح بلومبيرج ينتج بشكل صنعي، ولكنه وفريق العمل أملوا بمعالجة الناس المصابين بهذا المرض، ودرسوا لاحقًا مئات النباتات التي يستعملها المعالجون التقليديون عبر العالم لمحاربة اليرقان أحد أعراض المرض. لقد استخرجوا مواد كيماوية من Phyllanthus amarus أحد فروع الأدوية الـ Ayurvedic في الهند. وقد عملت تلك المواد على الفيروس ضمن الفحوص المخبرية التي أجريت على الحيوانات، وأوقفت



أنواع مختلفة من الأعشاب الطبية المستخلصة من النباتات جاهزة للاستخدام

تطوره، تكررت هذه النتيجة نفسها خلال التجارب السريرية على مرضى في الهند.

وعندما كرر التجربة باحثون آخرون، كانت نتائجهم غير مقنعة، وقد يُعزى الاختلاف في فعالية النبات لعوامل تختلف حسب مكان نمو النبات ومواعيد قطافه؟.

لدى سؤال بلومبيرج عما إذا كان يعتقد بأنه يمكن تطوير الدواء الحديث باستخدام عقاقير موثوقة مستخرجة من النباتات، أجاب بالإيجاب، وأفاد بأن الوقت قد أزف للإنصات إلى الطبيعة للحصول على كل خيراتها، ويجب أن يبقى العلم منفتحًا تجاه عطاياها، فهو يرحب بكل البراهين والحقائق والطرائق الجديدة للتفكير، وليس هناك حقائق نهائية فالبحث و الاكتشاف مستمران.

أدوية الطبيعة في نشاط دائم

لعل أطرف ما جاء حول هذا الموضوع حادثة بمنزلة برهان عملي على الأقوال السابقة، ولقد صوّرت في إحدى العيادات بمدغشقر الخليط الفريد ما بين الوسائل الريفية التقليدية والعقاقير الغربية الحديثة، ولكن الأمر احتاج لأن يشهد الكاتب بأم عينه حالة إسعاف كي يلمس التعاون بين النظامين.

لقد بدأت بصرخات يجمد لها الفؤاد، حين اندفعت فلاحة حاملة طفلتها المصابة بحروق جسيمة، أوضحت الأم أن الطفلة قد أسقطت قدراً من الماء الغالي على بطنها فيما كانت تلعب في فناء الدار، فحص الطبيب - خريج المدارس الغربية الحديثة - بطن الطفلة والمغطى بالبثور، وشخص الإصابة بأنها حروق من الدرجة الثالثة، بعدها اتصل بالمداوي التقليدي وهو مختص بعلوم النبات، وهذا بدوره ترك العيادة على الفور، ليجمع بعض النباتات اللازمة من الغابة القريبة. قلقنا هل ستنجو تلك الطفلة؟ فحتى باستعمال


يلتمس الإنسان وسائل علاجية مختلفة لتفادي آثار المواد الكيماوية

الوسائل الحديثة المعقمة فالحظوظ بالنجاة قليلة عند مثل درجة هذه الإصابة.

عاد صاحبنا بسرعة مع غصن من النبات المتسلق المتعرش، ونفخ فيه من الطرف الأول مجبراً النسغ اللزج على أن يندفع من الطرف الثاني، وعندما غلف حروق الطفلة، توقفت صرخاتها بشكل مفاجئ.

قام المداوي بكشط القشر لاحقًا عن اليقطينة، ومزجه بالماء، ثم مسح جسمها بالسائل، وبالمعالجة اليومية بهذا المزيج، تم إنقاذها بشكل كامل بعد مضي قرابة الشهر على الحادثة، وكان ذلك نصراً شخصيًا للمداوي وللطاقات الشافية التي تزودنا بها أمنا الطبيعة.

كان أحد السباقين في هذا المجال من الأبحاث هو «جيم دوك» عالم النبات الذي تقاعد مؤخراً من وزارة الزراعة الأمريكية، بعد ثلاثة عقود من دراسة النباتات الطبية ومؤلف كتابي: «الصيدلية الخضراء»، و«٢٠٠٠ سنة من طب الأعشاب». في حديقته من النباتات الطبية في المنطقة الريفية من ميريلاند في ولاية غطت مئات من النباتات الهضبة التي تهبط إلى الجدول، حيث يتجاوز ارتفاع بعضها عشر أقدام، في حين تزحف نباتات أخرى على الأرض بعضها ملون ولماع، والباقي قاتم.

أنشأ دوك في قبو بيته بنكًا لتلك النباتات وأرشيفًا ذكر فيه استعمال كل منها.

عندما يلج بنك البيانات الخاصة به، يرى محاربة مادة الـ Isoflavones الموجودة في فول الصويا لسرطان الثدي، وكيف تحوي مركبات تتسبب في استرخاء خلايا العضلات الطرية، مخففة من ألم الصدر أو الخناق الصدري الذي يسببه تصلب الشرايين.

كانت إحدى مهام دوك هي جمع البيانات للمساعدة على التغلب على المقاومة التي تجابه استخدام الأدوية العشبية والنباتية، وقد أبلغته عن المرأة التي تعاني التهابًا حادًا في المفاصل، وكان الدواء الذي تتعالج بواسطته يتسبب بضيق بالنفس ونزف أحيانًا، عندها اقترح صديق نباتات معينة كعلاج، ولكن المرأة رفضت تجربتها لكونها ليست علمية أو طبية، لقد فضلت قرص الدواء. أشار دوك إلى أنه إذا كان لتلك الحبة الصغيرة البيضاء قدرة على إغلاق المنافذ أمام تطور السرطان، أو الأزمات القلبية، والمعاناة من النوبات، فالناس سيقدمون عليها، ولا سيما إذا لم يكن لها تأثيرات جانبية.

وبالواقع فتلك الحبة موجودة فعلا وتدعى «أكل الفواكه والخضراوات يوميًا» لقد بدأ العلماء بتحديد منظمات إفراز الهرمونات، ومزيلات السمنة، ومضادات الأكسدة، والمواد الأخرى بالأطعمة والتي تخفف أو تمنع خطر الأمراض المختلفة.

قال دوك: «يمكن المزاوجة بين العلم وعلوم النبات، وهذا سيقدم عقاقير أفضل مما لو كنا نعتمد على الأدوية المصنعة فقط، فبواسطة العلم نفحص النبات لمعرفة أيها يعمل أفضل، وهذا الطرح ليس مفاضلة بين العلم والطبيعة، بل هو كيف نستعمل العلم للحصول على أفضل الأدوية سواء، أكانت طبيعية أم صنعية.

إن طموح حياته أن تتطلب الـ FDA (منظمة الأدوية والأغذية الأمريكية) تجريب الأدوية الصنعية الجديدة تجاه كل بديل نباتي متوقع، وبذا نحصل على ما تقدمه الطبيعة دون أن نتخلى عن الأسلوب العلمي».

لدى العودة إلى حديقة دوك، تلمح ما يمكن أن تعدّه نبتة غريبة، فإذا هممت باقتلاعها، ينهاك بلطف، فهي نبتة الهندباء البرية Chicory، والتي تحتوي على حمض الشيكوريك، تلك المادة الكيماوية التي تبشر بالخير في الصراع ضد الفيروس المرتبط بمرض الإيدز.

مصادر الصور: أرشيف الفيصل.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٠٤)

شوال ١٤٢٢هـ - ديسمبر ٢٠٠١م / يناير ٢٠٠٢م

الفائز الأول: **محمد الدسوقي السيد عياد - طنطا - مصر.**
الفائز الثاني: **خليفة خليل حسن - الدوحة - قطر.**
الفائز الثالث: **غازي جميل الكحلوني - دمشق - سورية.**
الفائز الرابع: **فؤاد البكري - تمارة - المغرب.**
الفائز الخامس: **وفاء محمد عبدالله - إربد - الأردن.**
الفائز السادس: **عصام عبدالباري هزاع - تعز - اليمن.**
الفائز السابع: **رنا محمد عطية محمد نور - دمشق - سورية.**
الفائز الثامن: **العربي كمال - خريبكة - المغرب.**

حل مسابقة العدد (٣٠٤)

١- قل للمشيرِ إلى أبيه وَجَدِّهِ أعلمتَ للقمرينِ من أسلافِ؟
قائل البيت: هو أحمد شوقي.

٢- قرفة وقرنفل: **رواية شهيرة للروائي البرازيلي جورجي أمادو.**

٣- الزُّباد: **طيب يخرج من غدد بعض الحيوانات.**

٤- ظهران الجنوب: **مدينة في محافظة عسير في السعودية.**

٥- ابن زُهر: **طبيب عربي أندلسي، حارب الشعوذة والخرافات في الطب.**

أسئلة مسابقة العدد (٣٠٧)

ضع علامة ☐ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت:

وإني شقي باللئام ولا ترى شقيًا بهم إلا كريمَ الشمائل

☐ أبو صخر الهُذَلي ☐ الطرِمّاح بن حكيم

(٢) «روبنسون كروزو» قصة من تأليف: ☐ دانيال ديفو ☐ أجاثا كريستي.

(٣) الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني سمي بالنابغة:

☐ لأن قصائده كانت جيدة وطويلة

☐ لأنه قال الشعر بعد أن تقدمت به السن.

(٤) كيل: ☐ قناة تصل بحر الشمال ببحر البلطيق ☐ الموقع الذي انتهت فيه حرب المئة عام بين فرنسا وألمانيا.

(٥) مرصد مراغة الفلكي أسسه: ☐ أبو الريحان البيروني ☐ نصير الدين الطوسي.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

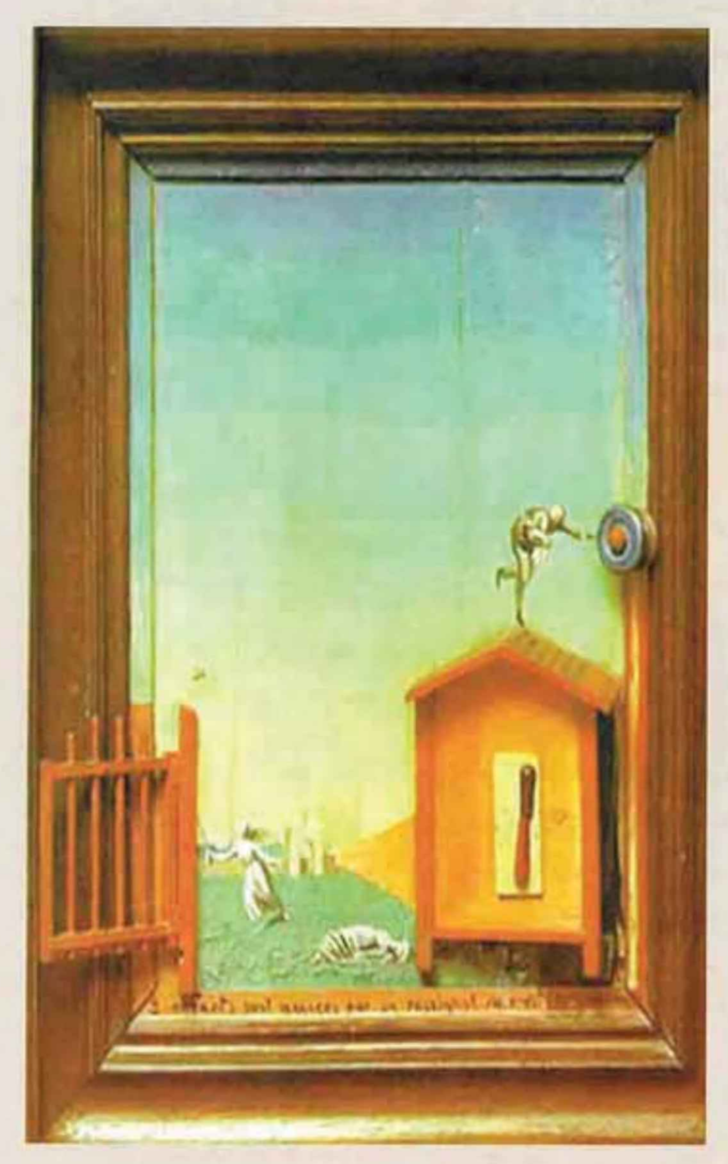
ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوماً، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

العظيمة*

محمد جبر الحربي
الرياض - السعودية



خذي بيدي
فالبلادُ بلادي
وذا النخلُ نخلي،
وشاهدُ رَمْسي.
وذا الماءُ مائي
وذا اليُبسُ يُبْسي
وحتى المساءُ لهُ دفءُ همسي
وحتى النساءُ..
لهن الجمالُ الذي رسمتهُ أناملُ حَدْسي
فقدمتهُنَّ،
وعلَّيتهُنَّ على كلِّ لَبْسِ
فكنَّ الجليلاتِ تاجًا لرأسي
وكنَّ ليَ الفألَ في يوم نحْسِ
وقدْ صنْتُ نفسي
وعلمت نفسي
فرقَّيت نفسي
وأصبحت شمسًا
فلا تطفئي، الليل، شمْسي
خذي بيدي
أخرجيني لبعض الهواءِ
وبعضِ السماءِ
فلنْ يَرْضيَ اللهَ قيْدي
ولن يرْضيَ اللهَ حبْسي

* من قصيدة طويلة للشاعر.

هيَ أنتِ

محمد بن علي المحمود

القصيم - السعودية

أصغي فكلُّ قصيدةٍ برُواتها ... وتأمّلي الوسْنانَ من أبياتها

ما قُلتهُ قالتْهُ ناطقةً به ... وإذا سكتُّ خَبتْ جميعُ لُغاتها

مُرّي بطرْفكِ واعبري أطيافها ... تجِدي أنينَ الوجْدِ في آهاتها

تصحو الظّلالُ المُترعاتُ رُؤى إذا ... سمعتْ صدى المكتوم من أصواتها

هي أنت، والأيّامُ نهرُ طلاسمٍ ... لو تعبُرين بنا على صهَواتها

تخشَين دمعةَ شاعرٍ لم تنسجم ... منّي، فكيف الرّيُّ من عَبَراتها

وتحاذرين قصائدَ العطش التي ... هتَفتْ رياحُ البيدِ لي بحياتها

طربتْ على أمل الحياة، فإنْ ذوتْ ... سكِرَ الثّرى ولَهًا بخمرِ رُفاتها

أصغي اختلاسًا في الظلام وراقبي ... كيف السكونُ يلمُّ من أشتاتها

وتأمّلي ألقَ البدايةِ كامنًا ... فيما بدا لك من سنَا جمَراتها

ما زلتُ أسألُ، لو أجبتِ لقلتِها، ... لو قلت: قد مات الكلام فهاتها

لأتتْكِ يجلُوها الزمانُ على فمي ... كلَّ القصائد أورقتْ بفُراتها

من قبلِها كلُّ القصائد إنما ... تُلِيَتْ على الشعراء من آياتها

جاءت وما حال الجريضُ فأورقتْ ... خضراءَ تاه التّيهُ في غاباتها

لا تُنكري طربي فإنّي لم أذقْ ... إلا خيالَ الراح من نشَواتها

قبل التّكوُّنِ كنتُ أعلمُ أنها ... إمكانُ كونٍ غبتُ عن ميقاتها

شوقي إليكِ إليكما باقٍ، فهل ... تستنْجدُ الأشواقَ مِني بذاتها

أيقظتُ أطيافًا وطفتُ بعالمٍ ... فيه تضلُّ الطيرُ عن وكُناتها

من كلِّ أنثى قد ظفرتُ بنظرةٍ ... عمياءَ تحبو في رحيق سُباتها

طلعتْ على الزمن القصيِّ وقرّبتْ ... من شاطئيه وأحرقتْ سنواتها

فجلوتُ كلَّ جميلةٍ لا تجتلي ... إلا ونارُ الشوق في وجَناتها

حوراءَ ضاحكةَ الشبابِ كأنما ... تتبسّمُ الدنيا على قسَماتها

تتعانقُ الأفراحُ في أهدابها ... وتمايلُ الآمالُ في بسَماتها

تمشي اختيالاً في الأصيل كأنما ... يمشي الزمان على مدى خَطَواتها

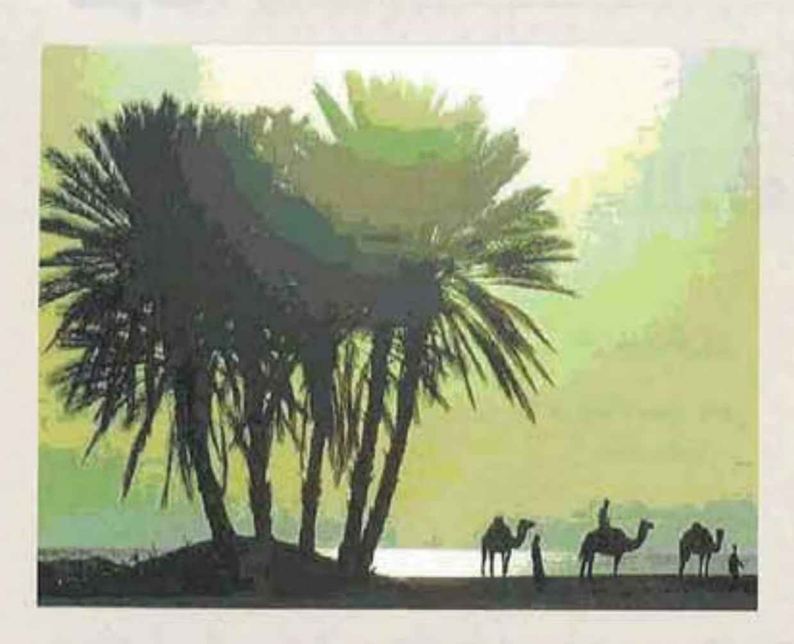
عينان ناطقتان في غورَيهما ... دنيا الورى بحياتها ومماتها

ألقيتُ كلَّ غلالةٍ ونزعتَ كلَّ (م) ... قلادةٍ وكشفتَ عن لبّاتها

وبكلِّ أشواق الوجود ضممتُها ... فوجدتُني منها صهيلَ لُغاتها

مكارم الأخلاق

عبد قيس البُرْجُمي*



أجُـبـيلُ، إنَّ أباك كـارب يومَـهُ
فـإذا دُعـيتَ إلى العظائم فـافـعلِ(١)

أوصـيك إيصـاءَ امـرئٍ لك نـاصح
طَبِنٍ بريْبِ الدهر غيـرِ مُـغـفَّلِ(٢)

اللهَ فـاتَّقِـه وأوْفِ بنَذْرِهِ
وإذا حلَفتَ مُـماريًا فـتَحلَّلِ(٣)

والضـيفَ أكرِمْـهُ فـإنَّ مَـبِيتَـهُ
حـقٌ، ولا تـكُ لُـعْـنَـةً لـلـنُّـزَّلِ

واعلمْ بأن الضـيف مُـخْـبِـرُ أهله
بمَبِـيتِ ليلتـهِ وإن لم يُسْـألِ

وصِلِ المُواصل مـا صـفـا لك ودُّهُ
واحـذرْ حـبالَ الخـائنِ المُتَبـذِّلِ

واتركْ مـحلَّ السـوءِ لا تحلُلْ به
وإذا نبـا بك منزلٌ فـتـحـوَّلِ

وإذا هَمَـمْتَ بأمـرِ شـرٍّ فـاتَّئِـدْ
وإذا هممتَ بأمرِ خيـرٍ فـافْـعَلِ(٤)

وإذا افـتقـرتَ فـلا تكنْ مُتَـخَـشِّعًا
ترجـو الفواضلَ عند غيرِ المُفضِلِ

واسـتَـغْنِ مـا أغناك ربُّك بالغِنَى
وإذا تُصِبْكَ خَصـاصةٌ فـتَجَمَّلِ(٥)

وإذا تشـاجَـرَ في فـؤادك مـرَّةً
أمـرانِ فـاعْـمَـدْ للأعفِّ الأجـملِ!

[تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ
دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م]

الهوامش

* هو أبو جُبيل عبد قيس بن خُفاف البُرجُمي من بني عمرو بن حنظلة، من البراجم وهم قوم من بني تميم.
كان عبد قيس بن خفاف شريفًا عظيمًا في قومه وشجاعًا، وقد كان معاصرًا لحاتم الطائي وللنابغة الذبياني وللنعمان بن المنذر. ويبدو أنه عاش حتى طعن في السن. وكان شاعرًا حكيمًا كثير التجارب. ومن أغراض شعره الفخر والمدح والحكمة، وكان يفتخر بالحماسة وبالخلق النبيل ويوصي بهما.

١. كارب (اقترب) يومه: حان موته. العظائم: الأمور العظيمة (الكريمة).
٢. طبن: فطن، خبير.
٣. حلفت ممارِيًا: أقسمت يمينًا (مجادلاً وأنت تعرف أنك لست على الحق). تحلل: تخلص من تلك اليمين الكاذبة بأن تتوب من مثلها، وتنفق شيئًا من مالك كفارة.
٤. اتئد: تمهل (فلعلك لا تفعله). فافعل: فافعل أمر الخير بسرعة.
٥. الخصاصة: الفقر والحاجة.

قضية للدفاع

غراهام غرين

ترجمة: محمد باجي
صنعاء - اليمن

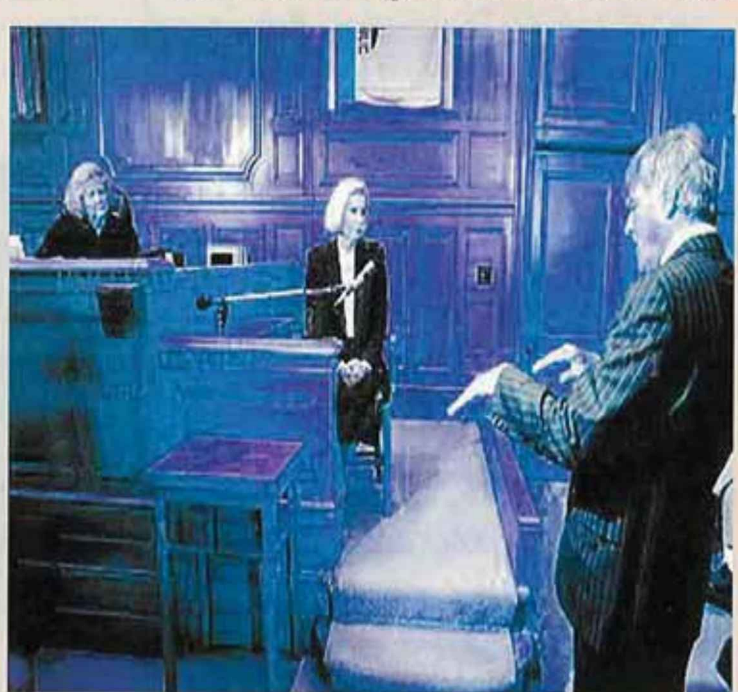
كانت أغرب محاكمة لجريمة قتل متعمد لم أحضر مثيلاتها إلى الآن. سمّوها جريمة بكهام في عناوين الصحف الرئيسة، وإن كان شارع نورث وود، حيث عُثر على المرأة العجوز ميتة من شدة الضرب، ليس بالضبط في منطقة بكهام. وهذه ليست واحدة من القضايا المتعلقة بقرينة ظرفية والتي يمكن فيها أن تحس بحيرة المحلفين - بسبب هفوة قد ارتكبت - وكأنها قباب صامتة تخرس القاعة. لا، وإنما كل الدلائل كانت تشير إلى القاتل سوى أنه لم يقبض عليه، وهو عند الجثة. وبعد أن حدد المحامي العمومي حيثيات القضية لم يكن أحد من الحضور يعتقد أن الرجل القابع في القفص سيفلت من قبضة القانون أبداً.

كان رجلاً ضخماً قوياً ذا عينين جاحظتين محمرتين. وبدت كل عضلاته وكأنها قد تجمعت في وركيه. أجل، كان زبوناً مشاكساً لا يمكن أن تنساه بسرعة. وهذه نقطة ذات دلالة إذ إن المحامي العمومي استدعى أربعة شهود لم ينسوه وقد رأوه يسرع مبتعداً عن الفيلا الصغيرة الحمراء في شارع نورث وود حينما دقت الساعة الثانية تماماً في الصباح.

لم تستطع السيدة سالمون، القاطنة في شارع نورث وود أن تنام تلك الليلة؛ لأنها سمعت صوت باب يُغلق، فحسبته بابها. لذلك اتجهت صوب النافذة، ورأت آدمز (هكذا كان اسمه) يقف على درجات السلم الخارجي لبيت السيدة باركز، لقد خرج للتو وكان يلبس قفازين، ويحمل مطرقة بيده، ولقد رأته وهو يرميها وسط شجيرات الغار عند البوابة الأمامية. لكنه قبل أن يبتعد رفع بصره ونظر إلى نافذتها. أوحت له غريزة الموت أنه كان مُراقباً وعرّته تحت ضوء مصباح الشارع أمام نظرة المرأة المتفرسة. انغمرت عيناه بخوف وحشي مفزع كعيني حيوان حين ترفع السوط في وجهه. بعد ذلك تحدثت إلى السيدة سالمون التي أُخذت بطبيعة الحال تشعر بالخوف على نفسها بعد إفادتها المذهلة، وكذا كان حال جميع الشهود على ما أعتقد. كاد هنري ماكدو كلد يصدم آدمز بسيارته عند زاوية في شارع نورث وود، حينما كان عائداً إلى بيته في ساعة متأخرة. كان آدمز يمشي وسط الشارع وقد بان عليه الذهول. كان السيد (ويلير) العجوز يسكن في الدار رقم ١٢ بجوار السيدة باركز. في تلك الليلة أيقظته جلبة آتية من خلال حائط الفيلا الرقيق وكأنها صوت سقوط كرسي، نهض من فراشه وتطلع من النافذة إلى الخارج، تماماً كما فعلت

السيدة سالمون، فرأى قفا آدمز، وحينما التفت هذا الأخير، رأى عينيه الجاحظتين. زد على ذلك أن شاهدًا آخر قد رآه في طريق (لاورل) ـ خذله الحظ تمامًا وكأنه قد اقترف الجريمة في وضح النهار.

قال المحامي العمومي: «إني أعرف أن الدفاع سيرد علينا بأن هناك التباسًا في تحديد هوية القاتل،



وأن زوجة آدمز ستقول لكم: إنه كان معها في الساعة الثانية من صباح الرابع عشر من فبراير، ولكنكم، وبعد أن استمعتم إلى الشهود، وفحصتم قسمات وجه المتهم بدقة، لا أعتقد أن أحدًا منكم سيكون مستعدًا ليقر بأن هناك إمكانية للخطأ في شخصيته».

كان من الممكن أن تقول: إن الأمر قد انتهى، ولم يبق سوى الشنق.

بعد أن أدلى الشرطي الذي تعرف على الجثة والطبيب الجراح الذي فحصها بإفادتيهما الرسميتين، نودي على السيدة سالمون. كانت الشاهد المثالي بلهجتها الأسكتلندية الخفيفة المميزة وبتعابير وجهها التي تنم على النزاهة والحرص والأريحية. عرض المحامي العمومي القصة بتأن، وتكلمت هي بحزم. لم يكن فيها ضغينة ولا شعور بالاعتداد عند وقوفها هناك في محكمة الجنايات المركزية قبالة قاض ذي رداء قرمزي لا ينفك يمحص كلماتها كلمة كلمة ليدونها بعد ذلك الصحفيون. أجل، قالت، وبعد ذلك نزلت إلى الطابق السفلي، واتصلت هاتفيًا بمركز الشرطة.

«وهل ترين الرجل هنا في المحكمة؟».

نظرت مباشرة إلى الرجل الضخم في قفص الاتهام والذي حدق فيها ببرود بعينيه البكنغيزيتين(١).

قالت: «بلى، هو ذا».

«هل أنت متأكدة تمامًا؟».

قالت ببساطة: «لا يمكن أن أكون مخطئة، سيدي».

وبدا الأمر سهلاً إلى هذه اللحظة.

«شكرًا لك يا سيدة سالمون».

وقف محامي الدفاع ليستجوبها بدقة. ولو أنك كنت مراسلاً صحفيًا مثلي وتكتب تقارير كثيرة عن جرائم القتل المتعمد، لعرفت مسبقًا أي أسلوب سينتهجه الدفاع. وأنا كنت محقًا إلى حد ما.

«والآن، يا سيدة سالمون، عليك أن تتذكري أن حياة هذا الرجل ربما تعتمد على إفادتك».

«بالتأكيد أتذكر ذلك، سيدي».

«وهل نظرك جيد؟»

«لم أكن مضطرة لاستعمال نظارات طبية».

«وأنت امرأة في الخامسة والخمسين من عمرك؟»

«السادسة والخمسين، سيدي».

«والرجل الذي رأيتيه كان في الجانب الآخر من الطريق؟».

«أجل، سيدي».

«وكانت الساعة الثانية صباحًا. لا بد أن لك عينين رائعتين، يا سيدة سالمون؟».

«لا ياسيدي. كانت ليلة قمراء وحين رفع الرجل بصره، سقط ضوء المصباح على وجهه».

«وليس لديك أدنى شك في أن الرجل الذي رأيته هو المتهم؟».

لم يكن بمقدوري أن أفهم قصده ولم يكن بمقدوره أن يتوقع جوابًا آخر غير الذي سمعه.

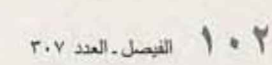
«إطلاقًا يا سيدي، لا يمكن لأحد أن ينسى وجهه».

جال محامي الدفاع ببصره فترة قصيرة حول قاعة المحكمة ثم قال: «أتسمحين يا سيدة سالمون بأن تتفحصي الحاضرين في هذه القاعة؟ لا، ليس المتهم. قف من فضلك يا سيد آدمز. وهناك وفي مؤخرة القاعة انتصب رجل بجسم قوي مكتنز وساقين عضليتين وعينين جاحظتين، وكان صورة طبق الأصل للجاني في القفص. حتى إنه كان يرتدي الملابس نفسها - بدلة ضيقة زرقاء وربطة عنق مخططة.

«والآن فكري مليًا يا سيدة سالمون، هل مازال بمقدورك أن تقسمي أن الرجل الذي رأيته يلقي بالمطرقة في حديقة السيدة باركز كان المتهم نفسه - وليس هذا الرجل، والذي هو أخوه التوأم؟».

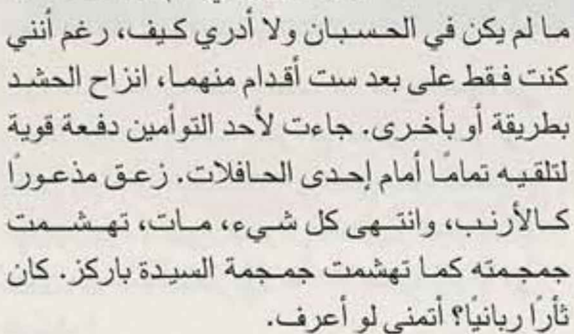
بالطبع لم تستطع، نقلت نظرها من واحد إلى آخر، ولم تقل كلمة واحدة.

هناك كان يجلس الوحش الضخم في قفصه واضعًا ساقًا على ساق، ووقف أيضًا في نهاية القاعة، وكان كلاهما يحدق بالسيدة سالمون. هزّت رأسها بحيرة.



ما رأيناه كان بمنزلة نهاية للقضية. فلم يكن أي أحد من الشهود مستعدًا ليقسم بأنه قد رأى المتهم بعينه. أخوه؟ كانت له حجته أيضًا: كان مع زوجته وقت حدوث الجريمة.

ولذا فلقد أُطلق سراح الرجل لعدم توافر الأدلة. لا أدري أكان هو الذي ارتكب الجريمة أم أخوه، ولا أدري هل عوقب بعد ذلك أم لا؟ ذلك اليوم الغريب كانت له نهاية غريبة. تبعت السيدة سالمون عند خروجها من قاعة المحكمة فانحشرنا وسط حشد من الناس ينتظر خروج التوأمين، بطبيعة الحال. حاولت الشرطة إبعاد الناس، ولكن كل ما استطاعت أن تفعله هو ضمان حركة المرور. وعلمت فيما بعد أن الشرطة حاولت إخراج التوأمين من باب خلفي فلم تفلح، قال أحدهما، ولا أحد يعرف أيهما، :«لقد أطلقوا سراحي، أليس كذلك؟». وخرجا باندفاع من الباب العمومي. ثم بعد ذلك حدث ما لم يكن في الحسبان ولا أدري كيف، رغم أنني كنت فقط على بعد ست أقدام منهما، انزاح الحشد بطريقة أو بأخرى. جاءت لأحد التوأمين دفعة قوية لتلقيه تمامًا أمام إحدى الحافلات. زعق مذعورًا كالأرنب، وانتهى كل شيء، مات، تهشمت جمجمته كما تهشمت جمجمة السيدة باركز. كان ثأرًا ربانيًا؟ أتمنى لو أعرف.



نهض آدمز الآخر على قدمية من عند الجثة ونظر مباشرة إلى السيدة سالمون. كان يبكي بيد أن لا أحد يعرف هل هو القاتل أم البريء. ولكن لو كنت مكان السيدة سالمون، فهل تنام الليل؟

الهوامش

١. البكنغيز: كلب صيني صغير طويل الشعر.

قطوف

ضياء قصبجي
حلب - سورية

رسالةٌ من مكان بعيد وصلتْها أخيراً.. مزّقت الظرف بلهفة، وشرعت تقرأ بفضول كبير.. لم تكدْ تقرأ اسمها.. حتى نادتها أمها لحاجة ما.. لبّتها، عادتْ تقرأ، فرنّ جرسُ الهاتف، وحدثتها صديقتُها.. أنهت المكالمة، وعادت لتقرأ الرسالة، ناداها أخوها أن تسرع لتشاهد في (المشاهد) ذلك الشاعر المشهور المسجّى في نعشه والمحمول على أكتاف الأحبّة.

ارتدت ملابسها، وحملت كنزها، وخرجت تبحثُ عن مكان لتقرأ الرسالة في معزل عن ضوضاء العصر.. وهناك وقف النادل وقال لها:

ماذا تريدين..؟ قالت له بجدية:

- أن أقرأ هذه الرسالة، لو سمحت، بسرعة.

ooooo

في الوحل، والبغضاء، والفقر، والمشاحنات.. عاش هذا الطفل.. لم يمضِ يومٌ واحدٌ دون أن يبكي من عذابه، أمُّه تغيبُ عن البيت كثيراً.. وتتركُه دون طعام.. أبوه يسافر كثيراً فيبقى الجميع دون مصروف.. إخوته الذين لم يدخلوا المدارس يضربونه، لأنه عاقلٌ ولا يردُّ لهم الضربات.. ومن شدة عذابه.. نبتت زهرةُ إرادته، فصمم أن يكون غيرهمْ لأنه شديدُ الذكاء.. عظيم الصبر والاحتمال.. وبعد كثير من السنين كان طبيباً مشهوراً.

مثله.. مثلُ زهرة نبتت في حوضٍ مملوء بالطين.. والأعشاب الضارّة.. والحشرات المؤذية لكنّها رغم هذا تسلّقت عالياً فجذبت الأنظار بسحرها ورائحتها الذكية.

ooooo

خرجتْ إلى الشارع مساءً.. فلم تجدْ قرص الشمس.. بحثتْ عن القمر، كان غائباً.. نظرتْ إلى أعمدة الأضواء المعلّقة في الشارع.. لم تجدها.. دهمها الظلامُ حتى لا تكادُ ترى أصابعها.. فجأة رأت بصيص أمل من بعيد.. اتجهت إليه كأنه الهدى هبط من السماء عليها.. فشتّت ظلمتها.. أمسك يدها.. وسار معها.. فتلألأ الكونُ والقلبُ بالضياء.

ooooo

ما كان يريدُ أن يفارقها ويسافر.. لأنه يحبّها حقاً.. لكنّها أصرّت على أن يبني مستقبله بعيداً.. ليستطيع أن يوفر ما يلزم للزواج منها.. أحسَّ، وهو يودّعها في مطار حلب، أنّه كالنبتة التي نجتثُّ من جذورها، وتُلقى بعيداً عن تربتها وهوائها.. وحين أطلَّ من نافذة الطائرة الصغيرة.. رأى حلب كامرأة مبلّلة بالدموع والأسى.. تلوح له بوشاحٍ أسود.. دمعت عيناه.. حين رأى قلعتها الشامخة.. تذكّر كمْ دار حولها في طفولته..

وكم صعد إليها مع رفقائه.. وكمْ صوّرها في مراهقته.. وكمْ جلس في المقهى المطلّ عليها في شبابه..؟

وحين اشتدّ عليه الحزن، أقسم أن يعود إليها، ولا يعودُ إليها.

ooooo

في حانوت بائع للأثريّات.. وقفَ الرجلُ الهاوي شراء التُّحف.. يضع نظّارته الطبية على عينيه، يتفحص، يحملُ التُّحفة الزجاجية، وينقر عليها بأصابعه.. والبائعُ سعيدٌ به ولا سيما أنّ مظهره يدلُّ على أنه من الأثرياء.. فكان يقولُ له:

- انظر هذه يا بيك.. إنها منذ خمسمئة عام.. وعدا قيمتها الأثرية.. فهي جميلة.

كان يهزُّ رأسه بكبرياء واقتناع.. ثم يعيدها إلى مكانها.. ويحملُ تحفةً أخرى. يقول له البائع:

- أمّا هذه يا بيك.. فهي منذ ألف عام.. انظر هذه النقوش البديعة الصنع.. لا أحد اليوم.. يستطيع نقش مثيل لها.

وبعد مضيِّ أكثر من ساعة.. بعد أن بحَّ صوتُ البائع.. وتعبتْ يداه.. أخذ الهاوي تحفةً ثمينةً جداً.. ونادرة جداً. ثم ألقاها إلى الأرض فتحولت إلى شظايا قائلاً:

- اتركني.. يا أخي انظر بنفسي.. لقد أفقدتني أعصابي.

ثُمّ ترك البائع في أوج معاناته وانطلق.

oooooo

قفْ مكانك.. لا تتحرّك.. لقد جئتُ إليك من آناء اللّيل وأطراف النهار.. جئتُ إليك بعد أن بحثتُ عنك كثيراً.. أتذكرني..؟ أتعرفني..؟ قد لا تعرفني أمّا أنا فأعرفك، وأحبُّك.. لا تتردّد.. ولا تخف مني، ما أنا إلا أنت ذاتك.. ولقد كنتُ تائهاً عنك.. ثم اهتديتُ إليك.. أنا أنت.. جزءٌ منك.. دعني أعدْ إليك ما أفقدك الطمأنينةَ والهدوء، وأنضمُّ إليك مثلما تنضمّ حبةٌ إلى باقي حبّات سُبحتك.

تعقيب على تعقيب حول:

قصة علم الكون

قصة علم الكون بين عصور زاهية وقرون مضنية وحاضر حائر

جاء في باب «ردود وتعقيبات» رد الأخ الكريم حامد عبدالله المحمدي، وفيه ملاحظات لم تخل من تهجم شخصي أبعد ما يكون عن التناول العلمي الموضوعي، وإن كنت ممتنًا له، لقوله إنني حاطب ليل، ينقل عن غيره، فحاطب ليل اختاره أحد أبرز مفكرينا الأديب الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري صفة لنفسه، حين اختاره عنوانًا لكتاب تأملاته الفكرية «حاطب ليل ضجر».

أما النقل عن الآخرين فلا ينكره سوى الرسل والأنبياء الذين يوحى إليهم من السماء، فما من عالم أو كاتب إلا واستشهد ونقل عن غيره، ومن يدّعي غير ذلك فهو مغرور أحمق والعياذ بالله، فكل علمائنا وفقهائنا ومؤرخينا استشهدوا ونقلوا عن غيرهم، فللأخ حامد كل الامتنان، على قوله وإن كان شرفًا لا أدعيه.

أما قوله بأن الطوسي تحالف مع المغول، والمرصد الذي بناه كان من أجل هولاكو، فذلك لا يحط من علمه، فإن مؤسس علم الاجتماع عبدالرحمن بن خلدون، سافر قاصدًا تيمورلنك: (أحد أحفاد هولاكو)، وأهداه مؤلفاته، وتقبل منه جائزة سنية، كما أن البيروني أحد أبرز علماء المسلمين على الإطلاق زار الهند، وتقبل من ملوكهم الكفار العطايا والهدايا، ولا ننسى الإدريسي مع ملوك النصارى، والرازي أعظم الأطباء الذي أتهم في دينه وحتى بالزندقة، ولم ينقص ذلك من قدره وعلمه.. بل إن ابن المقفع الذي أعدم لزندقته لايزال كتابه الذي ترجمه «كليلة ودمنة» مما يفخر به الأدب الإسلامي!..

النقطة الأخرى وهي كون ابن سينا اشتهر بالطب أكثر من الفلك، فذلك صحيح، ولكن علماءنا المسلمين - كما لا يخفى على مطلع - كانوا موسوعيين، فالبيروني إلى جانب شهرته بالفلك كان من أعظم من ألف في الإنسانيات والمجتمعات البشرية، وابن رشد أعظم الفلاسفة العرب كان فقيهًا وطبيبًا، أما فيما يخص ابن سينا فيكفي الاستشهاد بأن الكندي، أول فلاسفة العرب ألف تسعة عشر كتابًا في النجوم، وكان ذلك العلم يُعد من الرياضيات إلى جانب العدد والهندسة والهيئة (الفلك) والموسيقى.. ومن المعروف عن ابن سينا أنه اهتم بالرياضيات أكثر من الكندي، فما العيب في الاستشهاد به؟.

أما اصطياد الكلمات كالقول: إن علم الفلك الإسلامي ما اقتصر على المؤلفات النظرية بل (انحسر) إلى العلوم التطبيقية، وانحسر مثلما جاء في التعقيب تعني تراجع.. فلم يكن ذلك هو المعنى

المقصود، وإنما كان أن العلوم النظرية انحسرت لتكشف عن التطبيقات، فمن المعروف أن النظريات هي مجرد أفكار لا يمكن التثبت منها إلا ببرهان التطبيق، والانحسار هنا بمعنى الكشف عن صحة نظريات العلماء المسلمين؛ كما ينحصر الثوب عما يخفيه.

ذلك لا يمنع الاعتراف بالخطأ الذي صححه لي الأخ الكريم حامد بأن من ترجم بعض أجزاء كتاب الأصول لإقليدس كان الحجاج بن يوسف الذي هو ليس بالثقفي، وربما كان عندي أن الالتباس مرده ما جاء في المصدر من أن (الحجاج بن يوسف «أمر» بترجمة الكتاب والأوامر لا تأتي عادة إلا من ملك أو أمير أو وزير، على الأقل في تلك الأيام. فله الشكر، ولي - إن شاء الله - حسنة واحدة لخطئي في الاجتهاد، وحسنتان لكل ما عدا ذلك من صواب في ذلك المقال.. كما وأربأ به عن التصيد، ولا أقول، في الماء العكر، حين اعترض على حرف «ياء» تقدم أو تأخر أو حذف سهواً، فيما أتحفظ في الوقت ذاته على قوله: أن ما كتبته كان بمنزلة «تخيلات»، فالله يشهد أنني لا أمتلك مثل ذلك الخيال الواسع المبدع، ولا يسعني سوى الاستشهاد ببيت شعر عربي حكيم يقول:

فقل لمن يدعي بالعلم فلسفة
حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

حتى وإن كان البيت ينسب إلى الشاعر المذموم أبي نواس، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مكرراً شكري العميق لرد الأخ الفاضل حامد الحمدي والذي أعده شهادة!!.. أحد معانيها أن المقال استرعى انتباهه، إلى درجة تمعنه فيه حرفاً حرفاً.. فتلك ليست شهادة فحسب، بل هي وسام، ولكل مجتهد نصيب.

يوسف بن عبدالرحمن الذكير

مرثية الأندلس الشهيرة ليست للرندي كما شاع



مازال صدى الأندلس المتواصل يوماً بعد آخر بيننا، ومازالت الكتابات العربية والكُتاب العرب يقدمون لنا الدراسات الجيدة والقيمة لاستخلاص الدروس والعبر من تراثنا الحضاري والوجود العربي في الأندلس.

فلقد طالعت في العدد ٢٩٤ من «الفيصل» مقال «الحياة السياسية والأدبية في الأندلس في عهد بني الأحمر»، كما طالعت في العدد نفسه في باب الملف الثقافي تحت عنوان: جديد المعرفة - أن ملف الشهر في مجلة المعرفة عن «الأندلس».

وفي الباب ذاته الملف الثقافي تحت عنوان «معرض

للآثار الأندلسية» أن معهد العالم العربي في باريس يقيم معرضاً بعنوان «الأندلس من دمشق إلى قرطبة».

مما لا شك فيه أن موضوع الأندلس جدير بالبحث والتنقيب بين ثناياه لما له من شجون وشؤون في نفس العرب عامة. وهذا ما يجعلنا نقف بين الحين والآخر أمام بعض القراءات وتفنيدها.

فلقد أثار مقال الأخ بنعيسى بويوزان المعنون «الحياة السياسية والأدبية في الأندلس في عهد بني الأحمر» لديّ محاولة استقراء المراجع والهوامش، وقد لفت نظري عنوان المرجع رقم (٥) أبو البقاء الرُّندي شاعر الرثاء الأندلسي؛ ومن الجدير بالذكر أن أبا البقاء الرندي حمل هذا اللقب - شاعر الرثاء الأندلسي - نسبة إلى القصيدة الشهيرة في الرثاء الأندلسي التي مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان

وهذه القصيدة منشورة بملف الأندلس بمجلة المعرفة المشار إليها منسوبة إلى أبي البقاء الرُّندي. وأول من نسب هذه القصيدة إلى الرندي هو المقّريّ (ت:١٠٤١هـ) في كتابيه «نفح الطيب» و«أزهار الرياض»، وقد نقلها من مصدر لم يذكره واكتفى بأن يقول: إنه نقلها من خط من يوثق به. ومن الغريب أن لسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ) صاحب كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة»، الذي عاش قريباً من عصر الرندي قد أورد في ترجمته للرندي طائفة مختارة من شعره، ولم يشر بكلمة واحدة إلى مرثيته الأندلسية على الرغم من أنها تعدّ قطعاً من غرر قصائده وهو أمر يدعو إلى الدهشة والتساؤل.

إن إغفال لسان الدين بن الخطيب القصيدة كلياً، واكتفاء المقّري الذي جاء بعد لسان الدين الخطيب بأكثر من قرنين ونصف القرن بقوله: «إنه نقلها من خط من يوثق به» يحملانا على الشك في نسبتها، خصوصاً إذا عرفنا أن الرُّندي نفسه لم يشر إلى قصيدته تلك، ولم ينشر منها شيئاً في كتابه «الوافي في نظم القوافي» الذي يتحدث فيه عن الشعر وفضله وآدابه وأغراضه. كما أن هذه القصيدة لم تظهر في تراث الأدب الأندلسي خلال العصر الغرناطي كله من بدايته في أواخر القرن السابع الهجري حتى نهايته في أواخر القرن التاسع الهجري على الرغم من ظهور قصائد أخرى في رثاء الأندلس أو بعض قواعدها أقل روعة ورنيناً من المرثية التي يعزونها إلى الرندي.

لهذه الأسباب يمكننا الشك في عزو هذه القصيد إلى الرندي؟!!

وبقي سؤال مهم: إلى من ننسب هذه القصيدة الرائعة؟!

وذكر الشهاب الخفاجي - أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري - (ت:١٠٦٩هـ) قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، والذي ترجم معاصريه في كتابه: «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» أنه عزا فيه هذه القصيدة إلى القرطبي قائلاً: «فارسل قصيدة نعى بها الإسلام، ونادى ملوك (الروم)* وعظماءها الأعلام فلم يجد بها صفياً يقول له: لقد أسمعت لو ناديت حياً».

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي
دمشيت - ٣١٧٢١
طنطا - مصر

* الروم تطلق يومئذ على الأتراك الذين كانوا في أوج عزهم.

التحرير:

لقد شككت في نسبة القصيدة إلى أبي البقاء الرندي، ورجحت نسبتها إلى القرطبي من غير أن توضح لنا من هذا القرطبي، وما كتبه ومؤلفاته؟

وكيف لنا أن نأخذ برواية كتاب ونردّ بها روايات كثيرة وردت في عدة مراجع نسبت القصيدة إلى أبي البقاء؟

رحلة
في كتاب



فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي

مراجعة: نائف حسان
صنعاء - اليمن

لا يكتفي آرثر هيرمان في كتابه المهم هذا بتأكيد انهيار الحضارة الغربية، وإنما جزم أنها لا تستحق الإنقاذ محللاً ذلك باستهلاكها لنفسها، سواء أكان ذلك برأسماليتها الجارفة التي صنفت الناس على أساس مادي بشع أم بتكنولوجية الفناء المرعبة التي ما زالت تشق طريقها وسط محاذير خوف لا حصر لها.

وبحسب د. رمضان بسطاويسي فإن هذا الكتاب إلى جانب أنه يقدم تحليلاً مهماً للفكر الغربي ومصادره من خلال تتبع فكرة الاضمحلال في الحضارة الغربية، فإنه دراسة مهمة عن الإشكالية الرئيسة التي يطرحها الفكر المعاصر عن مستقبل الحضارة الإنسانية بشكل عام، والحضارة الغربية منها بشكل خاص.

ومازاد من أهمية هذا الكتاب ليس لأنه «موسوعة شاملة للفكر الغربي» فحسب، بل لأن صاحبه مؤرخ وأكاديمي التزم الكتابة النقدية والتحليلية على أنها خيار استطاع من خلالها «نقد كل أشكال الحياة الإنسانية المعاصرة» وكشف «الثقافة المضادة في الغرب».

وإلى جانب استعراضه لتاريخ الفكر الغربي يقدم هذا الكتاب رؤى تنبئية شتى، فقد قرأ أفكار أصحابها المبشرين باضمحلال الحضارة الغربية، وناقش معهم عوامل تفسخ الغرب وانحلاله، وطرح أبدالاً لصعود حضارات أخرى. ومهم جداً أن يقرأ العرب هذا الكتاب؛ لأنه يضعهم أمام حقيقة الدول الغربية وأمريكا ومصيرها التي ما زالوا يعانون سياستها حتى اللحظة.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية طلعة الشايب، وصدر في عام ٢٠٠٠م عن المشروع القومي للترجمة.

عملية متوالية

يبدأ الكاتب في الفصل الأول بتعريف الاضمحلال الذي يقول عنه: إنه نظرية عن طبيعة الزمن والتقدم ومعناهما واللذان يحملان في طياتهما بذور الاضمحلال، ويرجع المؤلف إلى القرن السابع ق.م، وتحديداً إلى الشاعر «هيزيود»، الذي رأى الاضمحلال عملية متوالية تحكم العالم كله، بدءاً من التاريخ الغائر في القدم، وحتى هذا العصر الذي «يضطر فيه الناس إلى العيش على عرق جبينهم، ويعانون مصيرهم على أيدي ملاك الأراضي، والحكام، والزوجات».

وبعد إلقاء نظرة بسيطة على ثقافات الماضي، يطرح المؤلف سؤالاً عن السبب الذي يشيع بسببه ويتعاظم الشعور بالاضمحلال في جميع تلك الثقافات؟ ويجيب: باحتمالية أن يعكس ذلك الشعور التجربة الإنسانية في التغيرات الجسدية. (ما كنا عليه، وما نحن عليه، سوف ينتهيان. الزمن يدمر كل شيء) بهذه العبارات التي استنطق بها «سوفوكليس» «أوديب» يلخص الكاتب تلك التغيرات التي تحمل في داخلها الاندثار الحتمي.

وبالإشارة إلى القدرة التدميرية التي امتلكها «الزمن»، يعود الكاتب إلى أصل كلمة «الزمن» باليونانية، والتي

تعني Chronos أي «الإله الذي التهم أطفاله»، ويشير في السياق ذاته إلى أن هذه «النظرة الإغريقية الرومانية، للزمن، كانت تنطوي على اقتناع راسخ بأن الأحداث لا تقع اعتباطًا، وإنما تقع طبقًا لدورة متكررة من الميلاد، والحياة، والاضمحلال والموت، ثم الميلاد مرة أخرى، وكان المصطلح الإغريقي لذلك هو (الثورة)». ولتقوية ما ذهب إليه يستدل بإدراك بعض الفلاسفة الإغريق لانحلال الدول وزوالها.

بعد ذلك يتحدث عن الأساليب التي تحدث عنها الأوربيون في مشارف الحقبة الحديثة عن التغيير والزمن والتاريخ بدءاً من (الزمن الحلو للمرحلة الأولى للإنسان) التي أقر داعيتها الأول «بترارك»، باضمحلالها، إلى المدرسة الأسكتلندية، التي التزمت أفكار الفيلسوف «هتشسن»، والتي قالت: إن هناك مجموعة عامة واحدة من الروابط الاجتماعية تشكل جزءاً من أساس جميع المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ، وهي تتطور بشكل متزايد ـ من الأسرة إلى القبيلة إلى العشيرة إلى المجتمع والإمبراطورية ـ طبقًا للأسلوب المنتظم نفسه، ويؤكد «هيرمان» أن هذه النظرية كانت أول نظرية علمانية للتقدم والحضارة في أوربا.

ثم يعرج على مفهوم التحضر الذي كان سائدًا في الوعي الجمعي حينها، موضحًا الارتباط الذي جمعه بالعيش في ظل القانون الروماني، أو المدني مستدركًا ذلك بالإشارة إلى أن ارتباطه ـ التقدم ـ في بدايات عصر النهضة بأسلوب الحياة، والقانون، المغاير لحياة الغابة.

أما مصطلح الحضارة ـ كما يقول ـ فقد ظهر أصلاً في فرنسا. كانت كلمة Civilise في البداية مرادفة لوجود حكومة جيدة، أو أن تكون «منظمة» جيداً Police من الناحية الاجتماعية. ويستمر المؤلف في شرح مراحل المصطلح التطورية: إلا أنه سرعان ما أصبحت كلمة Civilisation تعني ما هو أكثر من مجرد شكل محدد للحكومة، بل أصبحت تشير إلى عملية نقلت الناس من العادات Mocurs، والمؤسسات، والوجود المادي، الذي كان يوصف بالبدائية إلى شكل آخر أكثر رقيًا أو تحضرًا.

وإن كان هيرمان قد أصاب عندما أكد تاريخية الحضارة كعملية لها بداية ونهاية إلا أنه لم يوفق عندما أعد اختلاف الناس تابعاً أو نتيجة لها، ذلك أن الاختلاف كسلوك ظهر في حياة الإنسان الأولى «قابيل وهابيل» قبل أن تقوم وتنشأ الحضارة.

خلط

وقد وقع المؤلف في وهم حينما خلط بين الدولة والمفاهيم التطورية للحضارة، فالحضارة أسمى من الدولة، وكل حضارة فيها دولة، وليس كل دولة فيها حضارة. فمثلا لا يمكن الحديث عن حضارة كويتية أو خليجية أو.. لأن هذه دول لم تتمكن من تجاوز مرحلة الدولة إلى مرحلة الحضارة العليا، وعمليًا لا نستطيع اليوم، الحديث عن حضارة عربية راهنة لكن نستطيع الحديث عن وجود عربي يعكس حديثنا عن حضارة كانت، ويرجع السبب في ذلك إلى مجموعة الدول العربية، التي لم تتمكن من فرض طرائق حياتها وأنساق معايشها على بقية العالم، أو حتى على جزء منه. ذلك أن وجودها الهامشي لم يتح لها فرض حضورها على العالم. وللتقريب: فالدول التي قامت في الماضي كانت كثيرة بحيث يصعب حصرها بينما الحضارات معروفة ومعدودة.

شدد توينبي على أن أعمال الولايات المتحدة وإسرائيل في لاوس، وفيتنام، وفلسطين ليست مجرد جرائم، ولكنها جرائم ومفارقة تاريخية أخلاقية في الوقت نفسه

وكان ما زاد في وقوع المؤلف في الوهم أنه أورد مفاهيم التطور تلك دون الإشارة إلى القائلين بها. وهذا خطأ معرفي كبير «ضحالة الطبيعة» قال بها أفلاطون في القرن الثالث ق.م، وأحياها بعده رائد المدرسة الرواقية زينون الكيتوني (عاش ٣٣٥ ـ ٢٦٤ ق.م) ثم جاء شيشرون في القرن الثاني الميلادي وطور هذا المفهوم فرد مصدره إلى العناية الإلهية، ثم جاء توما الإكويني في القرن الثالث عشر الميلادي فقال ببشرية القانون الطبيعي. بعدها جاء جون لوك في القرن السابع عشر فسماها «حالة الفطرة» وقال: إن التعاون والمساواة سادا فيها معارضًا بذلك «توماس هوبنز» الذي ذهب إلى أنها مرحلة شر وصراع.. وأعتقد، هنا، أنه من الإنصاف الإشارة إلى أصل هذه الفكرة «حالة الطبيعة»، وإلى من طورها، خاصة أفلاطون الذي أخذ عنه «هيرمان» مراحل التطور تلك.

والملاحظ أن أفلاطون تحدث عن تلك المراحل في كتابيه الشهيرين «السياسي»، و«القوانين» بوصفها مراحل لنشأة

الدولة، بينما تحدث عنها «هيرمان» بصفتها مراحل للحضارة، وهذا خلط واضح يصعب إغفاله.

حضارة الهمج البدائيين

يؤكد المؤلف الفكرة القائلة: إنه لا يمكن فصل التقدم عن الحضارة، مسوّغاً ذلك بالفهم العقلاني والعلمي الذي يرافق التقدم كفكرة وممارسة، ويؤسس في الوقت ذاته لقيام الحضارة. لذلك فقد ربط ـ استناداً إلى رأي الفيلسوف الفرنسي تيرجوت ـ الحضارة بشرطين، هما: السمو الأخلاقي الذي يتم فيه (التغلب على الجانب البربري والبدائي) ـ في السلوك الجمعي، و(العقلانية والعلمية الصاعدة) بوصفها رمزاً للنجاح. ولعل تأكيد «العلمية الصاعدة» دليل على أن العلمية الثابتة أو المستكينة لا تحدث حضارة.

ومع أن الكاتب يقر بالحضارة الأوربية التي استوفت شرطي التحضر، إلا أنه يوضح أنه لا يمكن قصر التحضر عليها دون غيرها، مستدلاً بالفيلسوف الألماني فيختة الذي قال: إن أكثر الأمم تحضراً في عصرنا الحديث هم نسل الهمج البدائيين.. وشعوب الحضارة الهمجية وغير المتحضرة سوف تصبح متحضرة بدورها.

تأكّل

يبين المؤلف كيف سيطرت فكرة الفيلسوف جيبون حول الانهيار المرافق للنجاح على الفكر التاريخي الحديث. فقد قال في كتابه «اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية»: إن هذه الإمبراطورية كان محكوماً عليها بالدمار بسبب نجاحها، فـ «جميع الإمبراطوريات والمجتمعات العظمى تصل إلى نقطة نهاية. نقطة اللاعودة، وبعدها لا بد أن يحل محلها شيء آخر».

ويستعير المؤلف هنا، تفسير المؤرخ جون أنتوني فرود لدورة نمو وتأكّل الحضارات مبيناً أن انتشار الفضيلة والحق بين الأفراد يولد القوة التي تعدّ لازمة لأي حضارة أما التأكّل فسببه الترف الذي يقود إلى الانهيار.

إخفاق

يورد الكاتب إجماع كتب ودراسات كثيرة على (تفوق الحضارة الأوربية على كل الحضارات السابقة والمعاصرة لها). ويقول: إن مشكلة المؤرخين لم تكن في تفسير أسباب وصول أوربا إلى الصدارة، وإنما كانت في معرفة سبب إخفاق الآخرين. ولقد قدم العلماء الأمريكيون والأوربيون ـ حسب قوله ـ عدداً ضخماً من التفسيرات والشروح لذلك الإخفاق الكبير، فكان بعضهم يعزو ذلك إلى اختلاف المناخ والجغرافيا، وآخرون كانوا يرجعونه إلى الدونية العرقية والتدهور (الفسيولوجي)، بينما هناك من أشار إلى الفروق النفسية العامة، ولدور المعتقدات الدينية والثقافية. ويستدرك ذلك بتأكيد تعرض الحضارة الأوربية، كغيرها، للتفسخ والهرم والانحلال.

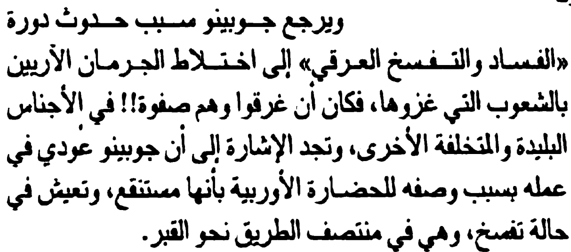
بالوعة

يعرض، هنا، نظرية جوزيف آرثر دو جوبينو العرقية التي صاغها في كتابه «فصل المقال في اللاتساوي بين الأجناس البشرية» الصادر عام ١٨٥١م، والذي ذهب فيه إلى أن (الأوربيين البيض المعاصرين لايزالون أرقى من نظرائهم الزنوج أو الشرقيين.. فالرجل الأبيض لديه توافق أعظم بين مكونات القوة الجسدية والذكاء والأخلاق، ومن بين كل الأجناس الموجودة يظل هو الأكثر حيوية، تلك الحيوية هي قوة حياة، أو جوهر تنتقل إلى ذريته، وهي أساس الحضارة والإبداع الإنساني).

وأكثر من هذا، يزعم، أن جميع الحضارات أقامها الجنس الأبيض!! لكنه مع ذلك عدّ أوربا الحديثة بالوعة التفسخ العرقي.



جون لوك



ويرجع جوبينو سبب حدوث دورة «الفساد والتفسخ العرقي» إلى اختلاط الجرمان الآريين بالشعوب التي غزوها، فكان أن غرقوا وهم صفوة!! في الأجناس البليدة والمتخلفة الأخرى، وتجد الإشارة إلى أن جوبينو عُودي في عمله بسبب وصفه للحضارة الأوربية بأنها مستنقع، وتعيش في حالة تفسخ، وهي في منتصف الطريق نحو القبر.

انحلال

في فصل الكتاب الرابع يناقش، هيرمان، قضية الانحلال بوصفها نهاية الليبرالية الغربية، ويستند في ذلك إلى أطروحات عدد من المفكرين والأخصائيين، وعلى رأسهم الطبيب الإيطالي سيزار لومبروزو الذي أكد في عام ١٨٧٠م، أن الأوربيين «لم يعودوا قادرين جسمانياً على الاحتفاظ بمتطلبات الحياة المتحضرة». فلومبروزو اكتشف في أثناء تشريحه لجثة اللص

الشهير «فيليلا» الذي ملأ إيطاليا بالرعب، انبعاجاً في جمجمته الخلفية، يشبه الانبعاج الموجود في الحيوانات الدنيا، ولأنه كان شديد الإيمان بنظرية الملامح، التي تربط بين السلوك وملامح الوجه، فقد قال: إن طبيعة «فيليلا» الإجرامية تعود «إلى كونه كائناً يعود إلى صفات الأسلاف ويعيد إنتاج غرائز الإنسانية البدائية الوحشية والحيوانات الدنيا في شخصه»، حينها تعاظم خوف الليبراليين الأوربيين من الانحلال والتفسخ، وهم الذين رفضوا، في السابق، نظريات «جوبينو» الوهمية عن العرق. وما حوّل ذلك التعاظم إلى هاجس قلق هو وصول الليبراليين أنفسهم إلى استنتاج مشابه لاستنتاج الاشتراكيين مضمونه أن الحراك القائم في المجتمع الأوربي على المجالين الاجتماعي والاقتصادي لم يعد يمثل تقدماً.

بعد ذلك يدرس هيرمان التحولات العميقة التي جذرت الانحلال كثقافة بدءاً من مواقف المفكرين السياسيين والاجتماعيين والفيزيائيين، إلى الأعمال الأدبية، إلى درجة قال معها: إنه مع بداية العقد الأخير من القرن التاسع عشر لم يعد أحد ينظر إلى الانحلال أو التفسخ على أنه شيء غريب أو شاذ، وأصبح المفكرون يرونه جزءاً حتمياً من الحياة الحديثة، أما في مطلع القرن العشرين فقد فقد المثقفون - ليبراليين وغير ليبراليين - الثقة في قدرة الحضارة الغربية على تجديد نفسها، وكانوا يذهبون في ذلك إلى أن نسيجها الاجتماعي الحديث «لم يعد قادراً على توفير أي درجة من الحماية للنوع البشري».

هلاك

يبدأ الجزء الثاني من هذا الكتاب بالحديث عما كان سائداً من اعتقاد، في مطلع القرن التاسع عشر، بأن أمريكا هي أرض المستقبل، بل أنيط بها - من قبل البيوريتان وهم مسيحيون متزمتون، والبيلجرمز وهم المهاجرون الإنجليز الذين بنوا أول مستعمرة في نيوانجلند بالولايات المتحدة - أنيط بها حمل رسالة تخليصية لبقية العالم، وهز الأمر الذي أضفى على توسعها الجغرافي الاستعماري مسوغاً دينياً. وإمبراطورية الحرية هو الاسم الذي كان يطلق عليها إشارة إلى رسالة نشر الفضيلة والسيادة الشعبية التي أنيط بها حملها للعالم.

> الثقافة الأمريكية تمجد العنف، والاستعمار، والإبادة الجماعية، وتقوم على ليبرالية مفلسة غذتها نزعة استهلاكية مستغلة، ومتورطة بحقد وإهانة جميع الأقليات

ومنذ ذاك توقع كثيرون الصعود الأمريكي الهائل إلى القمة، حتى أصبحت - أمريكا - تمثل في رأي الكاتب أعلى مرحلة في الحضارة والتقدم. لكن حتى قبل أن يتحقق الصعود الأمريكي أعلن «جي. كيو. آدمز» في عام ١٧٨٥م، بعد أن تبدد أمله في أن يحافظ الأمريكيون على فضائلهم واستقلالهم: «أن الأمريكيين لم يكونوا أبداً أهلا لفضيلة رفيعة»، واعترف بغبائه لأنه قال فيما سبق من حياته: إنهم سيصبحون أفضل من غيرهم، مؤكداً أن أمريكا محكوم عليها بالهلاك «وكان يقول لأصدقائه: لا وجود لعناية خاصة بالأمريكيين، وطبيعتهم هي طبيعة الآخرين نفسها، أي إنهم جشعون، شريرون، أغبياء جامحو الطموح». ورأى أن الانتخابات الأمريكية غير نزيهة؛ لأنها عرضت نفسها للتحالفات الشريرة «بين» الكهنة الكذبة والسياسيين اللئام - كما قال - وبعد ذلك بسنين جاء ولدا - هنري وبروكس - وقالا: إن رسالة أمريكا التاريخية الكونية قد تبددت بسبب عدم جدارة الأمريكيين بحملها.

ثم ينقل المؤلف في صفحات تالية الانحرافات التي كانت قائمة، في القرن التاسع عشر، في أمريكا من الديمقراطية التي اتهموها بالفساد، والتي كانت تبدو بالنسبة إلى آدمزش - حسب المؤلف - امتداداً طبيعياً لنظام اقتصادي منقسم طبقتين، واحدة تسرق والأخرى مسروق منها، إلى فساد الكونجرس.

فساد

السفير البلغاري في أمريكا البارون «جاكوبي» سجل شهادته الشهيرة على المجتمع الأمريكي قائلاً: في تجربتي كلها لم أجد مجتمعاً تجمعت لديه كل عوامل الفساد كما هي في المجتمع الأمريكي. الأطفال في الشوارع فاسدون، يعرفون كيف يغشونني. المدن كلها فاسدة.. وكذلك الأقاليم.. والمشرعون والقضاة. في كل مكان يمنحون الناس الثقة في السر والعلن، ويسرقون الأموال، ويهربون المواد العامة.

لذلك فقد تنبأ بأن واشنطن - في خلال مئة عام، سيحكمها بابوات مثل روما، سابقاً، وإن كان قد مرّ أكثر من مئة عام على نبوءة هذا البلغاري إلا أنها نظل قائمة، وربما عاد إليها محللون

وكتاب بعد زمن، بصفتها نبوءة تحققت. متى سيكون ذلك؟ لا أعرف هل كان سيحتاج إلى أكثر، أو أقل، من مئة عام قادمة، لكني على يقين أن ذلك سيتحقق ولاسيما «الفساد الذي حل محل القضية في التاريخ الأمريكي» مازال قائماً وبقوة.

وكان هنري آدمز «يرى أن صعود أمريكا الجديد نحو العالمية دليل أبعد على انهيارها»، ويعترف السيناتور الأمريكي ألبرت بيفردج أن الأمريكيين جنس غاز ستختفي حضارتهم لتحل محلها حضارات إنسانية أكثر نبالة وقوة.

وفي «صعود التشاؤمية العرقية الأمريكية» تحدث الكاتب عن كتاب «الحياة القومية والشخصية» الذي «تنبأ بأفول واضمحلال الجنسين الآري والإنجلوساكسوني على يد أجناس أخرى من آسيا وإفريقية والشرق الأوسط». وينقل الكاتب التفكير المرتبك لـ «هنري آدمز» الذي وضع شرطين لإيقاف زحف الأجناس السمراء على الغرب الأبيض، وهما إما أن يهزم هذا الأخير الاستوائيين بالحرب، والغزو البدوي مرة أخرى، وإما أن يغلق أبوابه في وجههم.

تناول المؤلف بتفصيل عميق ومسهب، في الفصل السادس، قصة صعود التشاؤمية العرقية الأوربية بشكل عام، والأمريكية منها بشكل خاص، التي قالت: إن دم الأجناس الأخرى سيلوث دمها الأصيل! ويصور نضال المفكرين السود من أجل تسوية دمهم بدماء العرق الآري الأبي، وعلى رأسهم دوبوا الذي جعل من قضية «الزنوج» محوراً رئيساً لتفسير الحضارة الغربية، وعدّ ثقافتهم السوداء أفضل من ثقافة الجنس الأبيض.

وأبرز ما قاله «دوبوا» كان تنبؤه بزوال الحضارة الغربية، ومثل أوزوالد شبنجلر بنى رؤيته تلك على السلوك الاستعماري الذي انبعته الدول الغربية، والذي قال: إنه «دق ناقوس موت الحضارة الغربية.. وفضح القلب المظلم للرجل الأوربي».

وعالم ما بعد الأوربي عند دوبوا هو عالم العودة إلى «الجذور» أي العودة إلى إفريقية، عودة سيكولوجية ستعمل على (تطهير الروح وإزالة الفساد الذي صنعته حضارة بيضاء متحضرة).

وعلى طريقته للاستعانة بالمفكرين استدل المؤلف بإدوارد سعيد الذي قال: إن تفسخ أوربا كان هو النتاج المباشر للإمبريالية والسيطرة الاستعمارية.

وبلغ الاعتزاز بالقومية السوداء حداً جعل «اليجابول»، وهو أحد أتباع صاحب الحركة الزنجية الفاشية «جارفي» يقول - بعد أن أسلم وغير اسمه إلى إليجا محمد - إن «الله هو الكائن



الثقافة الأمريكية تمجد العنف، والاستعمار، والإبادة الجماعية

الأسمى بين أمة من السود الرائعين، بينما الزنجي هو الصانع الأول والأخير ومالك الكون».

لذلك لا نستغرب إن عرفنا أن أحد أتباع «بول» يرى أن «الرجل الأبيض هو الشيطان ذاته»، ولا نستغرب إن عرفنا، أيضاً، أن أحد تلامذة هذا التابع غير اسمه من «مالكولم» إلى «×» كرمز لفقدان هويته السوداء في أمريكا البيضاء حسبما قال له معلمه!!

القيم الكاذبة

كان القدر يتخلى عن «الغرب» أو «أراضي المساء» تاركاً إياها وراءه، بينما ليل أسود يوشك أن يرخي سدوله على مؤسساته وآثاره الباقية. هكذا قال «شبنجلر» في كتابه الشهير «أفول الغرب» الذي ألقى عليه الضوء المؤلف في الفصل السابع من هذا الكتاب، والذي طرح التغيرات الكبيرة التي كانت تنتظر أوربا الواقعة في التفسخ والمقبلة على عواصف الحرب. شبنجلر الذي كان متفائلاً في الحرب العالمية الأولى، بنصر ألمانيا، كان

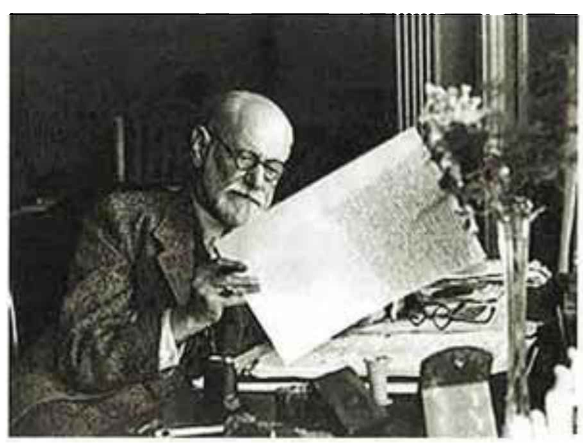
يخشى من أن تنتقل إليها العدوى «الأمريكانية العديمة الروح».

أما بريطانيا العظمى فقد قال مؤرخها الشهير توينبي في العقد الثاني من القرن العشرين: إن دورها كان يقترب من النهاية مرجعاً ذلك إلى تمثلها «للقيم الكاذبة للعصر الفيكتوري المتعجرف الزائف».

الخطر الأكبر على السلام العالمي

توينبي الذي قال: إن الاضمحلال قادم على ثلاث مراحل، هاجم الدافع التوسعي للغرب؛ لأنه يصرف النظر عن تآكل المجتمع الداخلي. وأولى مراحل الاضمحلال - كما نقلها المؤلف - هي حلول الروح الميكانيكية محل قوة تقرير المصير الذي عدّه دافع جميع الحضارات، أما مرحلة الاضمحلال الثانية فهي مرحلة ينفسخ فيها المجتمع وتنحل قيمه.

وضع توينبي علامات الاضمحلال: النخبة الحاكمة تصبح



فرويد

طبقة تجمع بين التفسخ الأخلاقي والإباحية والانحراف الجنسي، والفن المنحط يطل برأسه القبيح، واللغة تتدهور وتصبح نابية وتتحول إلى عاميات قبيحة. وبشكل أو بآخر كان توينبي يرى أن تلك الصفات والمراحل متوافرة في الغرب.

وفي حديثه عن الحضارات يعترف هيرمان أن الإسلام قام «بتحضير» القبائل البدوية في الصحراء العربية مثلما المسيحية أضاءت عصور أوربا المظلمة.

وكما أن توينبي تنبأ بقيام الولايات المتحدة كحضارة كونية جديدة، فإنه رأى مثل غيره من فلاسفة أوربا، أنها تمثل الجانب المظلم للغرب الحديث نفسه. وبقدر ما اعدّ الشيوعية هرطقة غربية، وصفحة منزوعة من العهد القديم، عدّ الولايات المتحدة وإسرائيل أخطر قوتين استعماريتين في عالم الحرب الباردة.

ومكمن الخطر فيهما - كما يقول - ليس لأنهما قوتان عسكريتان فقط، بل لأنهما تمثلان - أيضاً - غرباً منحلاً. وشدد توينبي على أن أعمال الولايات المتحدة وإسرائيل في لاوس، وفيتنام، وفلسطين ليست مجرد جرائم، ولكنها جرائم ومفارقة تاريخية أخلاقية في الوقت نفسه.

وذهب توينبي إلى أن انتصار إسرائيل في حربها ضد العرب دليل أكيد على التفسخ الأخلاقي، وهو من بين قلة من فلاسفة الغرب الذين وصموا احتلال إسرائيل للأراضي العربية بأنه عمل شرير وغير إنساني. ووازن ذلك باحتلال ألمانيا لتشيكو سلوفاكيا وبولندا. وقال: «إن الإسرائيليين أسوأ من النازيين، لأن الإسرائيليين يعرفون بسبب تجربتهم الشخصية، ما كانوا يقومون به وهم يضطهدون العرب السيئي الحظ، بينما يحتمل ألا يكون الألمان يعرفون». وكرر «توينبي» الاتهام الذي وجهه شوبنهاور لليهود منذ زمن بأنهم أسوأ ملامح الحضارة الغربية.

ووصل توينبي الأمر أنه دعا إلى إعادة تنظيم العالم المعاصر على أساس جديد، أساس لا غربي إذا كنا نريد أن يسود السلام والوئام في العالم.

كابوس

«الأنبياء الفرنسيون المحدثون» هو عنوان الفصل العاشر الذي تناول فيه المؤلف أطروحات سارتر، وفوكو، وفانون التشاؤمية، فقد كانت فرنسا، شأنها شأن أوربا، تنتظر التفسخ والانحطاط، لكونه طوفاناً لابد من الوقوع فيه، وبحسب المؤلف فإن ذلك التفسخ كان يعني الرأسمالية البرجوازية والديموقراطية البرلمانية ومجتمعاً تكنولوجياً على النمط الأمريكي.

ويشرح آراء ومواقف سارتر التي كانت تعد «الأمركة» الخطر الحقيقي على أوربا كمرحلة أخيرة للقيم البرجوازية الغربية، وكان يتساءل: ما الذي يمكن أن نتوقع من حضارة تسخر من التقاليد الروحانية الغربية وتهزأ بها، وتجر البشرية نحو وجود أفقي مجزوز الاتساع والعمق؟ غير أنه، مع ذلك، قال: إن الغرب الصناعي ليس لديه ما يقدمه كبديل عن كابوس الهيمنة الثقافية والسياسة الأمريكية.

وذهب سارتر، الذي كان على عداء واضح مع الهيمنة الأمريكية، إلى أن الفيتناميين كانوا يقاتلون نيابة عن كل البشر، وأن الأمريكيين يقاتلون ضد كل البشر.

وبعيداً ذهب فوكو إلى أن التحرر من الغرب البرجوازي يتطلب تحرراً من الإنسان الغربي ذاته، وهذا جزء من طرحه المتعلق بالإنسان الذي رجح اختفاءه.

فلسفة الثورة الدموية التي سيطرت على الوجوديين دفعت بسارتر إلى القول بأن الإرهابي السياسي في العالم الثالث، ليس سوى، إنسان يعيد خلق نفسه، ويضيف إلى ذلك «سلاح الثائر دليل على إنسانيته، أن تقتل أوربيا معناه أنك تقتل عصفورين بحجر واحد أن تدمّر طاغية والإنسان الذي يضطهده». وإذا كان سارتر الأوربي قد قال ذلك عن الأوربيين فماذا عساه يقول عن الأمريكيين لو كان ما زال حيًا اليوم.

«عند فوكو جميع العلاقات حتى بأجسادنا، هي جزء من الصراع نفسه من أجل السلطة أو القوة، لا توجد نقطة مشرقة خارجها، ولا قيود أخلاقية ثابتة على الرغبة الجنسية عندما تسعى السلطة أو القوة..»، لذلك نظر فوكو إلى إصابته بالإيدز كتجربة مغايرة للعطاء، وهو ما جعله يستمر في ممارسة الشذوذ الذي كان يعدّه شكلاً من أشكال الموت يسير فيه، ويمنحه للآخرين براحة بال.

أكد فانون في منتصف القرن الماضي أن تاريخ الغرب وصل إلى نقطة الانحلال والذوبان، موضحاً أنه يندفع الآن نحو الهاوية.

النظام الأمريكي شمولي

سارتر وفوكو وفانون واتجاهاتهم الفكرية أو العقدية (الأيديولوجية) كانوا يقولون - كما يقول المؤلف - إن المؤسسات الغربية والعقلانية الغربية واللغة والخطاب.. حتى صورة الإنسان الغربي عن نفسه كانت كلها نهايات ثقافية مسدودة.

ويوضح الكاتب أن هذه الانتقادات، إلى جانب انتقادات «ماركيوز» و«مدرسة فرانكفورت» كانت نقطة الانطلاق لموجة جديدة من الأيديولوجيات المعادية للغرب. إحدى هذه الأيديولوجيات التي جمعت كل أغراض الاضمحلال الغربي هي التعددية الثقافية التي كان تابعوها يرون أن الحضارة الغربية لا تحتوي على أي ثقافة.

أمريكا، كما يرى نعوم تشومسكي، «تديرها القوى التآمرية الخبيثة للرأسمالية الكبيرة، أقامت إمبراطورية شاسعة بالتحالف مع المصالح الرأسمالية العالمية من خلال «دول إرهابية» في أمريكا اللاتينية، وأعمال عنف «تؤدي إلى إبادة جماعية» في آسيا والشرق الأوسط وإسرائيل».

ويسوي تشومسكي بين ألمانيا النازية وأمريكا مبيناً أن هذه الأخيرة يقودها إصرار على «ردع الديمقراطية» في الداخل، والاحتفاظ بشبكة عالمية من القوة، والإرهاب الوحشي.

وينقل المؤلف تحذير تشومسكي القائل: إن الإمبراطورية الأمريكية مؤسسة محكوم عليها بالفناء «بعض المجتمعات منظم بحيث يقود نفسه إلى دمار منتظر.. والولايات المتحدة مثال على الانتحار (الكوني الحتمي)».

وفي الاتجاه نفسه أخذ المؤلف رأي الناقد جوناثان كوزول الذي توصل فيه إلى أن أمريكا «نظام اجتماعي رائع، غني، خير، معقد، معمر.. منذ الطفولة يتم تدريب الأمريكيين ليكونوا (عاجزين أخلاقيًا)».

ويؤكد كوزول ما لاحظه تشومسكي، وسميلز، و«ماركيوز» من أن «نخبة قوة» تقوم ببناء نظام شمولي في المجتمع الأمريكي دون الحاجة إلى القسر أو القمع المباشر.

وبسبب الإفلاس السياسي والفكري لليبرالية - كما ينقل ذلك عن لاش - «خلقت أمريكا، ما بعد الصناعية، ثقافة ما بعد الحداثة، وهي ثقافة النرجسية.. التي حملت بنفسها منطق الفردانية إلى أقصى مدى له»، ويسقط، بعد ذلك، الشخصية النرجسية، العصابية، التي قال بها فرويد، على الأمريكي الحديث الذي يعيش في عالم مغلق على نفسه، يفتقر إلى العمق الثقافي، وحسبما أوضح - المؤلف - فإن ثقافة الخواء التي يعاني منها المجتمع الأمريكي أسهمت في ترسيخها الثقافة الجماهيرية الأمريكية، وهذا ما جعل الأمريكيين - كما يقول إريك فروم - يفقدون القدرة على الشعور الطبيعي.

ما الذي يمكن أن نتوقع من حضارة تسخر من التقاليد الروحانية الغربية وتهزأ بها، وتجر البشرية نحو وجود أفقي مجزوز الاتساع والعمق

عنصرية

يرجع المؤلف تصنيف علماء الاجتماع لمشكلة الزنوج الأمريكيين التي أجمعوا على أنها تكمن في الفجوة الواقعة بين الاحترام الذي يشعر به الزنوج الأمريكيون تجاه أنفسهم، واحتقار المجتمع لهم. فالزنجي الأمريكي - بحسب ما ينقل عن بيتي جرو - لا يرى في وسائل الإعلام، والحياة اليومية، سوى البيض الذين يحققون النجاح والمكانة الاجتماعية، بينما رفاقه السود مقهورون مجبرون على تلميع الأحذية وتقديم المناشف في دورات المياه.

وكان للاتجاه التعليمي دور كبير في تغييب هوية الزنوج بأمريكا كوطن، وهذا أدى إلى شعورهم بفقدان إحساسهم بذاتهم، ويُرجع كثير من الفلاسفة ذلك إلى حاجة العنصرية البيضاء إلى الإبقاء على الزنوج في وضع التبعية.


منحوتة تمثل توما الإكويني

وبسبب هذا التميز المدرج في ثنايا الحياة اليومية، ذهب جيمس بولدوين إلى أن البيض لن يتمكنوا أبداً من الاعتراف بمساواة السود لهم، لأن ذلك سوف يدمر «هويتهم» التي بنوها على أسطورة التفوق العرقي، ثم إن «السود يدركون، تماماً، ما لا يدركه جيداً الأمريكيون البيض، وهو أن الحلم الأمريكي هو في حقيقته كابوس اغتراب، وعنف، وصراع، من أجل السيادة، (ومن المستحيل أن تتحقق فيه الهوية)..». وربما هذا ما دفع كارمايكل إلى اقتباس عبارة فرانز فانون التي يقول فيها: «إن الولايات المتحدة أصبحت وحشاً شديد البشاعة، والتشوه، نمت فيه كل مفاسد وأمراض ولا إنسانية أوربا».

وإن كان المؤلف قد أصاب عندما عدّ تمجيد المفكرين السود للهوية الثقافية السوداء يتعارض مع دعواتهم إلى الدمج والاستيعاب من المفكرين البيض... لأن الدمج والاستيعاب يتطلبان عدم الشطح بالذات وهويتها بطريقة تنفي الآخر، إلا أنه أخطأ عندما ألح إلى سقوط الهوية السوداء مستدلا بما قاله من أن أهم «عنصر مكون لها كان سلباً من الأساس: تاريخ طويل بائس من العبودية كالأثاث المنقول...».

وفي مكان آخر يشرح الكاتب بشكل مجاف للحقائق، كيف أن المسلمين السود يصرون على إزالة هوية استعبادية زائفة يعيشونها بهوية أصيلة أخرى، ذاهباً في ذلك إلى أن كثيراً منهم غيروا أسماءهم - مثل محمد علي كلاي - متجاهلين «أن الأسماء الإسلامية تعبر عن هوية فرضتها نخبة استعبادية سابقة هم العرب». ومجافاة الحقائق تكمن هنا في وصفه للحقبة الإسلامية - العربية بأنها استعبادية. إذ لا يمكن، بأي حال من الأحوال، المساواة بين الحقبة الاستعبادية التي ما زال يعيشها السود، حتى هذه اللحظة في أمريكا - وبين الحقبة العربية - الإسلامية التي قامت على فكرة تحرير البشر بعضهم من بعض، سوداً كانوا أم بيضاً، وارتفاع نسبة المسلمين السود الأمريكيين دليل على أنهم وجدوا في الإسلام، كدين، ما لم يجدوه في غيره.

إفلاس

يستمر الكاتب في شرحه لثنائية التفسخ والانحلال التي تهدد الحضارة الأمريكية والغربية مستدلاً بـ نعوم تشومسكي، وبارنتي وبارنت، وريتشارد سلوتكن الذين أوضحوا أن الثقافة الأمريكية تمجد العنف، والاستعمار، والإبادة الجماعية، مفصلا ذلك بممارساتها الشريرة للرأسمالية والقمع التكنولوجي، وقيامها على ليبرالية مفلسة غذتها نزعة استهلاكية مستغلة، وتورطها بحقد وإهانة جميع الأقليات.

في خاتمة كتابه هذا يؤكد آرثر هيرمان أن التشاؤم كثقافة، موجود اليوم بين مدرسين، وجامعيين، وفنانين، وطلاب، بمعنى أن التشاؤم لم يبق تاريخاً، وإنما هو اليوم واقع معيش على صعد المجتمع الغربي المختلفة، لهذا أجزم أن الغرب يعيش «حقبة تشاؤم شعبي.. تشاؤم عام بكل المشكلات والقيود التي يفضي إليها المنظور الثقافي»، مبيناً أن «التشاؤمية المعاصرة لا تظهر فقط في الكتابات المورثة للكآبة مثل «نهاية العقل الأمريكي» لـ آلان بلوم أو «المسيرة المترنحة نحو عمورية» لـ روبرت بورك نحن نرى ذلك يتم تعميمه في أفلام مثل (محارب على الطريق)، و(الاستدعاء العام)، و(عالم الماء). و(الهروب من نيويورك)». وعن عمد - كما يقول - قدمت هذه الأفلام مستقبلاً معكوساً للبشرية فيه كل المعايير التقليدية للبربرية، أصبح فيها المجتمع المدني قمعياً ومنفسخاً أوصلته تكنولوجياته إلى حافة الدمار.

وإن كان هذا الكتاب قد درس الاضمحلال، ونشأة التشاؤمية، فإنه أيضاً، أرخ للصورة الإنسانية الليبرالية للإنسان، والمجتمع، فكلمة انسحاب كما يرى صاحبه تحل بشكل أفضل محل الاضمحلال حيث يغادر المسرح الآن - حسب قوله - الممثلون الساطعون للتراث الغربي الليبرالي، واحداً بعد الآخر، ليحل محلهم أنصار الايوجينيا، والعنصرية، والتشاؤمية العرقية، والفاشية، والحداثة، والتعددية الثقافية.

وبينما يقرر المؤلف أن التشاؤمية الحديثة استطاعت تدمير إيمان الغربيين بفكرة الحضارة ذاتها، اعترف أن مشكلتهم ليست في أن ثقافتهم العامة زاخرة بالبذاءات والتفاهات، وإنما مشكلتهم في أن لا أحد بإمكانه تقديم الأرضية الفكرية اللازمة لشيء بديل.

عالم الأندلس:

عبدالملك بن حبيب وتراثه العلمي

خالد بن عبدالكريم البكر
الرياض - السعودية

ينحدر ابن حبيب من أسرة أندلسية تنتمي إلى قبيلة بني سُلَيم العربية، فهو عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة السُّلَمي، واضطرب المؤرخون بعد ذلك في تحديد نوع الانتماء، أهو من صميمهم أم من مواليهم. وبينما ذهب فريقٌ من المؤرخين(١) إلى أن الرجل من صميم العرب، واستظهروا في ذلك بما وجدوه من مكتوبات الخليفة الأموي الحكم المستنصر (ت: ٣٦٦هـ) - وكان عالمًا مشتغلاً بالأخبار والأنساب - والتي نصَّ فيها على صحة نسب ابن حبيب لسُلَيم، رأى فريقٌ آخر أن هذه النسبة لا تثبت إلا عن طريق الولاء(٢)، ولربما كانوا محقين في هذا الرأي لعدة أمور، منها:

- أن والد عبدالملك بن حبيب، اشتغل في مهنة يدوية تتعلق بتحضير أنواع العطورات من الورد(٣)، وهي صناعة لم يمتهنها العرب في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إذ استحوذ النشاط العسكري على معظم جهودهم، وكانت أرزاقهم من أسنة رماحهم، فهم مُدَوَّنون في الجيش الأندلسي على شكل كتائب قبلية، ولكل منهم إقطاع يغل عليه نظير خدمته العسكرية، وذلك قبل إلغاء هذا النظام في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، على يد المنصور بن أبي عامر(٤) (ت: ٣٩٢هـ).

- لم يكن لأسرة ابن حبيب موطن ثابت في الأندلس، فقد انحدر جده من طليطلة إلى قرطبة، ثم اضطر والده إلى النزوح عن قرطبة إلى البيرة، عقب اندلاع ثورة الربض الشهيرة سنة (٢٠٢هـ/ ٨١٧م)(٥) وعلى خلفية القرار الذي أصدره الأمير الحكم (الربضي) بن هشام بإخراج الطارئين على قرطبة واستبقاء ذوي الأصول فيها(٦). ويدل ذلك

على أن هذه الأسرة لا تملك مستغلات عقارية ثابتة لا في قرطبة ولا في غيرها من مدن الأندلس، كما هو شأن القبائل العربية في الأندلس وقتذاك، وإنما كان آباؤه وأجداده يطوفون أرجاء الأندلس متكسبين بما يحسنونه من صنائع.

- أصهر عبدالملك بن حبيب إلى رجل يدعى (عبدالله بن قمر)، فقد تزوج الأخير من ابنة عبدالملك(٧)، ويستدل من اسمه على انتمائه إلى أصول غير عربية.

- استقصى (ابن حزم)(٨) القبائل العربية في موسوعته «جمهرة أنساب العرب»، واعتاد ذكر القبائل العربية القاطنة في الأندلس مع الإشارة إلى أعلامها المبرّزين من فقهاء ووزراء وأعيان، لكنه لم يذكر شيئًا عن عبدالملك بن حبيب.

وعلى الرغم من كل ما سبق؛ فإنه لا يمكن القطع في مسألة انتساب ابن حبيب إلى قبيلة بني سُليم العربية برأي حاسم، ومردُّ ذلك يرجع فيما يبدو إلى عدم اعتناء الأندلسيين بحفظ أنسابهم، إلى أن جاء الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م) واعتنى بهذا الشأن «وكلّف أهل كور الأندلس أن يُلحقوا كل عربي أُخمل ذكره قبل ولايته، وأن يصحّح نسبهم أهل المعرفة بذلك، ويؤلّف من الكتب، ويُرد كل ذي نسب إلى نسبه»(٩).

ولد عبدالملك بن حبيب بعد سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)(١٠) في كورة إلبيرة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من قرطبة، حيث ألقت أسرته عصا التسيار في تلك المنطقة، فنشأ فيها ودبَّ ودرج فوق أرضها، ثم مال إلى طلب العلم حين اشتد عوده واستوى على سوق، وكانت قرطبة يومذاك تعج بالعلماء، فرحل إليها وتلمذ لكبار شيوخها أمثال غازي بن قيس (ت: ١٩٩هـ)، وزياد بن عبدالرحمن اللخمي، وصعصعة بن سلاّم (ت:١٩٢هـ)، ويتضح من ذلك أن عقلية ابن حبيب كانت قابلة للتنوع في صنوف المعرفة، فالأولان مالكيّان بينما الثالث وهو صعصعة بن سلام، أوزاعي المذهب.

ولقد دفع النهم العلمي ابن حبيب إلى الاستزادة من التحصيل، فيمّم وجهه شطر المشرق الإسلامي، حيث كانت أقطاره تحفل بكوكبة من العلماء المرموقين في شتى فنون العلم. وقد قام ابن حبيب بهذه الرحلة في حدود سنة (٢٠٨هـ) أو (٢١٠هـ)(١١)، وهو في العقد الثالث أو الرابع من عمره، فحج وزار، والتقى عددًا من علماء الحرمين الشريفين من أصحاب إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، فسمع عبدالملك بن الماجشون (ت: ٢١٢هـ)، ومطرف بن عبدالله، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وإسماعيل بن أبي أويس. وتوقف بمصر في طريق عودته، فسمع عددًا من علمائها من أصحاب الليث بن سعد، كأصبغ بن الفرج (ت: ٢٢٥هـ)، وأسد بن موسى (ت: ٢١٢) وغيرهما.

يستطيع المتأمل في التراث العلمي الذي تركه ابن حبيب أن يدرك بوضوح مختلف التيارات العلمية التي سعى الرجل إلى نشرها في بلاده، فقد صنف ابن حبيب عددًا كبيرًا من الكتب، بلغت ألفًا وخمسين كتابًا

وقد أظهر ابن حبيب من الجد والمثابرة في طلب العلم، ما جعل شيوخه في المشرق يثنون عليه، فحينما سُئل ابن الماجشون عن رأيه في كل من سحنون (عبدالسلام بن سعيد ت: ٢٤٠هـ)، وعبدالملك بن حبيب، أجاب قائلا «السُّلَمي - يعني ابن حبيب - مقدمه علينا، أعلم من التنوخي - يعني سحنونًا - منصرفه عنا»(١٢). وأما ابن أبي مريم فقد أبدى إعجابه بكثرة مطالعة ابن حبيب للكتب،

وصبره على ذلك، فقال: «كان ابن حبيب عندنا نازلاً بمصر، وما كنت رأيت أدوم منه على الكتاب»(١٣).

لم يقتصر ابن حبيب على لون واحد من ألوان المعرفة، وإنما اتسعت مواهبه ليأخذ بحظ صالح من كل فن من فنون العلم الشائعة في عصره، فجمع علوم العربية إلى علوم الشريعة، واهتم بالأخبار والأنساب والطب، حتى وصفته المصادر بأنه: «جمع علماً عظيماً في رحلته»(١٤)، ومع ذلك فقد ظل بعيداً عن سماء الحياة العلمية في الأندلس حيناً من الدهر، وذلك عقب عودته من رحلته المشرقية. ومن المرجح أن صاحبنا لم يكن ينشد الشهرة وذيوع الصيت، وإلا لاختار السكنى في قرطبة مقر الأمراء ومجمع العلماء، لكنه آثر الانزواء في بلده (البيرة) عاكفاً على نشر العلم بها، حتى علا ذكره وطارت شهرته، وسمع به فقهاء الأندلس وعلماؤها، ورأى فيه قاضي قرطبة يحيى بن معمر بديلاً مناسباً يمكنه من الاستغناء عن مشورة كبار فقهاء قرطبة، كيحيى بن يحيى الليثي، وسعيد بن حسان، وعبدالملك بن الحسن، المعروف بـ (زونان)، وذلك على أثر خلاف نشب بين الطرفين، فاقترح القاضي على أمير الأندلس يومذاك (عبدالرحمن بن الحكم) أن يستدعي عبدالملك بن حبيب للإقامة في العاصمة(١٥). وكان أن استجاب الأمير لرغبة قاضيه، وحينها دخلت حياة ابن حبيب مرحلة من الإثارة، ملأى بالخصومات الفكرية والإنتاج العلمي الوافر.

لقد ورث ابن حبيب الخلاف القديم بين الفقيه يحيى بن يحيى الليثي بالولاء (ت: ٢٣٤هـ) وقاضي قرطبة يحيى بن معمر، فاتسمت العلاقة بينه وبين يحيى بن يحيى بالبرودة والجفاء. لكن الخلاف بين الرجلين لا يمكن تفسيره بكون ابن حبيب انضم إلى معسكر القاضي ابن معمر



تنقلت أسرة ابن حبيب بين دن الأندلس

المناهض لتكتل الفقهاء، إذ لم يلبث ابن حبيب هو الآخر أن اصطدم بقاضي قرطبة، فاعتزل مجلسه، إلا أن ذلك لم يفض إلى تقريب المسافة بينه وبين الفقيه يحيى بن يحيى، ومرد ذلك، فيما يبدو، راجع إلى كون الفقيهين مختلفين في انتمائهما الفكري، فكل واحد منهما يمثل مدرسة متميزة ضمن إطار المالكية. فبينما التزم يحيى بن يحيى ومعه لفيف من فقهاء الأندلس نشر آراء الفقيه المصري المالكي عبدالرحمن بن القاسم العتقي؛ نزع عبدالملك بن حبيب إلى تبني آراء فقيه آخر من المدرسة المالكية المصرية، وهو أشهب بن عبدالعزيز(١٦). وفوق ذلك، فقد وقع بين الفقيهين من أسباب التنافس ما يقع عادة بين المتعاصرين من العلماء والأعلام، مما أدى إلى تعميق الهوة بين الطرفين. لكن أيًا منهما لم يسع إلى هدم جاه الآخر أو النيل منه وتتبع زلاته.

ولقد ضرب ابن حبيب مثالاً رائعًا على هذا السلوك المفعم بالمروءة والوفاء، فعندما لحقت بيحيى بن يحيى الليثي تهمة المشاركة في تدبير مؤامرة تستهدف الإطاحة بأمير الأندلس عبدالرحمن بن الحكم، وتنصيب قاضي قرطبة إبراهيم بن العباس القرشي مكانه، سارع الأمير الأموي إلى الاجتماع بابن حبيب واستشارته في هذا الخطب. وحينئذ كان في استطاعة ابن حبيب النيل من منافسه يحيى بن يحيى الليثي، غير أنه لم يسمح لنفسه أن تتردى في الهاوية، فحفظ زميله في ظهر الغيب، وأثنى عليه قائلا: «... قد علم الأمير ما بيني وبين يحيى ابن يحيى ، ولكني لا أقول إلا الحق. ليس يجيء من عند يحيى بن يحيى إلا ما يجيء مني، وكل ما رفع إليك عليه فباطل...»(١٧).

فيالها من شهادة حق ابتغى بها صاحبها وجه الله والدار الآخرة، ثم إنها تكشف بعدًا آخر من شخصية الفقيه ابن حبيب، وهو عزوفه عن نيل المناصب الكبرى في الجهاز الإداري للدولة، إذ لو كان ابن حبيب راغبًا في جمع المناصب الدينية في يده، لسعى إلى التخلص من منافسيه، لكنه لم يفعل، وإنما اكتفى فقط بعضويته في خطة الشورى. ولربما أتاح له ذلك الالتفات إلى تأليف الكتب ونشر العلم في حلق المساجد وغيرها.

لقد عكف ابن حبيب على التدريس في جامع قرطبة، والتأمت حول كرسيه حلقة علمية وصفها المؤرخون بأنها من أضخم حلق العلم في الأندلس وقتذاك. فقد اجتمع إليه ثلاثمئة طالب من طلاب العلم، بين راغب في الفقه، ومستزيد من الفرائض، وطالب للحديث، ودارس للنحو، مما اضطر ابن حبيب إلى تقسيم حلقته تقسيمًا علميًا، فجعلها ثلاثين مجموعة حسب الميول العلمية لكل منها، وبلغ من تفانيه وصبره على الإقراء والتدريس أنه كان يجلس يوميًا لطلابه(١٨).

وكل ذلك مما يدل دلالة بيّنة على الفكر الموسوعي لهذا العالم المتميز، وقد عبَّر عن ذلك أحد طلابه الوافدين من طليطلة، فقال: «... ثم دخلت إلى عبدالملك فرأيت طرازًا غير الطراز الذي رأيت...»(١٩).

وليس غريبًا بعد ذلك، أن يبرز عدد من طلاب العلم ممن تلمذوا لابن حبيب، ونهلوا من علمه، فيشقوا طريقهم نحو قيادة الفكر الإسلامي في الأندلس، حتى صاروا علماء يشار إليهم بالبنان، من أمثال الفقيه الذائع الصيت بقيّ بن مَخْلَد (ت: ٢٧٦هـ) ومعاصره محمد بن وضاح (: ٢٨٧هـ) وزميلهما يوسف بن يحيى المَغَامي (: ٢٨٨هـ).

لم يقتصر ابن حبيب على لون واحد من ألوان المعرفة، وإنما اتسعت مواهبه ليأخذ بحظ صالح من كل فن من فنون العلم الشائعة في عصره، فجمع علوم العربية إلى علوم الشريعة، واهتم بالأخبار والأنساب والطب

وجديرٌ بالذكر؛ أن بقيًا وابن وضاح قد ساهما بشكل كبير في الترويج لدراسة الحديث في الأندلس. فبفضل جهودهما «صارت الأندلس دار حديث»(٢٠).

ولم يعد المتعلمون ليقتصروا في دراساتهم على الاستزادة من الفقه المالكي وشروحه فقط. وأحسب أن لابن حبيب يدًا في هذا التطور النوعي في تحصيل العلوم والمعارف الشائعة في ذلك الوقت، فبقيّ بن مخلد وابن وضاح هما من كبار تلامذته، وقد وقفا بنفسيهما على الاتجاهات العلمية السائدة في حلقة شيخهما عبدالملك بن حبيب، ولا سيما اتجاهه إلى دراسة الحديث ونشره، وإن كانت محاولاته الأولى في هذا المضمار لم يكتب لها النجاح المنشود.

ومن المحقق أنهما تأثرا بهذا المنهج المتميز لابن

حبيب، فعقدا العزم والنية على تتميمه وتطويره.

ويستطيع المتأمل في التراث العلمي الذي تركه ابن حبيب؛ أن يدرك بوضوح مختلف التيارات العلمية التي سعى الرجل إلى نشرها في بلاده. فقد صنف ابن حبيب عددًا كبيرًا من الكتب، بلغت ألفًا وخمسين كتابًا(٢١). ولئن سمحنا للمبالغة بحصتها المعهودة في مثل هذه الروايات، إن ما تبقى ليدل على أن كتب ابن حبيب تمثل في مجموعها ثقافة العصر. فقد تناولت مؤلفاته علوم الشريعة إلى علوم العربية، ثم التراجم والطبقات والسِّير والمناقب، فالتاريخ والأنساب، فالسياسة الشرعية، فالطب، إلى غيرها من فنون المعرفة الشائعة في ذلك الوقت.

وفيما يأتي قائمة بأسماء بعض المؤلفات التي صنفها ابن حبيب، وفقًا لما ورد في مصادرنا:

أ ـ الفقه:

«الواضحة في السنن والفقه» ويعد هذا الكتاب من أمات مصادر الفقه المالكي، ومع ذلك فقد خالف ابن حبيب مالكًا في بعض المسائل الفقهية التي أثبتها في كتابه هذا(٢٢)، و«كراهية الغناء»، و«الجامع في مناسك النبي صلى الله عليه وسلم»، و«الورع في العلم»، و«الورع في المال»، و«الرياء»، و«الحكم والعمل بالجوارح»، وكتاب «الفرائض»، و«الجامع في الفقه».

لم يكن لأسرة ابن حبيب موطن ثابت في الأندلس، فقد انحدر جده من طليطلة إلى قرطبة، ثم اضطر والده إلى النزوح عن قرطبة إلى البيرة، وكان آباؤه وأجداده يطوفون أرجاء الأندلس متكسبين بما يحسنونه من صنائع

ب ـ الحديث:

كتاب «غريب الحديث»، و«تفسير الموطأ» و«مصابيح الهدى».

جـ ـ التفسير (علوم القرآن):

«تفسير القرآن الكريم»، ويقع في ستين جزءًا، و«رغائب القرآن»، و«الناسخ والمنسوخ»، وكتاب «القارئ».

د ـ السياسة الشرعية:

«سيرة الإمام في الملحدين»، و«السلطان» و«سيرة الإمام».

هـ ـ الزهد:

«الرغائب والرهائب» و«المواعظ» و«الفضائل».

و ـ التراجم والطبقات:

«طبقات الفقهاء والتابعين»، و«طبقات المحدِّثين».

ز ـ السير والشمائل والمغازي:

«فضائل النبي صلى الله عليه وسلم»، وكتاب «المغازي»، و«مغازي مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وكتاب «الرهون والبدء والمغازي والحدثان»، و«كتاب المسجدين»، ولعله في وصف مكة والمدينة أو في ذكر فضائلهما.

حـ ـ المناقب:

كتاب «فضائل الصحابة»، و«فضائل عمر بن عبدالعزيز»، «فضائل مالك بن أنس».

ط ـ علوم العربية:

«إعراب القرآن»، وكتاب «الشعراء الأبرار» وقد نظر فيه الفقيه يحيى بن عمر الكناني (ت: ٢٨٩هـ) وأبدى إعجابه بمحتوياته(٢٣)، و«أدب النساء» الموسوم بـ «الغاية والنهاية»: وقد نشرته دار الغرب الإسلامي عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، بتحقيق الدكتور عبدالمجيد تركي. ويبدو أن لهذا الكتاب عنوانًا آخر، أوردته مصادرنا، وهو: «الباه والنساء»، وكتاب «السخاء واصطناع المعروف».

ي ـ التاريخ والأنساب:

ـ كتاب التاريخ «مبتدأ خلق الدنيا»: وقد نشر الدكتور محمود علي مكي الجزء الخاص بالأندلس من هذا الكتاب في مجلة معهد الدراسات

الإسلامية، بمدريد، عام ١٩٥٧م. ثم قامت دار الكتب العلمية في بيروت، بنشر الكتاب سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، باعتناء سالم مصطفى البدري، وكتاب «حروب الإسلام» و«النسب»، و«أخبار قريش وأنسابها»، ويقع في (١٥) جزءاً.

ك ـ الطب:

كتاب «طب العرب»، وقد نشره محققاً محمد العربي الخطابي في مجلة «دعوة الحق»، عام ١٩٨٦م/١٤٠٧هـ، و«الحسبة في الأمراض»، ولقد صنف ابن حبيب كتاباً في النجوم، ومن المحتمل أنه تناول فيه بعض المسائل المتعلقة بعلم الفلك.

ولا شك أن هذا الكم الهائل من المؤلفات التي أنجزها ابن حبيب، قد انتزعت إعجاب معاصريه من العلماء، ووقعت من نفوسهم موقعاً طيباً، فها هو ذا العتبي يقدم شهادته في التراث العلمي لابن حبيب، فيقول: «رحم الله عبدالملك، ما أعلم أحداً ألف على مذهب أهل المدينة تأليفه، ولا لطالب أنفع من كتبه ولا أحسن من اختياره»(٢٤).

وسجل عبدالأعلى بن معلى كلمة حق في مؤلفات ابن حبيب، فقال: «هل رأيت كتباً تحبب عبادة الله إلى خلقه، وتعرِّفهم به ككتب عبدالملك بن حبيب»(٢٥).

وعلى الرغم من كل ما سبق؛ فإن ابن حبيب لم يسلم من النقد، فقديماً قالوا: «من ألّف فقد استهدف». فبينما كان تأليف الكتب من المناقب العلمية التي تشهد لصاحبها بسعة الأفق وقوة الإدراك وغزارة العلم وسيولة الذهن؛ فإن المتقدمين طعنوا على ابن حبيب بكثرة مؤلفاته، ووصفوه بأنه يستجيز الأخذ بلا رواية، ولا مقابلة، بل وتجرأ بعضهم فاتهمه بالكذب، كما فعل أبوعمر بن عبدالبر، لكن القاضي عياض ردَّ هذا الاتهام(٢٦).

وانبرى آخرون للدفاع عن ابن حبيب، ومنهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت: ٣٥٥هـ) الذي قال في حقه: «لو لم يكن من فضل عبدالملك إلا أنك لم تجد لمن يحكي عنه معارضته والردَّ لقوله ساواه في شيء. وأكثر ما نجد أحدهم يقول: كذب عبدالملك أو أخطأ، ولا يأتي بدليل على ما ذكره»(٢٧).

ومهما تباينت الآراء في تقويم إنتاجه العلمي؛ فلسوف تظل شخصية عبدالملك بن حبيب علامة فارقة في تاريخ الفكر الأندلسي، ويكفي هنا أن نستحضر قول الفقيه الأندلسي محمد بن عمر بن لبابة في وصف ابن حبيب: «... عبدالملك بن حبيب، عالم الأندلس»(٢٨).

ومثله قول سحنون حينما نعي إليه ابن حبيب، فقال: «مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا».

وكان ابن حبيب قد انتقل إلى جوار ربه سنة ٢٣٨هـ، فرحمه الله وجزاه عن العلم خير ما يجزي به الصالحين من عباده.

المراجع

١ـ القاضي عياض، ترتيب المدارك، المجلد الثاني، ص٣٠.
٢ـ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٤٥٩.
٣ـ الخشني، أخبار الفقهاء، ص٢٤٥.
٤ـ أبوبكر الطرطوشي، «سراج الملوك»، ص١٠٧، وابن رضوان المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص٣٦٩ ـ ٣٧٠.
٥ـ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٥٤.
٦ـ الخشني، أخبار الفقهاء، ص٢٧١.
٧ـ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٣٧٣.
٨ـ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، د.ص.
٩ـ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
١٠ـ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص١٠٢.
١١ـ عياض، ترتيب المدارك، المجلد الثاني، ص٣١؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص١٠٣.
١٢ـ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٤٦٢.
١٣ـ الخشني، أخبار الفقهاء، ص٢٤٨.
١٤ـ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ١٥٤.
١٥ـ الخشني، قضاة قرطبة، ص٥٠.
١٦ـ المصدر نفسه، ص٥٠.
١٧ـ المصدر نفسه، ص٥٢ ـ ٥٣.
١٨ـ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ١٥٤.
١٩ـ الخشني، أخبار الفقهاء، ص٢٤٦.
٢٠ـ ابن حيان، المقتبس من تاريخ رجال الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، ص ٣٦٤.
٢١ـ عياض، ترتيب المدارك، المجلد الثاني، ص٣٦.
٢٢ـ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج١، ص١٠٨.
٢٣ـ الخشني، أخبار الفقهاء، ص٢٤٦.
٢٤ـ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٥٥.
٢٥ـ المصدر نفسه، ص١٥٥.
٢٦ـ عياض، ترتيب المدارك، المجلد الثاني، ص٣٧.
٢٧ـ المصدر نفسه، ص٣٨.
٢٨ـ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٤٦١.



ندوة «الإسلام وحوار الحضارات»
بمكتبة الملك عبد العزيز العامة

الأمير سلطان يرعى حفل
توزيع جائزة الملك فيصل العالمية

الأمير سلمان يفتتح مركز البابطين
للتراث والثقافة

صحفي من زيمبابوي
ينال جائزة حرية الصحافة

مؤتمر «الاستشراق: حوار الثقافات»
في عمّان

رحيل أنور الجندي والرزاز والبريكان
والمئوية الثانية لـ «هوجو»



خاتمة المطاف

قد يكون طفلك موهوباً .. كيف تكتشفه؟

الإسلام وحوار الحضارات



الأمير عبدالله بن عبد العزيز

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني والرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة تقيم المكتبة في الفترة من الثالث حتى السادس من شهر المحرم سنة ١٤٢٣هـ ندوة عالمية بعنوان «الإسلام وحوار الحضارات»، في قاعة الأنشطة الثقافية بالمكتبة، وذلك ضمن برنامجها الثقافي لهذا العام.

وتسعى المكتبة من خلال هذه الندوة إلى بيان مفهوم الحوار وتوضيح المفاهيم الأساسية لتعامل الإسلام مع الحضارات الأخرى، وتأكيد أن الإسلام دين الحوار والتواصل مع الحضارات بإرسائه القيم والمبادئ التي يجب أن يقوم عليها الحوار بين الحضارات.

ويشارك في الندوة نخبة من الباحثين والمفكرين والأكاديميين المسلمين والأجانب من جميع أنحاء العالم. ويناقش هؤلاء العلماء موضوع الندوة من خلال ثلاثة محاور تعنى بطبيعة التواصل الحضاري وماهيته: صراع أم حوار؟ وعلاقة الإسلام بالحضارات الأخرى، وقضايا حضارية معاصرة.

الجدير بالذكر أن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة سبق لها أن نظمت عدداً من الندوات الدولية مثل: «استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات سنة ١٤١٢هـ»، و«اللغة العربية والتقنيات المتقدمة سنة ١٤١٤هـ»، و«الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات سنة ١٤١٤هـ»، و«مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي سنة ١٤٢٠هـ»، و«مستقبل الثقافة في العالم العربي سنة ١٤٢١هـ».

وكانت «الفيصل» قد أشارت إلى قيام هذه الندوة من قبل، إذ كان مقرراً إقامتها في الفترة من ١٩ إلى ٢٢ شعبان سنة ١٤٢٢هـ الموافق (٤ ـ ٧ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ٢٠٠١م).

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الأمير سلطان رعى حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام مساء يوم السبت ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٤٢٢هـ (٩مارس/آذار عام ٢٠٠٢م)



الأمير سلطان بن عبد العزيز يقدم الجوائز إلى الفائزين وإلى جواره الأمير خالد الفيصل

حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م على الفائزين بها من رواد الفكر والثقافة والأدب والعلوم والطب في العالم.

وألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية كلمة ترحيبية أعرب فيها عن عظيم شكر مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية لسمو الأمير سلطان بقبول إطلاق اسمه الكريم على قاعة الفيصلية التي أصبحت اسمها قاعة الأمير سلطان الكبرى بالفيصلية، وجاء في كلمته «تتعرض أمتنا اليوم لهجمة إعلامية شرسة، استهدفت حضارتنا وثقافتنا، وكأن الحضارة الإنسانية ليست حضارة واحدة، يبني حديثها على أكتاف سابقها». وأضاف سموه «فما أخالها إلا حضارة واحدة بدأت منذ الخليقة، ولحكمة إلهية تنتقل بين الشرق والغرب، فإن كنا نأخذ اليوم منها، فقد سبق أن أعطيناها، وما زلنا نساهم في إذكائها، ولعلنا نقدم بهذه الجائزة دعوة صداقة ومودة للعالم أجمع ليقف معنا على قيم حضارتنا، وأسس ثقافتنا التي تحتفي بالعلم، وتكرم

العلماء من دون عنصرية أو لون أو عرق، إننا بكل اعتزازنا بتاريخنا الحضاري، وبكل ثقة في حاضرنا الثقافي نقول للجميع: نحن معكم، شركاء في المسيرة، لا أتباع في القافلة».

وقدم الأمين العام لجائزة الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين الفائزين بالجائزة لهذا العام، وذكر حيثيات حصولهم عليها، إذ منحت جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى لاتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة ـ حاكم الشارقة، وقد رشحته لنيل الجائزة كل من الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

وجاء في كلمته بمناسبة تسلمه الجائزة «إنه لمن فضل الله ومنته علينا أن وفقنا جميعاً لنجتمع اليوم من أجل خدمة الإسلام والمسلمين، ومما زاد من فضله سبحانه وتعالى وكرمه أن يكون اجتماعنا في هذا البلد الطيب؛ الذي شرفه الله بأن جعله مهبطاً لرسالة الإسلام التي حملها خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه».

الشيخ سلطان القاسمي

حسام الدين الخطيب



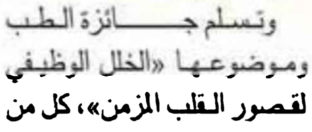
يوجين برونولد

حسني محمود حسين

ومنحت جائزة الأدب وموضوعها: «الدراسات التي تناولت الأدب العربي الفلسطيني الحديث لكل من الأستاذ الدكتور حسام الدين أمين الخطيب السوري الجنسية، والأستاذ الدكتور حسني محمود حسين، الأردني الجنسية ـ رحمه الله ـ وألقى الدكتور الخطيب كلمة بمناسبة تسلمه الجائزة جاء فيها: «فقد كانت جائزة الملك فيصل العالمية على مدى العقود الماضية غرسة طيبة أصلها ثابت في التراب المقدس الغالي، وفرعها شاخص إلى الأعالي» وأضاف: «إنه لشرف عظيم لأي عالم من الأرض العربية، وفي ديار الإسلام، وفي دنيا الله الواسعة. أن يلتمع اسمه فوق ورقة من أوراق الشجرة الوارفة. فكيف بعبد فقير مثلي!!» ووجه الخطيب شكره إلى والده أول معلم له، وإلى أساتذته في المراحل الدراسية المختلفة، وإلى السيدة حرمه.

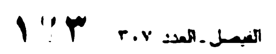
أما الدكتور حسني ـ رحمه الله ـ فقد ألقى كلمته نيابة عنه ابنه المهندس ضياء الدين حسني محمود جاء فيها: «هذا اليوم يوم عظيم في دلالاته الحضارية والعلمية، فهو رمز معبر للمجد العربي والإسلامي يذكرنا بتلك الأيام الخوالي من الحضارة العربية والإسلامية في أزهى عصورها، وأن هذه الجائزة العظيمة لتعد بحق حلماً باهراً من ملامح حضارة الأمة».

وكان الدكتور حسني ـ رحمه الله ـ قد قال كلمة قبل وفاته: «وأنا اليوم شديد الاعتزاز بما أكرمني به الله سبحانه وتعالى بعد هذا الجهد الذي استغرق نصف عمري وأكثر، إنني مغتبط بهذا التقدير الذي نالته أعمالي وفي أثناء حياتي، وهذه الجائزة بذلك تكسر القاعدة المعمول بها في بلادنا على الأغلب تكريم الأديب بعد وفاته».



وتسلم جائزة الطب وموضوعها «الخلل الوظيفي لقصور القلب المزمن»، كل من الأستاذ الدكتور فن واقستين الدانماركي الجنسية (مشاركة) مع الأستاذ الدكتور يوجين برونولد الأمريكي الجنسية.

وتحدث الدكتور واقستين عن فوزه قائلاً: «إن اختياري للفوز مناصفة بجائزة الملك فيصل العالمية في الطب لهذا العام شرف عظيم لي. فلهذه الجائزة مكانة رفيعة لدى الباحثين الطبيين في أرجاء العالم، وحسب علمي، فأنا ثاني فائز بها من الدول الإسكندنافية، لذا فإني أشعر بسعادة غامرة لمجيئي مع أفراد أسرتي إلى الرياض لتسلم الجائزة،



إن جائزة الملك فيصل للطب تذكرنا لاشك بما لقيه الطب العيادي والبحث الطبي والعلوم والرياضيات من اهتمام عظيم عند العرب منذ فجر الإسلام.

أما الدكتور يوجين برونولد فقد قال في كلمته: «إن تخصيص جائزة الطب لهذا العام لأمراض القلب له دلالة عظيمة، إذ تشير الدراسات الوبائية إلى أن أمراض قصور القلب سوف تصبح بعد حلول عام ٢٠٢٠م أي بعد ثمانية عشرة عامًا فقط من الآن أهم مسببات الموت على نطاق العالم».

وفاز بجائزة الملك فيصل للعلوم لهذا العام وموضوعها: «الرياضيات» كل من الأساتذة: الدكتور يوري مانين الروسي الجنسية، والدكتور بيتر شور الأمريكي الجنسية.



فن واقستين

يوري مانين



بيتر شور

وجاء في كلمة الدكتور يوري مانين التي ألقاها نيابة عنه الدكتور عبدالله بن محمد الراشد مدير جامعة الملك خالد بأبها: «يسعدني ويشرفني قبول جائزة الملك فيصل العالمية في الرياضيات لسنة ٢٠٠٢م، لقد عرفت الرياضيات منذ عهد جاليليو بأنها لغة الطبيعة، وهي بالفعل اللغة التي تعبر عن كافة المفاهيم العلمية للمادة، وعلاقة المسافة بالزمن، وكثير من أسرار الكون، كما أن الرياضيات تؤثر في فهمنا لذواتنا ـ في كافة شؤون حياتنا اليومية، فتطوير كثير من الوسائل التقنية يحتم الاستعانة بالأدوات الرياضية المتطورة».

عقب ذلك ألقى الدكتور بيتر ويليستون شور كلمة قال فيها: «إنه لشرف عظيم أن أنال جائزة الملك فيصل، وأود أن أنتهز هذه الفرصة للتعبير عن شكري للجنة الاختيار للجائزة وللأساتذة الذين رشحوني لها ولكل من قام بالتخطيط والإعداد لهذه المناسبة، إن أحد أسباب منحي الجائزة اكتشافي خوارزمية تمكن الحاسوب الكاونتي ـ وهو حاسوب افتراضي نأمل أن يتم صنعه في وقت ما ـ من هذا القرن ـ من تحليل الأعداد الضخمة إلى عواملها الأولية، وذلك بسرعة تفوق كثيرًا كلفة الحواسيب الرقمية التقليدية، وكما هو الحال في أي اكتشاف علمي أو رياضي. فإن اكتشافي لم يأت من فراغ، وإنما بني على ما أنجزه الآخرون من قبلي»، وأضاف: «أن الخوارزمية سلسلة خطوات متتالية تتبع للوصول إلى الحساب، ولأن الحواسيب بطبيعة الحال لا تفكر، فلابد أولاً من وضع خوارزمية لحل المسألة الرياضية، ومن ثم برمجة الحاسوب لتنفيذها. وأشار إلى أن الكلمة Algorithm مشتقة من اسم عالم الرياضيات العربي محمد بن موسى الخوارزمي الذي وضع نظام الكسور العشرية في القرن التاسع الميلادي.

الجدير بالذكر أن جائزة الملك فيصل قد بلغت عامها الرابع والعشرين، فاز بها عبر هذه السنين في مجالاتها المختلفة (١٥٤) فائزًا من (٣٦) دولة تتصدرها الولايات المتحدة الأمريكية بـ (٢٩) فائزًا، تليها مصر بـ (٢٧) فائزًا، ثم بريطانيا بـ (١٦) فائزًا، فالسعودية بـ (١٣) فائزًا.

وقد حددت مجالات الجائزة في سنتها الـ ٢٥ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) هما:

أولاً: مجال الدراسات الإسلامية: الدراسات التي تناولت التاريخ الاقتصادي عند المسلمين لمنطقة أو حقبة زمنية.

ثانياً: اللغة العربية وآدابها: الدراسات التي عنيت بالتعريف بالمصطلحات الأدبية والنقدية.

ثالثاً: مجال الطب: سرطان الثدي.

رابعاً: مجال العلوم: الكيمياء.

افتتاح مركز البابطين للتراث والثقافة

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض مساء الأحد ١٠ مارس/آذار الماضي حفل افتتاح مركز البابطين الخيري للتراث والثقافة.

وقال سموه في كلمته «إن الوطن يستحق كل العناية، ويستحق بذل المزيد في خدمته، من خلال إنشاء المراكز الثقافية والاجتماعية وغيرها لإفادة البلاد»، وذكر «أننا أمة وفية تحب الوفاء، وأن عبداللطيف البابطين وفي لوطنه ولوالده، وأن هذا الوفاء دفعه إلى إنشاء هذا المركز وتبرعه بثروته الكبيرة من المخطوطات والكتب النادرة»،



الأمير سلمان بن عبد العزيز أثناء الافتتاح

وعبّر الأمير سلمان بن عبدالعزيز عن سعادته بمشاركة أدباء ومثقفين من مختلف البلدان العربية في افتتاح هذا المركز بمدينة الرياض. وتجول الأمير سلمان في مرافق المركز وقاعاته المختلفة، ثم دشن موقع المركز على الإنترنت.

وذكر المشرف العام على المركز عبدالرحمن بن عبداللطيف البابطين أن المركز يعد صرحاً تراثياً وثقافياً أسسه على نفقته الخاصة أرضاً وبناء وتأثيثاً وزوده عبداللطيف بن سعود البابطين بجهده وماله وجل وقته، وهو المحطة الرابعة في رحلة البابطين في عالم التراث والثقافة بعد المكتبات الثلاث الخاصة بالمخطوطات والكتب والدوريات. وأشار المشرف العام إلى أن المركز وضع أساس مبناه سنة ١٤٢١هـ متزامناً مع اختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية، وهو اليوم يفتتح بمناسبة احتفاءات المملكة بالذكرى العشرينية لتولي خادم الحرمين الشريفين حفظه الله الحكم في هذه البلاد.

وأكد البابطين أن المركز يعدّ فريداً في خدماته وتقنياته بدءاً من المداخل التي تخدم الفئات الخاصة من المعاقين والمصاعد الكهربائية الأتوماتيكية المقننة آلياً للتشغيل والأجهزة المتطورة في مجال نظام حماية المخطوطات من الكوارث تتمع لأكثر من ٨٠.٠٠٠ مخطوطة ووسائل التلفزة السمعبصرية وأرفف العرض للكتاب التي تتحرك آلياً للمستفيد، وكذا وسائل الاتصال الإلكتروني والإنترنت بالمراكز العالمية.

وتبلغ مقتنيات المركز أكثر من أربعمئة ألف كتاب من نوادر الكتب المطبوعة بصف الأحرف البارزة التي طُبعت بالمطابع القديمة قبل قرن ونصف القرن من الزمن، وهنالك قسم آخر من كتب التراث المطبوعة بالمطابع الحجرية التي سبقت الطباعة الحديثة بثلاثة قرون، كما تتوافر في المركز الكتب العربية النادرة التي طبعت في أوربا باللغة العربية منذ القرن السادس عشر الميلادي.

أما المخطوطات فتبلغ حصيلة المركز منها أكثر من أحد عشر ألف مخطوط في مختلف فنون العلوم: كعلوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتاريخ، والجغرافيا، والسير، والطب، والصيدلة، والفروسية، والصيد، وغيرها، من مختلف القرون، كالقرن السادس والخامس والرابع وحتى القرن الثالث، وبعض هذه المخطوطات فريدة تمثل النسخة الوحيدة للمؤلف في العالم إذ لا ثاني لها، ولم يرد لها اسم في كتب الفهارس أو المعاجم.

أما المصاحف فيوجد بالمركز أكثر من مئة وخمسين مصحفاً مختلفة الأحجام والأشكال والخطوط، منها العباسي والأندلسي والسلجوقي والسمرقندي والمغولي وغيرها، وبعض هذه المصاحف مزخرف وموشى بالمنمنمات العربية بألوانها الزاهية.

كذلك يوجد بالمركز نحو ألف وخمسمئة دورية من صحف ومجلات صدر بعضها منذ قرنين من الزمان، بالإضافة إلى ذلك يوجد بالمركز مجموعة نادرة من المسكوكات والعملات القديمة الذهبية منها والفضية والبرونزية تمثل أقدم عصور التاريخ.

الدورة الرابعة لجائزة أمين مدني

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة، تعقد جائزة أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية الدورة الرابعة لها يوم الأربعاء ٢٠ من المحرم ١٤٢٣هـ (٣ أبريل/نيسان ٢٠٠٢م).

وقد فاز بهذه الجائزة في دورتها الحالية كل من الأستاذ عاتق بن غيث البلادي الباحث في الجغرافيا والتاريخ والأنساب وجغرافية الجزيرة العربية، وذلك عن موضوع

المدن الإسلامية في الجزيرة العربية «تاريخ وحضارة»، ولإنتاجه العلمي المتواصل، وتأليفه سلسلة من المؤلفات عن مكة المكرمة ومعالم الحجاز وتاريخها وجغرافيتها وأوديتها وسكانها ومعالمها وشعرائها، والفائز الثاني (مناصفة مع البلادي) دارة الملك عبدالعزيز، وذلك عن موضوع تأثير الدعوة الإصلاحية التي قامت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري في وسط الجزيرة العربية في النهضة العربية الحديثة، وكذلك لدور الدارة في خدمة تاريخ المملكة العربية السعودية، والمحافظة على آثار مؤسسها وتوثيقها.



الأمير مقرن بن عبد العزيز

نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية

ضمن نشاطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لهذا العام قدم الدكتور الشاهد البوشيخي مدير معهد الدراسات المصطلحية ورئيس وحدة القرآن والحديث بالدراسات العليا في جامعة سيدي محمد بن عبدالله في كلية الآداب - ظهر المهراز - فاس، محاضرة بعنوان «نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية» بدأها بـ «مقدمة في الواقع الحالي للاهتمامات المصطلحية» أوضح فيها: «أن المصطلح عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤية، والرؤية نظّارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي، وأن مدار عمل الشيطان وحزبه، مذ إبليس إلى قيام الساعة على محاولة تغيير المفهوم وتبديل المصطلح، أي تغيير الدين والفطرة والخلق»، ثم أشار إلى أن أغلب المصطلحات التي تقوم عليها الحياة كالخير والشر والعدل والظلم والحق والباطل والسلام والإجرام غير مفاهيمها



الشاهد البوشيخي

العالون في الأرض أصحاب الأهواء ولووا أعناقها كما لوى فرعون عنق مفهوم الفساد، وهو يقول عن موسى عليه الصلاة والسلام «وإني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد» غافر: ٢٦.

وأوضح المحاضر أن «الاهتمام بالمسألة المصطلحية اليوم حيثما كان، في أمتنا، قد ولى وجهه كلية، أو كاد، شطر المصطلح الوافد، حتى إن المؤسسات والأفراد أصبحت تتسابق في تلقي المصطلح الوافد، أما الاهتمام بمصطلح الذات الذي هو خزان الممتلكات، والذي يجب أن يكون على رأس الأولويات، فلا يكاد للأسف يحظى بأدنى التفات».

ثم تناول بعد ذلك بالتفصيل «مفهوم المسألة المصطلحية» والمفهوم الذي يستخلص منها وهو: قضية الترجمة والتعريب للمصطلحات الأجنبية اليوم في العالم العربي، ثم تناول «أبعاد المسألة المصطلحية» الثلاثة:

- علاقة المسألة المصطلحية بماضي الذات.
- علاقة المسألة المصطلحية بحاضر الذات.
- علاقة المسألة المصطلحية بمستقبل الذات.

وتحدث بعد ذلك عن «مجالات الدراسة المصطلحية» موضحاً أن المجال المألوف في التصور العادي المعروف للمسألة المصطلحية، هو مجال العلوم المادية، وأقصى امتداد له ينتهي عند نهاية مجال العلوم الإنسانية، لأنهما - بهذا الترتيب - مظنه الحضور الطبيعي للمصطلح الوافد الذي هو في البؤرة، أما في التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية فإن المجالات تصير ثلاثة، وبهذا الترتيب المخالف للمألوف: مجال الشرع وعلومه، ثم مجال الإنسان وعلومه، ثم مجال المادة وعلومها.

كذلك تحدث الشاهد عن «المسألة المصطلحية والشهود الحضاري للأمة»، وبين أن موقع الأمة هو الشهادة على الناس وهو جعلٌ من الله رب الناس ملك الناس إله الناس، كما جعل آدم في الأرض خليفة، وكما جعل إبراهيم إماماً للناس، ثم أوضح أن لا شهادة بغير أهلية للشهادة، ثم عدّد شروط الأهلية.

وعرّج الشاهد بعد ذلك للحديث عن العولمة وتحدياتها، وقال عنها: إنها أضخم وأشرس غول أمكن لعبدة العجل إنتاجه، وأوضح أن أسلحتها لتدمير الحضارات والثقافات والديانات هي المصطلحات، مثل مصطلح حقوق

الإنسان، ومصطلح الشرعية الدولية، ومصطلح الديمقراطية، ومصطلح النظام العالمي الجديد.

أما أقوى مصطلح تم الإعداد له حتى الآن فهو مصطلح الإرهاب الذي وضع كذريعة فعّالة للتدخل في الخصوصيات للقضاء على كل الخصوصيات، ونبه المحاضر على أن المستهدف الأول من هذه الحرب المصطلحية هو الإسلام.

وختم المحاضرات بالبحث في مستعجلات المسألة المصطلحية وأوجزها في تسع نقاط.

البرلمان العالمي للكتّاب يتضامن مع الفلسطينيين

ذكرت صحيفة الحياة اللندنية أن البرلمان العالمي للكتّاب سيعقد لقاء تضامنياً مع الشعب الفلسطيني، وذلك في مدينة رام الله التي تحاصرها الآلة العسكرية الإسرائيلية، وسيشارك في هذا اللقاء الذي يعقد في الأيام المقبلة عدد من المثقفين والكتّاب العالميين أمثال البرتغالي جوزيه ساراماغو، والنيجيري وول شوينكا، وجاك دريدا فيلسوف التفكيك الفرنسي، والأمريكيين نعوم تشومسكي، ونورمان فنكلشتاين.

نعوم تشومسكي

وكان عدد من الكتاب العالميين قد وقعوا بيان استنكار، مثل المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد، والروائي المكسيكي كارلوس فوينتس، والإسباني خوان غويتسولو، والكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، والألماني غونتر غراس، والبريطاني توم بولين، كما قاموا بحملات ضد الاستعمار الإسرائيلي.

واللافت في مثل هذا التحرك من المثقفين هو كسر الهيمنة الإسرائيلية على الجبهة الثقافية العالمية التي كثيراً ما حاصرت بعض الآراء المعارضة للسياسة الإسرائيلية والمؤيدة للقضية الفلسطينية، فالكتّاب العالميون الذين ناصروا الفلسطينيين علانية في السابق كانوا قلة قليلة، وهم سرعان ما اتهموا بنزعتهم اللاسامية. أما الآن فلم يعد الكتّاب العالميون يخشون تلك التهمة خصوصاً بعد تمادي شارون في جرائمه البشعة، وباتوا يعارضون السياسة الإسرائيلية جهاراً متهمين الإدارة الإسرائيلية بالإرهاب والعنصرية والبغضاء. فالروائي الكوبي ماركيز كان جريئًا حين تبرأ من جائزة نوبل بعدما منحت إلى مناحم بيجن تكريماً لسياسته الإجرامية، وحيا ماركيز الشعب الفلسطيني الذي يقاوم الإبادة على الرغم من إنكار القوى العظمى أو المثقفين الجبناء أو وسائل الإعلام، أو حتى بعض العرب، أما الألماني غونتر غراس الحائز على جائزة نوبل فقد اتهم إسرائيل بارتكاب أفعال إجرامية في فلسطين، ودعا الدولة الإسرائيلية إلى ضرورة العودة إلى اتفاق أوسلو، وإلى الانسحاب من المناطق الفلسطينية المحتلة، وإلى إخلاء المستوطنات الإسرائيلية التي بنيت بطريقة إجرامية، واتهم شارون بسلوكه الإجرامي سواء في اجتياحه لبنان أم في زيارته الاستفزازية للحرم الشريف. ولا تختلف مواقف الكتّاب الآخرين، أمثال فوينتس، وغويتسولو، وتوم بولين، ونعوم تشومسكي، وغيرهم من إدانة الجرائم الإسرائيلية، والمطالبة بحقوق الشعب الفلسطيني.

ولابد من الإشارة إلى أن البرلمان العالمي للكتّاب أسس في عام ١٩٩١م، ويناصر معظم القضايا الإنسانية التي يحفل بها العالم داعماً الكتّاب والمثقفين المأسورين والمضطهدين والمثقفين، وعمد البرلمان أخيراً إلى تأسيس المدن ـ الملاجئ، وهي منازل أو دور موزعة في عواصم ومدن مختلفة تستقبل الكتّاب والمثقفين وتوفر لهم ما يحتاجون إليه ليحيوا حياة كريمة.

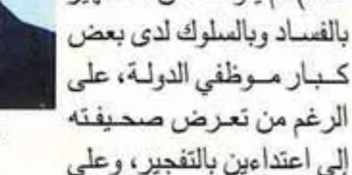
جائزة اليونسكو لحرية الصحافة لعام ٢٠٠٢م

منح المدير العام لليونسكو كويتشيرو ماتسورا الجائزة العالمية لحرية الصحافة لعام ٢٠٠٢م إلى الصحافي جوفريه نياروتا مدير صحيفة «دايلي نيوز» اليومية المستقلة الوحيدة في زيمبابوي.

وتمنح الجائزة مرة كل عام بناء على توصية من لجنة تحكيم دولية مؤلفة من إعلاميين من مختلف أنحاء العالم وممثلين عن مؤسسة «غيرمو كانو»، وتبلغ قيمتها ١٢٥ ألف دولار أمريكي، ويتم تسليمها في ٣

مـايو/ آيار اليـوم العـالمي لحريـة الصحافـة في مانيلا في الفيليبين.

وجـاء في بيان اليـونسكو «أن جـوفـريه نيـاروتا (٥٠ عامًا) لم يتوقف عن التـشهير بالفسـاد وبالسلوك لدى بعض كـبار مـوظفي الدولـة، على الرغم من تعـرض صحيفته إلى اعتداءين بالتفجير، وعلى الرغم من التوقيف التعسـفي والسجن عدة مرات، والتهديد بالقتل، وأربع محاكمات واعترافات شخص أكد فيـها أن هناك من دفع له مـبلغًا من المال للقضـاء عليـه، وأضـاف مـاتسـورا «أن الشـجـاعـة والإرادة على التـصـمـيم اللتين يتحلى بهمـا جـوفـريه نيـاروتا الذي لم يخـضع للضغـوط الهائلـة التي مورست ضده، تشكلان مثلاً يحتذى لجميع الصحافيين في العالم».



كوتشيرو ماتسورا

وفاة أنور الجندي

توفي في مـصـر في الشهر الماضي الكاتب أنور الجندي عن عمـر ينـاهز الخمسة والثمانين عامًا بعد رحـلـة عطـاء طويـلـة أثمرت ٣٥٠ مؤلفًا و١٠ مـوسـوعـات هي: «موسوعة مقدمات العلوم والمناهـج (١٠أجـزاء)»، و«الموسوعة الإسلاميـة العربيـة (٧أجزاء)»، و«مـوسـوعـة معـالم الأدب العـربي المعاصر (أكثر من ١٨ مـجلدًا)»، و«مـوسوعـة التأصـيل الإسلامي»، و«موسوعة تراجم الأعلام (٤٩٥ صفحة)»، و«مـوسـوعـة مـعـالم تـاريخ الإسـلام (١٠أجـزاء)»، و«موسوعة تاريخ الصحافة الإسلامية خلال القرن الرابع عـشـر الهـجـري»، و«مـوسـوعـة في دائرة الضـوء (٥٠جزءًا)»، و«موسوعة المعالم الإسلامية (٣مجلدات)»، و«مـوسوعـة العلوم الإسلاميـة»، بالإضـافة إلى كـثير من



أنور الجندي

المقـالات والأبحـاث في عـشـرات الصـحـف والمجـلات والدوريات والمؤتمرات.

ولد الجندي في مدينة ديروط بمحافظة أسيوط بصعيد مـصـر عـام ١٩١٧م، وكـان دائم البـحـث والقـراءة والاطلاع، ونشـر أولي كلمـاته عـام ١٩٣٢م في مـجلتي «البلاغ» و«أبوللو» وعمره لم يتـجـاوز الخمسـة عشر عـامًا. وقد عـرف عنه أنه قرأ من بطاقـات دار الكتب المصرية مـا يربو على مليوني بطاقة، وراجع فـهارس المجلات الكبـرى كالهلال، والمقتطف، والمشرق، والمنار، والرسالة، والثقافة، كما راجع صحيفة الأهرام على مدى عشرين عـامًا، وراجع المقطم والمؤيد، واللواء، والبـلاغ، وكوكب الشـرق، والجهاد وغيـرها، وشارك في كثـير من المؤتمرات كمـا دعي إلى زيارة عدد من الجامعـات وإلقاء محاضرات فيها.

خاض الجندي الكثير من المعـارك ضد دعاة التغريب، وعمل من أجل تـصحيح الكثـير من المفـاهيم عن الإسلام والمسلمين، واهتم بتـقديم خطة كـاملة لمقـاومـة التـغـريب والغـزو الثـقـافي، ثم اتجـه بعـد ذلك إلى العـمل في أسلمـة العلوم والمناهـج وتأصيـل الفكر الإسلامي وبناء البـدائل، وهو ما واصل العمل فيه إلى آخر لحظة من حياته.

أول معجم عربي باللغتين السومرية والأكدية

صـدر في بغـداد أول مـعـجم للـغـات المسـمـارية باسم «معجم اللغات الأكدية والسـومرية والعربية»، وجاء هذا الإنجاز علـى يد الآثاري الدكتـور نائل حنون عمـيد كليـة الآداب في جـامعـة القادسـيـة، وقد تبنت إصـداره «دار الحكمة» العـراقية وصـدر منه الجزء الأول الذي احـتوى على مقدمة في الكتابة المسمـارية، وفقه اللغتين السومرية والأكدية، وتأتي أهمية هذا المعجـم من كونه يتعدى الفائدة العلميـة التقليدية للمعـاجم اللغوية والمتخصـصـة، إلى بناء الثقافة الوطنية بناءً صحيحًا.

وكان عدد من العراقيين قد دعوا منذ أعوام إلى إصدار معجم باللغة السومرية. ويعد هذا المعجم الأول من نوعه، نافذة للاطلاع على العمق الحضـاري والثقـافة الرافـدية القديمة، بكل أشكالها وتفاصيلها، وكان الإنسان القديم في بلاد مـا بين النهرين قـد فجـر أول ثورة معلومـاتية عنـدما اخترع الكتـابة قبل أكثر من خمسـة آلاف عام. واستطاع

أن يعلم البشرية كيف تدون تجاربها، وتحفظ علومها وثقافتها، لتراكمها بعضها فوق بعض، وتجعل منها ذخيرة لكل القفزات والتطورات الحضارية اللاحقة بما فيها ثقافة الغرب الراهنة.

ويتوقع أن يصدر الجزء الثاني من هذا المعجم قريبًا، ليصبح أول معجم عربي باللغتين السومرية والأكدية، بعد مرور نحو ٨٠ عاماً على العمل بأول معجم خاص باللغة الأكدية، من قبل جامعة شيكاغو، وهو «المعجم الآشوري» للمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو.

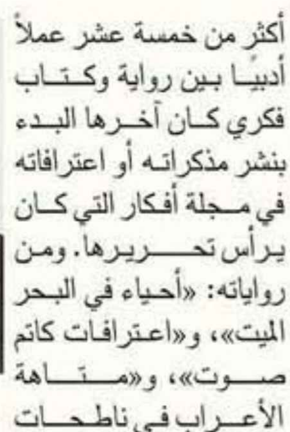
البيليوجرافية الوطنية السعودية

أصدرت مكتبة الملك فهد الوطنية مؤخراً الجزء العشرين من «البيليوجرافية الوطنية السعودية» وهي سجل حصري مصنف للإنتاج الفكري السعودي من المنفردات والدوريات والأطروحات والتسجيلات السمعية والبصرية الصادرة في المملكة خلال سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ويقع العمل في (٦٠٢ + ٧٤ صفحة) من القطع الكبير.

وقد تم في هذا العمل حصر وتوثيق (٢٤٧٢) عنوانًا من الكتب الحديثة الصادرة باللغة العربية وغيرها من اللغات، ويتجاوز رصيد المكتبة خمسين ألف عنوان من الكتب السعودية. كما تعكس البيليوجرافية الوطنية موضوعات الإنتاج الفكري السعودي الصادر في جميع فروع المعرفة. ويبدأ العمل بمقدمة وافية عن المنهج البيليوجرافي وطريقة ترتيب الكتب المحصورة حسب نظام التصنيف الموضوعي؛ إلى جانب ثلاثة كشافات مُلحقة لتسهيل عملية استرجاع الكتب المحصورة حسب أسماء المؤلفين ورؤوس الموضوعات التي غطاها الإنتاج الفكري السعودي.

رحيل الكاتب الأردني مؤنس الرزاز

توفي في العاصمة الأردنية عمان في الثامن من فبراير/شباط الماضي الروائي والكاتب الأردني مؤنس الرزاز عن عمر يناهز ٥١ عاماً على أثر عارض صحي مفاجئ. وتم دفنه في مقبرة أم الحيران جنوبي عمان. وكان الرزاز قد ولد في مدينة السلط عام ١٩٥١م وهو يعدّ من أكثر الروائيين العرب غزارة في الإنتاج، إذ لديه أكثر من خمسة عشر عملاً أدبيًا بين رواية وكتاب فكري كان آخرها البدء بنشر مذكراته أو اعترافاته في مجلة أفكار التي كان يرأس تحريرها. ومن رواياته: «أحياء في البحر الميت»، و«اعترافات كاتم صوت»، و«متاهة الأعراب في ناطحات السراب»، و«يوميات جمعة القفاري»، و«الشظايا والفسيفساء»، و«سلطان النوم وزرقاء اليمامة»، و«عصابة الوردة الدامية»، إضافة إلى مجموعة قصصية قصيرة بعنوان «النمرود».





مؤنس الرزاز

وقد نال الكاتب الراحل عدداً من الجوائز كان أبرزها جائزة الدولة التقديرية وميدالية الحسين للتفوق، كما اختارت اليونسكو روايته «الذاكرة المستباحة» لتقدمها للقارئ العربي في ثلاثة ملايين نسخة ضمن مشروع «كتاب في جريدة». وقررت أمانة عمان الكبرى إطلاق اسمه على أحد شوارع العاصمة.

من إصدارات مكتبة أضواء السلف

صدرت عن مكتبة أضواء السلف بالرياض مجموعة من الكتب القيمة في العلوم الشرعية والعربية من بينها:

- قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح لابن تيمية، تحقيق أشرف بن عبدالمقصود.
- قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات وبيان اقتران التهليل بالتكبير والتسبيح بالتحميد لابن تيمية، تحقيق أشرف بن عبدالمقصود.
- قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي صلى الله عليه وسلم وسلاحه ودوابه: القرمانية، جواب وفتيا في لبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن تيمية، تحقيق أشرف بن عبدالمقصود.
- رسالة في القواعد الفقهية، ومنها رسالة لطيفة جامعة في أصول العظة لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق أشرف بن عبدالمقصود.
- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك لابن قيم

الجوزية، تحقيق محمد بن عوض السهلي. وجميع هذه العناوين مما نشر في سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، وقد اعتني بإخراجها وطباعتها.

ولمكتبة أضواء السلف نشاط جيد في نشر كتب التراث، وكان مما نشرته من قبل كتاب القدر للفريابي، واختلاف الفقهاء لمحمد بن نصر المروزي، والجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لعبدالرحمن السخاوي، وقاعدة في الأحوال السلطانية لابن تيمية.

كولونيا واحتفاء بالأدب والفن الفلسطينيين


محمود درويش

نظمت جمعية «حوار الشرق والغرب» في كولونيا الألمانية أسبوعاً فلسطينياً في شهر فبراير/شباط الماضي، وذلك تحت شعار «إلى أين تطير العصافير بعد السماء القصير؟»، واقتبس هذا الشعار من قصيدة للشاعر الفلسطيني محمود درويش بعنوان «ورد أقل»، تمت ترجمتها إلى الألمانية.

وقدم الشاعر والناقد المسرحي السوري عادل قراشولي الأديبة سحر خليفة التي ترجمت خمساً من رواياتها إلى الألمانية.

واستمع الجمهور الألماني إلى قراءة بالألمانية لفصل من روايتها «الميراث» التي ترجمتها ريجينا قراشولي، وتناولت سحر خليفة أسلوبها في الكتابة، وقالت: إنها كانت ترى أن الحركة والنبض السريع هما أفضل الطرق للاستحواذ على اهتمام القارئ. وأضافت: «كنا ثوريين ثم هزمنا، وخرجنا من لبنان وقعدنا في تونس. ثم جاءنا حل هو من وجهة نظري مصادفة. وأصبح الغرب ينظر أنه أدى مهمته في ظل المشكلة الفلسطينية وتراخى. ثم لم يعد يهمني القارئ... أصبحت أريد أن أفهم أين الخلل».

وتم تقديم ترجمة للفصل الأول من رواية «الجيرة وراء الريح» للروائي الفلسطيني يحيى يخلف، إلى جانب قصته القصيرة «مذكرات المواطن س».

وتحدث يخلف عن أيام المنفى، ثم ما يعيشه الفلسطيني اليوم من حالة اغتراب في بلده.

وقدمت في الأسبوع أفلام وثائقية وفيلمان روائيان هما «درب النباتات» لعلي نصار، و«عرس في الجليل» لميشال خليفي.

ومن الأفلام الوثائقية التي تم عرضها: «أحلام المنفى» لمي المصري، و«المواطن بشارة» عن عزمي بشارة، و«الأرض كلفة»، وهما من إخراج الفرنسية سيمون بيتون.

قاعدة بيانات لصوتيات اللغة العربية

بعد جهد علمي تجريبي استمر أكثر من ٨ سنوات، أنجزت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية قاعدة بيانات لصوتيات اللغة العربية، وقد توصل الباحثون في مركز علوم وتقنية الأصوات التابع لمعهد بحوث الحاسبات والإلكترونيات في المدينة إلى كم هائل من الصور والملفات الصوتية وإنتاج صور للوجه تبين الأعضاء المتعلقة بالنطق وحركتها وتفيد في قراءة الشفاه بالنسبة إلى الصم، وتفيد الرسوم المتحركة، وصور لحركة اللسان في مواضع مختلفة.

وقد تحدث عن هذا الإنجاز العلمي الدكتور منصور محمد الغامدي مدير المشروع لجريدة الوطن السعودية قائلاً: «إنه كثيراً الأعمال المنجزة من قبل المشروع كانت أبحاثاً فردية أو رسائل علمية، وقد كون فريق علمي في عام ١٩٩٣م وشارك فيه متخصصون في الطب والحاسب الآلي وبرمجته، إضافة إلى عدد من الفنيين والمبرمجين».

أما المجالات التي يمكن أن يستفيد منها المتخصصون فهي: توليد الكلام، والتعرف الآلي إلى الكلام، وعلاج عيوب التخاطب، والبصمة الصوتية، واكتساب مهارات اللغة العربية.

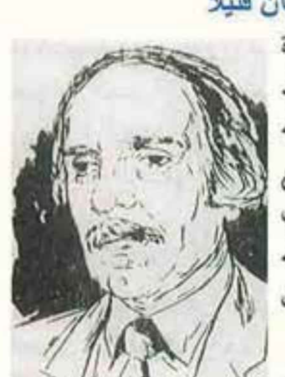
أما النتائج التي توصل إليها الفريق فهي: تسجيلات صوتية لجميع أصوات حروف اللغة العربية في مواضع مختلفة من الكلمة من بدايتها ووسطها ونهايتها، وصور للوجه تبين الأعضاء المتعلقة بالنطق وحركتها تفيد في قراءة الشفاة بالنسبة إلى الصم، وتفيد الرسوم المتحركة، وصور لحركة اللسان وهي تبين موضع اللسان داخل الفن مع كل صوت عربي، وصور للفتحة التي تفصل بين

الأنف والحلق (الفتحة الحلقية) الخاصة بالأصوات الأنفية، وصور للحلق تبين لسان المزمار، وشكل الرقيقتين الصوتيتين مع كل صوت؛ حيث تبين ما إذا كان الصوت جهوراً أم مهموساً، ورسوم بيانية تبين ضغط الهواء في التجويف الحلقي، وكمية الهواء الخارجة مع كل صوت للحرف.

وأشار الغامدي إلى أن من أسباب التأخر في علم الصوتيات العربية هو عدم وجود معطيات تسهل للباحثين التعمق في هذا التخصص. وهذا البحث في الصوتيات يتطلب فنيين ذوي مهارات عالية، وأجهزة ومراكز متخصصة، وهي للأسف غير موجودة في العالم العربي.



البريكان قتيلاً



محمود البريكان

ذكرت صحيفة الثورة العراقية أن الشاعر محمود البريكان وجد مقتولاً في بيته إثر جريمة تمت بدافع السرقة، ونعى اتحاد الكتاب العراقي البريكان قائلاً: «إنه توفي من جراء حادث مؤسف».

ويعد البريكان أحد رواد الشعر العربي، ومن الرواد الذين أسسوا القصيدة الحديثة في الخمسينيات من القرن الماضي.

بدأ البريكان نتاجه الشعري في الفترة التي تبوأ فيها الشعر العراقي الحديث مكاناً مرموقاً في المشهد الشعري العربي، فقد نشر سبع قصائد فقط جعلته واحداً من رواد الشعر العربي، الحديث إلى جانب بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، وعبدالوهاب البياتي، وبلند الحيدري، ومن هذه القصائد قصيدته الشهيرة «حكاية السائر في نومه»، وبعد رحيل الرواد الكبار واعتزال بعضهم، انسحب البريكان من الساحة الشعرية، ولم يعرف سبب ذلك الانسحاب، حتى إنه لم يطبع ديواناً واحداً، ولم ينشر إلا بعض قصائد قليلة نشرها في مجلة «المعلم الجديد» التي صدرت بعد ثورة الرابع عشر من يوليو/تموز عام ١٩٥٨م، قال عنه السياب: إنه شاعر كبير، وتمنى أن ينشر شعره أسوة بزملائه الآخرين.

ولد البريكان في البصرة عام ١٩٢٩م، ومارس التدريس في الإعدادية ودار المعلمين بالبصرة، وبدأ النشر منذ دراسته في المرحلة الثانوية عام ١٩٤٦م، ومر شعره بعدة مراحل: ففي الأولى كان رومانسياً، وفي الثانية واعياً ناقداً، وفي الثالثة كان أقرب منه إلى التصوير. وكتب في الشعر الطويل من أهم قصائده «المجاعة الصامتة» و«أعمال المدينة».

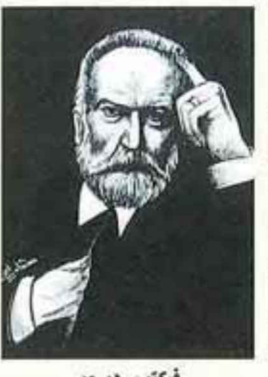
الترشيح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج

دعا مكتب التربية العربي لدول الخليج أبناء الدول الأعضاء إلى المشاركة في الجائزة السنوية التي تبلغ قيمتها ١٠٠ ألف ريال سعودي، والتي ينظمها المكتب لتشجيع الباحثين والمبدعين من أبناء المنطقة لإثراء المكتبة التربوية، وتقديراً للإبداع والنبوغ للمهتمين والمختصين في هذا المجال.

وقد حدد المكتب موضوعات الجائزة في عامها السادس للدورة المالية ١٤٢٢/١٤٢٣هـ (٢٠٠١-٢٠٠٢م) بالموضوعات المتعلقة بتوظيف تقنية المعلومات والاتصالات لتطوير التعليم وتمويله والجودة الشاملة فيه، والمشاركة المجتمعية في التعليم، كما اشترط المكتب للحصول على الجائزة أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء بالمكتب، وألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية، كما يمكن قبول العمل المشترك من قبل مجموعة مؤلفين إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء، وأن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو مساهمة مبتكرة في مجال البحث التربوي، أو تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي، وفي حالة تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية يجب أن يرافق معه مستخلص بالعربية، وأن يكون البحث المقدم ملتزماً المنهج العلمي، وأن يكون منشوراً وفق قواعد النشر العلمي وأصوله، أو مقبولاً للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال المنشورة

إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم، ويمكن قبول البحوث المترجمة المتميزة التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربي مع تقديم دراسة تحليلية تقويمية للعمل ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته الأولى خمس سنوات من نشر الإعلان عن الجائزة، وترسل الطلبات إلى المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج (ص.ب ٩٤٦٩٣ ـ الرياض ١١٦١٤ (المملكة العربية السعودية) على أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بخمس نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، وأما الإنتاج المترجم فيرفق نسخة من الأصل المترجم عنه، وسيرة ذاتية عن المرشح وثلاث صور فوتوغرافية له، وعنوانه البريدي ورقم هاتفه، على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز ٢٩ من رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٦ أكتوبر ٢٠٠٢م.

المئوية الثانية لهوجو



فيكتور هوجو

أقيم احتفال كبير بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الأديب الفرنسي فيكتور هوجو، وقد حضره جمع من الساسة والكتّاب والفنانين يتقدمهم رئيس الوزراء الفرنسي ليونيل جوسبان الذي قال: إن هوجو دافع عن قيم تعد من منظور السياسة الفرنسية التقليدية متنافرة مثل الولاء والعدل، والواقعية والجرأة، والتسامح والصرامة.

أقيم الاحتفال في يوم ٢٦ فبراير/شباط الماضي بمدينة بوزانسون مسقط رأس الأديب الراحل، والواقعة في شرق فرنسا.

ولد فيكتور هوجو في السادس والعشرين من فبراير/شباط عام ١٨٠٢م لأب جنرال في الجيش، انفصل والداه فتولت أمه تربيته في باريس حيث نمت لديه موهبة الكتابة، وتوقف هوجو عن الكتابة عدة سنوات بعد الوفاة المفاجئة لابنته، وأرغم على الذهاب إلى المنفى قرابة عشرين عامًا في أعقاب تمرد فاضل ضد الرئيس لويس نابليون، وفي المنفى ألف روايته الشهيرة «البؤساء»، وهي ملحمة تناول فيها مظالم عصره من خلال بطلها الذي قضى في غياهب السجن مدة ١٩ عامًا لأنه سرق رغيفًا من الخبز.

مؤتمر للاستشراق

في إطار إعلان مدينة عمان عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٢م تجرى حاليًا الاستعدادات في الجامعة الأردنية في عمان لعقد (مؤتمر الاستشراق ـ حوار الثقافات) خلال شهر أكتوبر/ تشرين الأول القادم، وقد أعلن رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدكتور سامي خصاونة أن «المؤتمر يحتضن دارسين وباحثين من مختلف دول العالم، بينهم بعض أبرز الشخصيات الأكاديمية في مجال الاستشراق، ويقدم فرصة لقاء في جو من الحرية الأكاديمية والديمقراطية، للبحث في موضوع الاستشراق كوسيلة من وسائل الحوار الثقافي القائم على التعددية والاختلاف».

نتائج مسابقة الشارقة للإبداع العربي

أعلن مؤخرًا عن الفائزين بجائزة الشارقة للإبداع العربي في دورتها الخامسة، وتنوعت موضوعات الجائزة بين الشعر والقصة القصيرة والرواية والنقد الأدبي والمسرح.

ففي مجال الشعر فاز بالجائزة الأولى عماد جبار هلال (العراق) عن مجموعته «ريشة من أسف»، وفاز بالجائزة الثانية محمد أنور عمران (سورية) عن مجموعته «قافية لخلاخيل بلقيس»، وفاز بالجائزة الثالثة عيسى الشيخ حسن (سورية) عن مجموعته «يا جبال أوبي معه».

وفي مجال القصة القصيرة فاز بالجائزة الأولى محمد عبدالمنعم زهران (مصر) عن مجموعته «حيرة الكائن»، وفازت بالجائزة الثانية سمر شيشكلي (سورية) عن مجموعتها «حالة وعي»، وفاز بالجائزة الثالثة سفيان التومي (تونس) عن مجموعته «دماء المياه».

وفي مجال الرواية فاز بالجائزة الأولى حسن

الساعدي (العراق) عن روايته «قصة الطائر المذبوح»، وفاز بالجائزة الثانية محمود تراوري (السعودية) عن روايته «ميمونة»، وفاز بالجائزة الثالثة محمد سيف الرحبي (عمان) عن روايته «رحلة أبو زيد العماني».

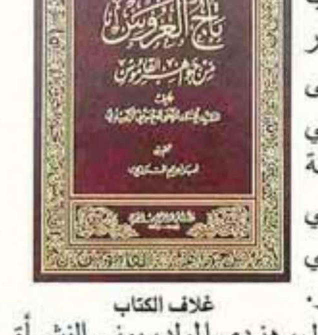
وفي مجال المسرح فاز بالجائزة الأولى عباس أحمد الحايك (السعودية) عن مسرحيته «فصول من عذابات الشيخ أحمد»، وفازت بالجائزة الثانية ميلاء علي (العراق) عن مسرحيتها «الإشارة الأولى»، وفاز بالجائزة الثالثة مفلح العدوان (الأردن) عن مسرحيته «عشيات حلم».

وفي مجال أدب الطفل فاز بالجائزة الأولى معاوية كوجان (سورية) عن مجموعته «الصياد والسمكة»، وفازت بالجائزة الثانية لينا تقلا عن مجموعتها «للأطفال قلبي»، وفاز بالجائزة الثالثة عبدالرحمن القاضي (اليمن) عن مجموعته «حكاية وأغنية».

وفي مجال النقد الأدبي فاز بالجائزة الأولى أيمن سيد بكر (مصر) عن «تشكيلات الوعي وجماليات القصة»، وفاز بالجائزة الثانية عبدالستار عداي (العراق) عن «تجليات اللغة البصرية»، وفاز بالجائزة الثالثة محمد السيد إسماعيل (مصر) عن «بناء فضاء المكان في القصة».

الاحتفال باكتمال «تاج العروس»

احتفلت الأوساط الثقافية في الكويت مدة يومين بمناسبة تحقيق وطبع كتاب «تاج العروس من جواهر القاموس» لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي الذي يعد أكبر موسوعة بالعربية كتبه مؤلفه في مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.


غلاف الكتاب

فالزبيدي عراقي الأصل، هندي المولد، يمني النشأة مصري الإقامة والوفاة، فضلاً عن إقاماته المحدودة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وفلسطين والأردن. أنجز مؤلفه بعد ١٤ سنة من العمل المتواصل.

و«تاج العروس» هو شرح مطول للقاموس المحيط للفيروز آبادي. المجلدات الأربعون التي اكتمل تحقيقها وطبعها يجري التفريق بين متن الفيروز آبادي وشروح الزبيدي الذي أراد من شرحه أن يستوعب المعجمات العربية السابقة، فامتاز عمله بتنوع المادة اللغوية التي صنفها تحت ١٢ ألف مدخل لغوي، وأورد في كتابه أبرز الأعلام والأماكن والنبات والحيوان خصوصاً (الخيل)، كما أدخل في سياق شروحه الألفاظ العامية (المصرية).

وكانت وزارة الإعلام الكويتية قد تبنت المشروع منذ بدايته، ثم نقلت رعاية المشروع إلى المجلس الوطني للفنون والآداب ليكتمل بعد ٣٦ سنة من جهد مختصين كويتيين وعرب، حضر الاحتفالية من تبقى منهم حياً، وغاب عنها أعلام ساهموا في التحقيق والمراجعة وتوفوا قبل نتاجهم، ومن أبرزهم: عبدالستار فراج، وعبدالسلام هارون، وعبدالله العلايلي، وإبراهيم السامرائي، ومحمود الطناحي، ومحمد بهجة الأثري، وعبدالعليم الصحاوي، وإبراهيم الترزي.

مؤتمران دوليان
عن مولوي رومي وملا سادرا

نظم معهد الدراسات الإسلامية في لندن، بالتعاون مع كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، مؤتمراً دولياً عن مولوي رومي في الفترة من ٢٥ - ٢٦ يناير / كانون الثاني ٢٠٠٢م تناول مبادئه وآثاره، وقد شهده عدد كبير من الأكاديميين المهتمين بفكره، ودارت أوراق المؤتمر حول الموضوعات الآتية: «الحب في مؤلفات مولوي رومي»، و«بنية ومنهج مثناوي»، و«تأثير القرآن والحديث في المثناوي»، و«العلاقة بين الإنسان والله وفقاً لرؤية رومي»، و«علاقة وتأثير المولوي في العلماء الآخرين».

وتحدث في المؤتمر نحو ٢٥ باحثاً من الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وإيران، واليابان، والسويد، وتركيا، وروسيا، وماليزيا، ولاتافيا.

وسيقام المؤتمر الدولي الثالث عن «ملا سادرا والفلسفة المقارنة: الروح وعلم النفس»، وذلك في الفترة من ١٥- ١٦ مارس/آذار عام ٢٠٠٢م بقاعة الاجتماعات في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن.

بوبارا، حاسو/ فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية والبوسنوية في مكتبة الغازي خسروبك في سراييفو. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، مج٩، ٦٠٨ص.

هذا هو الجزء التاسع من فهارس المخطوطات العربية والتركية والفارسية والبوسنوية في مكتبة الغازي خسروبك في سراييفو.

ويأتي هذا العمل ضمن الجهود التي تقوم بها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي من أجل إنقاذ مكتبة الغازي خسروبك في سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك والمحافظة بذلك على هوية هذه البلاد من الضياع في خضم الصراع اللاإنساني.

ويتناول هذا الجزء ما مجموعه ٥٥١ مخطوطة مجلدة تحتوي على ٧٨٤ عملاً كتابياً منها: ٥٣٩ تأليفاً باللغة العربية، و٢٣٣ تأليفاً باللغة التركية، و٤ تآليف باللغة الفارسية، و٨ تآليف باللغة البوسنوية المكتوبة بالحروف العربية (والمسماة بألحميادو).

ومعظم المؤلفات الفقهية المعالجة في هذا الجزء (أكثر من ٩٥٪) تنتمي إلى الفقه الحنفي؛ وذلك لأن كثيراً من البلاد الإسلامية بما فيها شبه جزيرة البلقان، عاشت قروناً طويلة في ظل الدولة العثمانية التي كانت ترعى المذهب الحنفي.

وكانت الدولة العثمانية قد وجهت اهتمامها البالغ إلى نظام الوقف الإسلامي؛ مما ساهم في حركة التأليف والنسخ من جهة، وإرساء قواعد العلم والكتابة في الجماهير الواسعة من جهة أخرى، ومكّن الأهالي من الانخراط في نظام التعلم والدراسة وهذا ما ترتب عليه قيام عدد من المكتبات في المدن والقرى وخير دليل على ذلك أن هذا الجزء من الفهرس وحده يحتوي على ٥١ نسخة من كتاب مختصر القدوري، و ٣٧ نسخة من كتاب ملتقى الأبحر، و ٣٥ نسخة من كتاب منية المصلي وغنية المبتدئ، و ٢٥ نسخة من كتاب مختصر غنية المتملى في شرح منية المصلى، و ٢٣ نسخة من كتاب مقدمة أبي الليث في الصلاة باللغة العربية، و ٥٦ نسخة من كتاب فوائد الأمالي وفرائد اللآلي، و ١٧ نسخة من كتاب جواهر الإسلام، و ١٠ نسخ من رسالة حمزة أفندي باللغة التركية، واللافت أن بعض المخطوطات المعالجة في هذا الجزء نادرة وقديمة ويمكن أن تعد من أقدم النسخ في العالم.

الجدير بالذكر أن نسخاً كثيرة من المخطوطات المعالجة في هذا الجزء قام بها النسّاخ البوسنويون، وقد أشار المؤلف إلى أسمائهم في كشف النسّاخ الملحق بحروف مائلة، كما أن هناك بعض الصعوبات التي واجهت المؤلف وهي حول تنسيق أسماء المؤلفين بسبب اضطراره إلى استعمال المراجع والمصادر المختلفة ووجود بعض الاختلافات فيها، ولهذا السبب لجأ إلى نقل أسماء المؤلفين وألقابهم وسيرهم كما وردت في آخر طبعة لمعجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة الصادر من دار إحياء التراث العربي ببيروت، أما المؤلفون الذين لا يذكرهم معجم المؤلفين، فقد أورد أسماءهم إما حسب أول المرجع الذي اعتمد عليه، وإما حسب ما ورد في نص المخطوطة.

أما طريقة كتابة أسماء المؤلفين والنساخ والوقف والمالكين السابقين بالحروف اللاتينية فإنه لم يلتزم دائماً طريقة الكتابة نفسها، وبصورة خاصة فيما يتعلق بالأسماء التركية والبوسنوية.

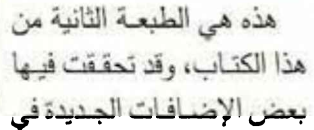
كرّو، أبو القاسم محمد/ طه حسين والمغرب العربي. تونس: مؤسسات بن عبدالله للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ٣٦٣ص.

تناول المؤلف في هذا الكتاب علاقة الأديب الراحل طه حسين بدول المغرب العربي وعلاقته بعدد من الرموز المغاربية، وقد جاء الكتاب في أربعة فصول وخاتمة ومقدمة.

جاء الفصل الأول عن تونس وطه حسين مع ملاحق كثيرة كتب معظمها الدكتور طه حسين عن تونس، وجاء الثاني عن الجزائر وطه حسين وعدة ملاحق منها فصول كتبها طه حسين عن الجزائر أيام ثورتها، وكان الثالث عن المغرب وطه حسين، وهو أيضاً كثير الملاحق بينها ما كتبه طه حسين عن المغرب فضلاً عن علاقة المغرب بطه وتلاميذه المغاربة، وتناول في الفصل الرابع علاقة طه حسين بالأندلس وصقلية في بعديهما الإسلامي، وتأسيسه عام ١٩٥٠م المعهد الإسلامي في مدريد بعدما كان يريد تأسيسه في الجزائر، وواضح أن الاستعمار الفرنسي هو الذي رفض بعثه في الجزائر.

يحتوي الكتاب على عدد من الصور النادرة تبلغ نحو ٤٠ صورة بينها صور من تونس والمغرب ثم من مدريد وإيطاليا مع علماء هذه الأقطار وزعمائها.

تناول المؤلف في الخاتمة كتاب سوزان طه حسين (معك) الذي وضعته عن زوجها بالفرنسية ولم يطبع بعد.



عطار، فتحية حسين عبدالغفور/ معجم معاني أسماء الإناث.. مكة المكرمة: المؤلفة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٨٣٦ص.

نحت المؤلفة في هذا المعجم منحًى مختلفًا عن المصنفات التي سبقته، فقد تتبعت المؤلفة اسم الأنثى في الكتب المختلفة، ثم وضحت أصله واشتقاقه ووزنه ومعناه، ثم وضعت الأدلة النقلية المناسبة من قرآن وحديث وشعر إذا ذُكر اللفظ في تلك النصوص، مع ضبط الاسم المراد بالشكل حتى يسهل على القارئ قراءته وفهم معناه، وكذلك قامت بشرح الألفاظ الصعبة الواردة في تلك الأدلة.

بالنسبة إلى الأسماء الأجنبية الخاصة بالأنثى؛ إنجليزية وفارسية وهندية وتركية، حاولت الكاتبة إيجاد معناها وأصلها، وتتبعت ذلك في عدد من الكتب إلا أنها لم تجد معنى بعض هذه الأسماء في الكتب التي بين يديها، فأخذت معناها ممن سُمِّين بتلك الأسماء؛ مثل (جالا) من التركية، ومعناه: قطر الندى، و(سُويل) من التركية أيضاً، ومعناه: المودّة، وتنطق في الأصل مثل حرف V بالإنجليزية (سوفيل)، و(شايان) من الأوردية ومعناه: العزّ والخلود. وقد ذيل المعجم ببعض الفهارس التوضيحية.



أبو داهش، عبدالله بن محمد/ أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠ - ١٢٠٠هـ) .. الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢٥٩ص.

هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب، وقد تحققت فيها بعض الإضافات الجديدة في معظم مباحث الكتاب مشفوعة بنموذجات جديدة من صور: المخطوطات، والوثائق، وبعض مظاهر البيئة الطبيعية في بلاد السراة.

يزيح الكتاب الستار عن معلومات تاريخية لأهل (السراة) في القرون الإسلامية الوسيطة وهي القرون المبتدئة بالقرن الرابع الهجري حتى نحو القرن الثاني عشر الهجري، وقد أثير كثير من التساؤلات حول طبيعة الحياة السياسية والفكرية والعلمية والأدبية في بلاد السراة خلال هذه الفترة، إذ وصف كثير من دارسي الأدب ضحالة حياتها العلمية وضعفها. مما دفع المؤلف إلى القيام بهذه الدراسة ليلقي الضوء من خلالها على تلك الحياة العلمية المهملة المنسية خلال هذه الفترة ، ولكي يتجنب ما وقع فيه بعض الكتاب من التعميم فقد رأى أن تكون هذه الدراسة محددة من حيث المكان والزمان، وقد تناول المؤلف ذلك في ستة أقسام هي المباحث الآتية: مواطن أهل السراة، وقبائلهم (الموقع والحدود)، وملامح حياتهم: السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية والأدبية، وقد وطأ للحديث عن هذه المباحث بحديث مختصر عن تعريف هذا العنوان، ومفهومه المكاني، والزماني.



الأشتر، عبدالكريم/ المقتطف من مجالس الوجد وأحاديث الألفة والسمر.- حلب: دار الثريا للنشر، ٢٠٠٢م، ٢٢٩ص.

يضم هذا الكتاب عدداً من الخواطر والأحاديث اختارها المؤلف مما كتبه في بعض الصحف والمجلات العربية، وقد حاول المؤلف من خلال كتابة هذه الخواطر أن يقرب فيها من واقع الحياة التي نحياها في البيت والشارع ومطارح العمل، وكان يخالط الناس في مواطن الجد والعبث، ويختزن تعليقاتهم على ما يقع لهم وللناس من حولهم.

لم يكن المؤلف يقصد من كتابة هذه الخواطر المتعة وحدها، بل «لتجعل الناس، ما استطاعت، أقدر على فهم أنفسهم، وأقرب من حقائق حياتهم. وتجعلهم أحدّ إحساساً بالأشياء، وأعمق نفوذاً فيها، وأكثر حباً وأقل شراً، وتقوي فيهم نزوعهم إلى الفرح بالحياة دون الاستهانة بتبعاتها، وإلى متعة المعرفة دون غرور اكتسابها». كما ذكر ذلك في المقدمة.

الباشا، حسن/ الفنون القديمة في بلاد الرافدين.- مدينة نصر (مصر): مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٦٤ص.

دراسة الفنون القديمة علم جديد لم يتبلور إلا في القرن العشرين، وإن كان معروفاً منذ القدم، وكانت بلاد الرافدين سباقة في هذا المجال، فقد كشفت الحفريات الحديثة في موقع مدينة أور العراقية القديمة عن مبنى يرجح أنه كان متحفاً محلياً به تحف قديمة جمعتها إحدى الأميرات.

وكان الأثر الاجتماعي واضحاً في طراز فنون بلاد الرافدين؛ إذ كان يرعى الفن فيها الكهنة والملوك ليكون في خدمة النظام الديني الرسمي مما أسبغ طابع الوقار والفخامة على فنون هذه البلاد.

وينقسم الطراز الفني العراقي إلى طرز فرعية أهمها: الطراز السومري، والطراز الأكدي البابلي، والطراز الآشوري، والطراز الكلداني أو البابلي الجديد، وقد خلّف الفن العراقي آثاراً رائعة في شتى المجالات: من تخطيط مدن، وعمارة، ونحت، وتصوير، وفنون تطبيقية، وتعد حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع، من أشهر منتجات هذا الفن.

زُوّد الكتاب، بعدد من الخرائط والصور الفوتوغرافية لبعض الآثار العراقية، وختم بعدد من الكشافات.

البسيمي، عبدالله بن بسام/ العلماء والكتّاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.- أشيقر: جمعية أشيقر الخيرية، ١٤٢١هـ، ٤٢٣ص.

يحتوي الكتاب على أخبار علماء أشيقر وكتّابها الذين عاشوا خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، معتمداً في ذلك على المصادر المطبوعة أو المخطوطة أو المحادثات الشفهية مع الثقات من أبناء المترجم لهم وأحفادهم وغيرهم ممن عني بتاريخ هذه البلدة، وقد أردف كل ترجمة بنموذجات من صور وثائق خطها المترجم له وصورة لصفحة العنوان والصفحة الأخيرة لكتاب مخطوط بخطه، وأثبت شجرات النسب التي لم تنشر من قبل والمتعلقة بأسر المترجم لهم، وقد وضع رقماً لكل وثيقة ليسهل الرجوع إليها، علماً بأن هذا الكتاب ليس خاصاً بتراجم العلماء والقضاة فقط، فقد ترجم فيه لكل من دخل في مسمى العلم أداءً وتحصيلاً وكتابة، لكونه ممن حرص على التعلم والإفادة والاستفادة.

أكثر المؤلف من صور الوثائق في مقدمة الكتاب، وبعد كل ترجمة؛ لكونها مصدراً مهماً من مصادر تدوين التاريخ المحلي، وقد حرص المؤلف أن تكون هذه الوثائق منوعة لتعطي صورة واضحة عن مجتمع ذلك الوقت، فمن أنواع هذه الوثائق: الوصايا، والوقفيات، والمبايعات، والشهادات، والمداينات، والمخالصات، والمراسلات، والفتاوى... إلخ. وأقدمها يعود إلى القرن الثامن الهجري.

بورسيك، إميل جي/ خواص موائع المكامن البترولية، ترجمة: طارق بن فارس الفارس، وإبراهيم بن صالح المعتاز.ـ الرياض: جامعة الملك سعود ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٣٢٤ص.

يحتوي الكتاب على مفاهيم لأسس هندسة المكامن بطريقة منظمة، وهو مهم بالنسبة إلى المهندسين والمهتمين بهندسة المكامن والعاملين في حقول هندسة البترول بصفة عامة.

بذل المترجمان جهداً كبيراً في صياغة الأسس العلمية وقواعدها بلغة عربية سهلة، راعيا فيها المضمون العلمي مع الحفاظ على قواعد النحو والصرف، وأدرجا أسماء الأعلام ومصطلحات القوانين العلمية باللغة الإنجليزية جنباً إلى جنب مع ترجمتها العربية، كما أدرجا المعادلات الكيماوية بصورتها الأصلية؛ لأنها باتت مما تعارف عليه الناس على مختلف لغاتهم، فأصبحت كالمصطلح العام يشوهه نقله من لغة إلى لغة أخرى.

قام المؤلف بوضع بعض الأسئلة في نهاية كل باب كمحاولة لتوضيح الأسس التي تمت مناقشتها بطريقة أكثر شمولاً، ووضع إجابات لبعض الأسئلة لفائدة الذين لم تتح لهم وسائل التعليم التقليدية.

استعان المؤلف بعدد من الجداول والرسوم البيانية، وختم الكتاب بعدد من الملاحق.



الهاجري، مبارك سيف/ الرواة الذين ترجم لهم ابن حبان في المجروحين وأعادهم في الثقات (جمع، ودراسة، وتحليل).ـ الكويت: جامعة الكويت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٣٩٦ص.

افتن علماء الحديث في تصانيفهم في تراجم الرواة، فمنهم من جمع الثقات فقط في مصنف مستقل، ومنهم من جمع المجروحين مبيناً جرحهم، ومنهم من جمع رواة كتاب أو كتب معينة مبيناً حال كل منهم، والإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم التميمي البُستي، القاضي شيخ خراسان، وأحد الأئمة الرّحالين والمصنفين (ت: ٣٥٤هـ) له كتاب في الثقات، طبع في تسعة مجلدات، وله كتاب آخر في المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، طبع في ثلاثة مجلدات، وقد وقع له ـ رحمه الله ـ أن ذكر بعض الرواة في الضعفاء وفي الثقات معاً، وهذا فيه تناقض لا سيما إذا كان ابن حبان قد عُرف ـ من حيث الجملة ـ بتساهله في التوثيق مع تشدده في الجرح.

قام المؤلف بسبر كتابي المجروحين والثقات لجمع من ترجم له ابن حبان في الكتابين معاً، ثم رتب هذه التراجم على حروف الهجاء، وحكى أقوال أهل العلم في المترجم له، ثم دراسة ترجمة الراوي مبيناً سبب ذكر المصنف الراوي المترجم له في الكتابين، وما ترتب عليه عند بعض العلماء من خطأ في نسبة القول إلى ابن حبان في الحكم على الراوي.

يؤكد المؤلف أنه لا يطعن في حفظ ابن حبان وضبطه للروايات، وأن ما وقع له من ذكر بعض الرواة في الثقات والمجروحين معاً لا يخدش في إمامته وحفظه، وأن ما أعاد ذكره من الرواة في الكتابين قليل جداً عند موازنته لمن ترجم لهم، وقد اعتذر له في أول الرسالة وفي خاتمتها.

أورد الباحث في الخاتمة خلاصة البحث ونتائجه ومقترحات الباحث.



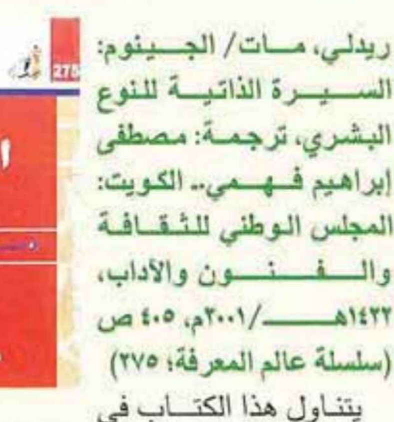
السامرائي، ظمياء محمد عباس/ المنهج التأريخي عند القلقشندي:دراسة تحليلية.. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٢٥٤ص.

تكتسب دراسة المؤلفات التاريخية عامة أهميتها من دور المؤرخين في حياة الأمة ومتابعتهم الوقائع والأحداث وتسجيل ظواهرها وتطوراتها، وإن دراسة تلك المؤلفات تعطينا صورة عن تطور المنهجية التأريخية للمرحلة التي كتبت فيها.

تتناول هذه الدراسة المنهج التاريخي عند القلقشندي (٧٥٦هـ - ٨٢١هـ) الذي لم يحظ بالاهتمام المطلوب قديماً وحديثاً على الرغم من مكانته العلمية وأهمية مؤلفاته حتى في عصره.

ولد القلقشندي في بلدة قلقشندة إحدى مدن القليوبية في مصر، وتلقى تعليمه في مدينة الاسكندرية حتى ترقى إلى الوظائف العليا ومارس الافتاء والتدريس، وعين نائباً في الحكم سنين، ومن أبرز مؤلفاته: «الكواكب الدرية في المناقب البدرية»، و«صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، و«كنه المراد في شرح بانت سعاد»، و«مآثر الإنافة في معالم الخلافة»، و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»، وبلغت مؤلفاته ١٢ مؤلفاً إلى جانب المكتبات والأجوبة عن رسائل الملوك والأمراء.

يحتوي هذا الكتاب على تمهيد عن عصر القلقشندي، ونسبه، وثقافته، ومؤلفاته. وأربعة أبواب رئيسة: الأول عن الشكل والمضمون في مؤلفات القلقشندي التأريخية، والثاني مصادر القلقشندي، والثالث أسس البحث التأريخي عند القلقشندي، والرابع النقد التأريخي عند القلقشندي.



ريدلي، مات/ الجينوم: السيرة الذاتية للنوع البشري، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي.. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٤٠٥ ص (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٧٥)

يتناول هذا الكتاب في كل فصل جيناً (مورثاً) واحداً أو أكثر على واحد من أزواج الكروموسومات الاثنين والعشرين الموجودة في نواة كل خلية، حيث تشكل مادة الخلية الوراثية أو الجينوم، وذلك فيما عدا كروموسومات الجنس التي يتناولها في فصل خاص بها.

ومن خلال هذه الجينات المحدودة المهمة يصحبنا المؤلف في رحلة شائقة بأسلوب سلس ليروي لنا السيرة الذاتية لنوعنا البشري، والصلة بينه وبين أسلافه، والجينات المشتركة بينه وبين الأنواع الأخرى القريبة له. كما يتناول عدة مسائل تتعلق بنواح مختلفة من حياتنا، بعضها يفسر أموراً طريفة، كالسبب في أن سكان حوض البحر المتوسط يفضلون الجبن على اللبن، بينما يفضل أهل الشمال اللبن نفسه، كما أنه يتناول مسائل أشد خطرا: كالخلود وزيادة العمر والشيخوخة والموت والمرض، والذكاء والشخصية بل والإرادة الحرة.

ونجد في كل هذه المسائل دوراً مهماً للطبع أي الجينات والوراثة، وكذلك دوراً مهماً للتطبع أو البيئة. فهل يتعارض الطبع مع التطبع. أم أنهما يشتركان معا في التأثير في الإنسان وتأثر كل واحد منهما بالآخر؟

إذا كانت قد توافرت لدينا الآن معلومات جديدة غزيرة من دراسة الجينوم فما دلالة هذه المعلومات؟ إنها قد تجيب عن بعض الأسئلة، ولكنها أيضاً تثير أسئلة أكثر فيها قضايا علمية وأخلاقية واجتماعية، ينبغي أن نحاول حلها لنفهم أنفسنا أكثر فأكثر.

الجوهري محمد (وآخرون)/ الإنتاج الفكري العربي في علم الفولكلور: قائمة ببليوجرافية.. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٠م، ٧١٨ص.



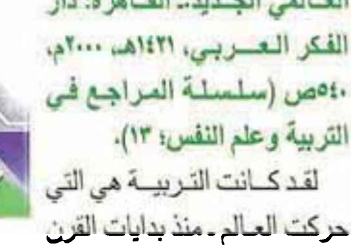
توضح هذه الببليوجرافية التي ترصد حركة الإنتاج الفكري العربي في علم الفولكلور كيف يسهم هذا الرصد الببليوجرافي المتخصص في حركة العلم وترشيدها.

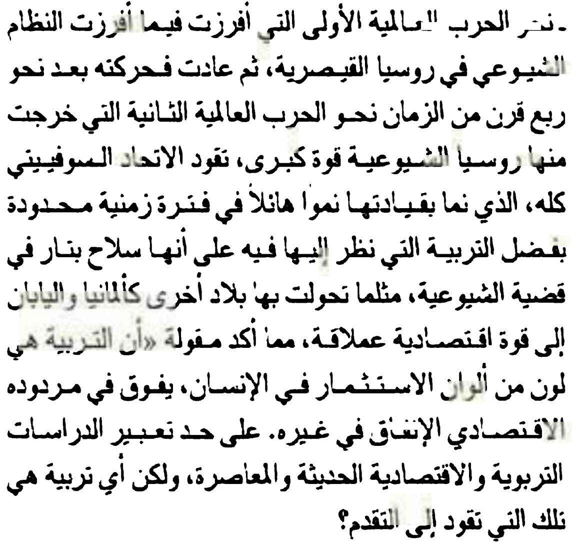
استعرض المؤلف في المقدمة حدود التغطية لهذه الببليوجرافية متناولاً حدود السعة الزمنية، والجغرافية، واللغوية، والنوعية، والموضوعية، وناقش المصادر التي نهلت منها هذه الببليوجرافية (مصادر متخصصة وعامة ومباشرة) وأثبتها بكل دقة، كما تعرض لعناصر الوصف الببليوجرافي مصحوباً بنماذج توضيحية للأسلوب الذي اتبع في وصف أوعية المعلومات التي شملتها الببليوجرافية، وشمل ذلك الحديث عن الإحالات، والكشافات التي تضمنها هذا العمل.

كذلك ناقش التنظيم الموضوعي للببليوجرافية، ومراحل هذا التقسيم الرباعي، ومتابعة ما طرأ عليه من تعديلات وتغييرات، ثم ما دعت إليه بيانات هذه الببليوجرافية، وعرض مفصل لكل تعديل ومسوغاته.

وتنتهي الدراسة بخاتمة تستعرض مشروعين مكملين لهذا العمل: الأول يعد بمنزلة القسم الثاني لهذه القائمة، وهو قائمة ببليوجرافية مشروحة، تتناول بالشرح المفصل محتويات نحو منتي عمل من الرسائل العلمية التي أجيزت في الفولكلور، وأبرز المؤلفات النظرية والمنهجية التي نشرت فيه، أما المشروع الثاني فهو موسوعة الفولكلور العربي، التي يعمل فيها نحو ثلاثين باحثاً متخصصاً منذ أكثر من عامين، وأوشكت على الانتهاء والخروج إلى النور.

عبدالغني عبود، (وآخرون)/ التربية المقارنة والألفية الثالثة: الأيديولوجيا والتربية والنظام العالمي الجديد.. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ٥٤٠ص (سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس؛ ١٣).





لقد كانت التربية هي التي حركت العالم ـ منذ بدايات القرن ـ نحو الحرب العالمية الأولى التي أفرزت فيما أفرزت النظام الشيوعي في روسيا القيصرية، ثم عادت فحركته بعد نحو ربع قرن من الزمان نحو الحرب العالمية الثانية التي خرجت منها روسيا الشيوعية قوة كبرى، تقود الاتحاد السوفييتي كله، الذي نما بقيادتها نمواً هائلاً في فترة زمنية محدودة بفضل التربية التي نظر إليها فيه على أنها سلاح بتار في قضية الشيوعية، مثلما تحولت بها بلاد أخرى كألمانيا واليابان إلى قوة اقتصادية عملاقة، مما أكد مقولة «أن التربية هي لون من ألوان الاستثمار في الإنسان، يفوق في مردوده الاقتصادي الإنفاق في غيره. على حد تعبير الدراسات التربوية والاقتصادية الحديثة والمعاصرة، ولكن أي تربية هي تلك التي تقود إلى التقدم؟

لقد صارت دراسة الآخر وفهمه المفتاح للإجابة عن هذا السؤال، ولقد كانت دراسة الآخر وفهمه هما التغير الإيديولوجي الأوضح الذي خرج به العالم من الحربين العالميتين، فكان من ثمرات الحرب العالمية أن حل الوئام والاتفاق بين العلاقات الدولية محل الخصام والحرب، وبدأت المنظمات الدولية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة التي تقوم بدور فاعل ومؤثر في حركة الحياة في العالم.

يتضمن الكتاب جزءين رئيسين، يحتوي الجزء الأول على بابين: الأول عن الأيديولوجيا وعلاقتها بالتربية المقارنة، والثاني عن الشخصية القومية والتربية في الألفية الثالثة، أما الجزء الثاني فيحتوي على ثلاثة أبواب، الأول يتناول الأيديولوجيا والتربية في الغرب، والثاني الأيديولوجيا والتربية في الشرق، والثالث الأيديولوجيا والتربية في العالم العربي.

الاجتهاد (ع ٥٢ ـ ٥٣، س١٣، خريف وشتاء عام ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م/١٤٢٢هـ)

مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي. وتصدر عن دار الاجتهاد ببيروت.

حفل هذا العدد من المجلة بالكثير من البحوث والدراسات المتنوعة، بدأها محمد السماك بتمهيد عن: «حوار الحضارات» في المنتديات العربية، وناقش الفضل شلق «حوار الحضارات في عالم الصراع»، وكتب عبدالعزيز التويجري عن «المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم والحوار بين الحضارات»، وقدم عبدالهادي بوطالب بحثًا بعنوان «عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر»، وبحث محمد علي التسخيري في علاقة الأمة وخيار السلام العالمي في إطار العلاقات المتوازنة بين الحضارات، وتناول محمد السماك آثار العولمة على الخصوصيات الثقافية، كما قدمت فوزية العشماوي بحثًا عن الحوار بين الحضارات وقضايا العصر: «العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية»، وناقش أحمد صدقي الدجاني «العلاقات الدولية في الإسلام وبناء نظام عالمي عادل»، وكتب سعيد حارب المهيري عن «حقوق الإنسان في العلاقات الدولية الإسلامية»، كما تناول إبراهيم البيومي غانم «المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية»، وقدم لؤي صافي بحثًا بعنوان «المثقف والنهضة: جدلية الأصالة والعالمية والنهوض»، وكتب علي حرب عن «فلسفة الحوار أو فن العيش معًا»، وقدم محيي الدين صبحي بحثًا بعنوان «المسلمون والبرابرة ومعارك الحضارات»، وناقش رضوان السيد «المسألة الحضارية ومظاهر المأزق العربي الإسلامي»، وتناول عمر كوش «حوار الحضارات بين منطق التمركز ومشادات الصراع»، وكتب محمد سيد رصاص عن حدود «حوار الحضارات». وقدم أحمد ثابت بحثًا بعنوان «الغرب في إدراك الجماعات الإسلامية الراديكالية»، وآخر البحوث بحث بعنوان «شغف الرحالة العرب بالتعرف على أوربا: التعارف سبيلاً لحوار الحضارات» لشمس الدين الكيلاني، وفي باب مراجعات الكتب استعرض محمد غشام كتاب «حوار الحضارات» لروجيه غارودي، وقدم عمر كوش استعراضًا لمحاضرات في حوار الحضارات (مجموعة مؤلفين)، وقرأ محمد خير فرج كتاب «الإسلام وصراع الحضارات» لأحمد القديدي.

الوثيقة (ع ٤١، س٢١، شوال ١٤٢٢هـ/يناير ٢٠٠٢م)



دورية تاريخية محكّمة يصدرها مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين.

اشتمل هذا العدد من الدورية على بحوث باللغتين العربية والإنجليزية. ففي القسم العربي جاءت كلمة العدد بعنوان «بحرين الألفية الثالثة.. بحرين الأسرة الواحدة» بقلم الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة، وكتب الدكتور علي أبا حسين بحثًا بعنوان «جوانب مضيئة للصلة التاريخية بين دولة الإمارات العربية المتحدة والبحرين».

وقدم جاسم ياسين محمد الدرويش بحثًا عن «تجارة البحرين في ظل الإمارة العيونية»، وجاء بحث «مصادر دراسة تاريخ دلمون (البحرين في

عصورها القديمة)» بقلم حسين أحمد سلمان، وتناول عبدالرحمن النعيمي «مجتمع الجزيرة العربية في صدر الإسلام»، وقدم صبري فالح الحمدي بحثًا بعنوان «العلاقات بين أشراف الحجاز والقوى الأوربية ١٧٠٠ - ١٨٠٠م»، وناقش سامي سعيد الأحمد «انطباعات الرحالة لوكر عن مناطق بالخليج العربي»، وجاء بحث فاضل محمد الحسيني عن «الصراع البريطاني الفرنسي حول تجارة الأسلحة في عمان ١٩٠٠ - ١٩١٤م».

وتناول سيرجي جريجوريف «عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الوثائق الموجودة في الأرشيفات الرسمية لسان بطرسبرج».

أما القسم الإنجليزي فاشتمل على كلمة العدد، وبعض الوثائق من أرشيفات بطرسبرج حول العلاقات الثقافية والإنسانية بين روسيا ودول شبه الجزيرة العربية لنيكولاي دياكوف.

أبحاث اليرموك (مج١٩، ع٢، ٢٠٠١م، سلسلة الآداب واللغويات)

مجلة علمية نصف سنوية محكَّمة مفهرسة تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة اليرموك بالأردن.

احتوى هذا العدد من المجلة على بحوث باللغتين العربية والإنجليزية. ففي باب البحوث العربية كتبت كل من: هيفاء السنعوسي عن «سمات شعر غنيمة زيد الحرب: دراسة تحليلية في المضامين»، وخلف الخريشة عن «أثر أدوات المعاني في استجلاء البناء النفسي لنونية شوقي»، وجاء بحث جاسر أبو صفية عن «أبو العميثل الأعرابي وما تبقى من شعره»، وقدم عبدالفتاح النجار بحثًا عن «قصيدة النثر: مقاربة أولية»، وفي باب البحوث الإنجليزية بحث: «هموم الحياة المنزلية: دراسة المكان في القصة الإنجليزية الأمريكية القصيرة» لفاديا السيوفي، وبحث عن «الكتابة باللغة الإنجليزية كلغة أجنبية ونموذج دينز لتطوير الموضوع» لمحمد الجراح.

المجلة العربية للمعلومات (مج٢٢، ع٢، ٢٠٠١م)



مجلة علمية نصف سنوية تهتم بمجالات المعلومات، والمكتبات، والوثائق، والتوثيق، والإحصاءات، تصدر عن إدارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس.

ضم هذا العدد البحوث الآتية: «المكانز العربية: المكنز الموسع، دراسة حالة» لعماد أبو عيد، و«أقسام المكتبات والمعلومات في الجامعات العراقية» لمحمد عبود حسن الزبيدي، و«المعلوماتية وتأثيرها على تدريس علم المكتبات والتوثيق في العراق والأردن: دراسة مقارنة» لإيمان فاضل السامرائي، و«شبكة المعلومات الزراعية المصرية: دراسة للتخطيط والتنفيذ والوضع الراهن» لمحمد إبراهيم حسن محمد، و«الإنترنت وخدمات المكتبات والمعلومات: دراسة تحليلية في ضوء الإنتاج الفكري العربي» لمحمد فتحي عبدالهادي، و«أساليب استخدام الجراحين مصادر المعلومات في المستشفيات الحكومية في بغداد» لليلي جوزيف عبودي نواره.

قد يكون طفلك موهوباً .. كيف تكتشفه؟

عبدالتواب يوسف
القاهرة - مصر

هناك قصة معروفة، في تاريخ العلم، تُحكى عن معلم قام بإعطاء تلاميذه في الفصل مسألة حسابية، طلب منهم أن يذكروا بسرعة حاصل جمع الأرقام ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، وانشغل التلاميذ الصغار في عمليات جمع شاقة لهذه الأرقام المنفصلة، وفجأة صاح تلميذ في السادسة من عمره، كان يجلس في نهاية الفصل بأن نتيجة جمع هذه الأرقام هي: (٥٥)! وأصيب المعلم بالدهشة، أما التلميذ فقد قال: إنه اكتشف بِنْيةً منطقية مُتَضَمَّنَة في سلسلة الأرقام؛ لأنها تتكون من خمسة أزواج من الأرقام هي (١+١٠، ٢ + ٩، ٣+٨، ٤+٧، ٥+٦)..

وناتج كل عملية من هذه العمليات الفرعية، هو الرقم ١١، أي ١+١٠ و ٢+٩، و ٣+٨.. ولما كانت هناك خمس عمليات فإن حاصل ضرب ٥×١١ يساوي ٥٥، وهو مجموع الأرقام.

هذا التلميذ أصبح بعد ذلك عالم رياضيات شهيراً، هو كارل جوس، وقد اكتشف هذه الطريقة الطريفة في الجمع، ومن ثم أظهر إبداعية خاصة، فقد استخدم عملياته العقلية بطريقة فريدة في اكتشاف قاعدة جديدة، وعلى الرغم من أن هذه القاعدة كانت معروفة من قَبْل من قِبل عدد من الكبار إلا أنها بدت بالنسبة إلى عمره شيئاً مثيراً للدهشة، فقد قام بتنظيم عناصر المشكلة التي سمحت له برؤية علاقات لم تكن واضحة للآخرين، وهذا اللون من التفكير والتعليم من أهم أهداف الاتجاهات التربوية الحديثة، نحتاج إليها بشدة، ومن هنا كان هذا الكتاب الذي جعل د. شاكر عبدالحميد سليمان عنوانه: «الاكتشاف وتنمية المواهب» وصدر عن هيئة قصور الثقافة.



.. تناول الكتاب موضوعين منفصلين، مرتبطين.. أولهما: التعليم بالاكتشاف، وهو يساعد على تكوين المفاهيم التي تمكن التفرد من تصنيف خبراته.. كما فعل ذلك الطفل الصغير مع الأرقام، وتطبيق هذا سهل وميسور: الماء، اللبن، العصير، تُصنف على أنها سوائل، لو أضفنا إليها رغيف الخبز، فهي أشياء تشرب وتؤكل..

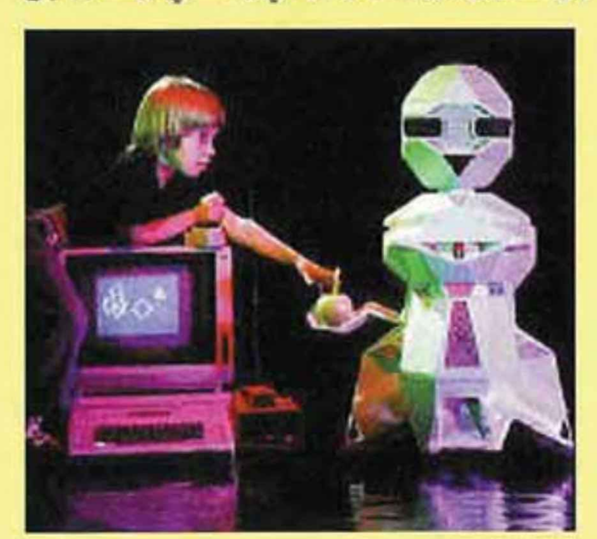
وتتكون المفاهيم وتتطور من أجل تنظيم المعلومات وتصنيفها، وتفسيرها، وتخزينها، وتذكرها واستخدامها؛ ومن هنا يأتي بما قاله (بياجيه) عن الارتقاء المعرفي، الذي يعتمد على المعلم والطالب، إرسالاً واستقبالاً، واللغة هنا دور مهم في هذا بوصفها أداة تفكير تزود صاحبها باستثمار المعرفة والمعلومات، وقد شارك بشكل كبير وواضح في العمليات المعرفية لأطفال ما قبل المدرسة، ودراستها، وأضاف إليها بعض العلماء ما هو جديد، خاصة فيما بعد هذه المرحلة، وبخاصة العالم (برونر) الذي اعتمد على موسى بن ميمون، وموسى بن

ميمون من علماء الأندلس، درس أربعة أشكال للاكتمال لدى الإنسان: الاكتمال المادي المتمثل في المال، وهو عَرض يمكن أن يضيع، ثم الاكتمال الجسدي، وبعده الاكتمال الأخلاقي، وأخيراً الاكتمال الحقيقي، وهو يتمثل في امتلاك القدرات العقلية.

يتحدث القسم الثاني من كتاب د. شاكر عبدالحميد سليمان عن الموهوبين، ورعايتهم، ومما قاله: ومنذ فجر التاريخ اهتم الناس بذوي القدرات العالية، وفي المرحلة الأولى رآها بعضهم «إلهاماً» لكي يفسر هذا التميز.. وادي عبقر: نموذج!

وفي مرحلة تالية تصوره بعضهم الآخر انحرافاً عقلياً، ومرضاً، واغتراباً.. وللوراثة عاملها الكبير في هذا التوجه.

.. وفي مرحلة أخرى ركزوا في الفروق الفردية، والاختيار الطبيعي، فهي خصال عقلية تتجمع كقدرة عامة. وتعامل معها بعض العلماء على أنها ناتجة من قوة الإرادة والتذوق الجمالي، والعواطف الإنسانية والقدرة على الاستدلال التجريدي.. وتنبهوا خلال هذا إلى الفروق بين العمر الزمني والعقلي، وصولاً إلى

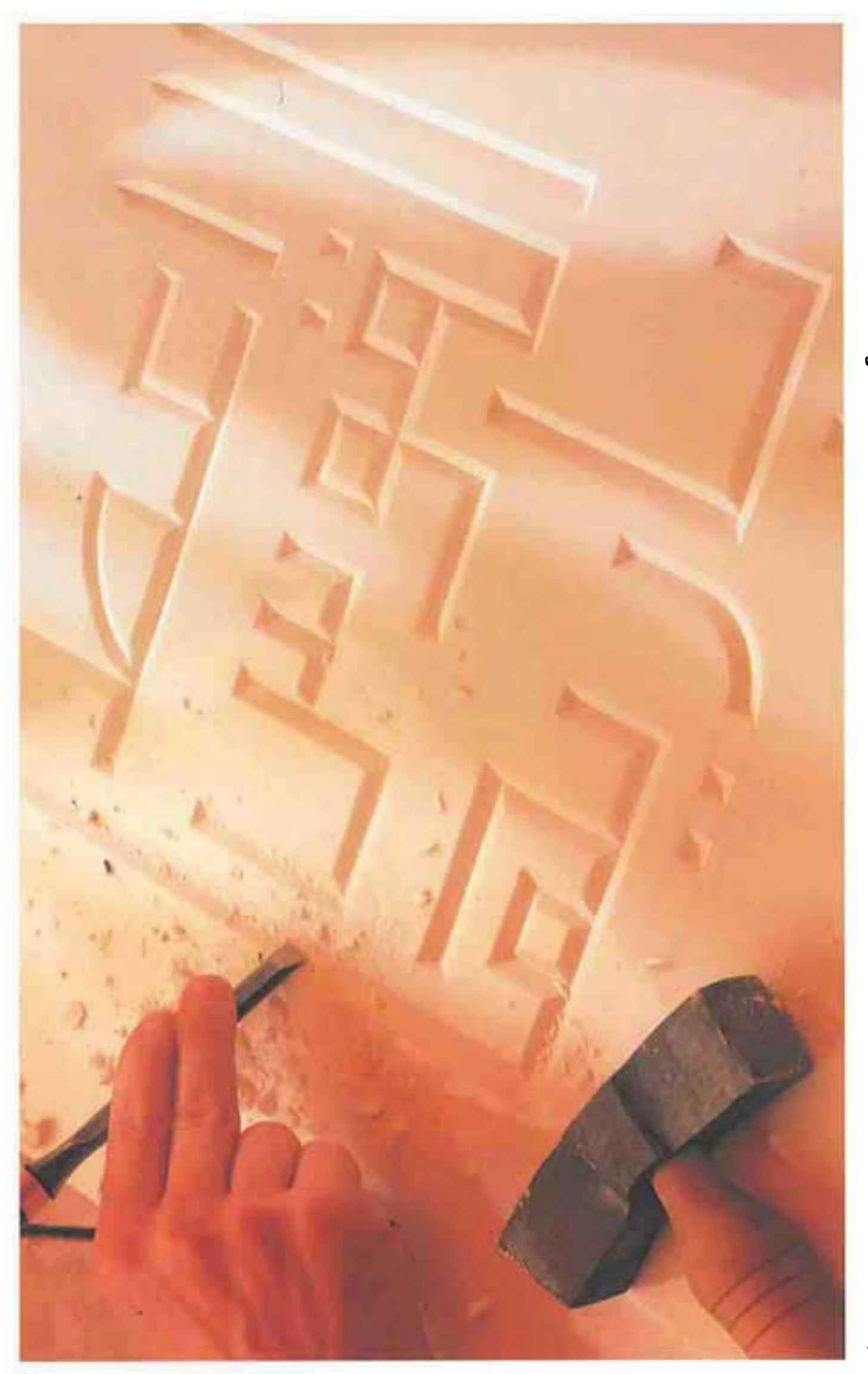


دراسة «الذكاء».

وهنا لا بد لنا من أن نذكر إسهامات عالمنا العربي الكبير ابن جني (ت:٣٩٢هـ)، وكتابه الفريد: الأذكياء.. وهو إن دل على شيء، فإنه يدل على اهتمام العرب بهذا الموضوع، ودراستهم له بشكل مستمر ومتواتر، لكن الكتاب يهتم بما يجري في عصرنا، وقد حاول أن يربط ما بين الذكاء من جانب والموهبة من جانب آخر، لكن اتجاهاً آخر رأى أنهما أمران مختلفان، وتمت محاولة جادة لتعريف «الموهوبين».

وقدم الكونجرس الأمريكي عام ١٩٧٢م تعريفاً للموهوبين أصحاب القدرات المتميزة والفائقة جاء فيه: أنه يجب أن يتمتعوا بالقدرة العقلية الرفيعة، والاستعداد الدراسي، والتفكير الإبداعي أو الإنتاجي وقدرات القيادة، وأضافوا إلى ذلك تمتعهم بقدرات نفسية وحركية، ودرجة عالية من التذوق الفني البصري والسمعي إلى جانب أداء متميز في شتى مجالات الحياة.. لكن أعوام الثمانينيات حملت الكثير من التغيير لهذا المفهوم.

إننا مع كتاب علمي، ودراسة متعمقة لقضية الاستكشاف والموهبة.. وقد باتت من أخطر القضايا وأهمها، بعد أن أصبح هؤلاء مقياساً للتقدم بين الدول في عالمنا المعاصر الذي هو قرية، ولعل ذكر اسمين فقط يكشف لنا إلى أي مدى هو مهم: إن دخل أمريكا من مايكل جاكسون في الغناء، وبيل جيتس في البرمجيات تجاوز دخلها عن كثير من الصناعات الثقيلة.. لذلك نحن بحاجة إلى مثل هذا الكتاب الذي لا يقلل من شأنه أن نشير إلى أن لغته ليست سلسة، وأن عباراته كانت تحتاج إلى صقل، وأن أسلوبه لا يرقى لموضوعه الخطير، كما أن الكتاب من دون فهرست، ولم تثبت في مقدمته محتوياته كما يطلب منا متخصصو الكتب والمكتبات لكي يعين ذلك القارئ على قراءته، والرجوع إليه بين حين وآخر.



قيم نبيلة سامية، وتقاليد عريقة راسخة

من نبع تراثنا الأصيل، كانت وماتزال المعين

الذي لا ينضب لمسيرة هذا الوطن.

استلهمنا منها أعمالنا واتخذناها منهاجاً

وعلى طريقها القويم تابعنا مسيرة النجاح .

اليوم وفي المستقبل، سنبقى أوفياء لقيمنا

الأصيلة متمسكين بها ملتزمين بنهجها

لتبقى دائماً الأساس المتين لنجاحنا المستمر .

نعتزّ بقيمنا